

مقارنة الأديان

اليهودية

تأليف

الدكتور أحمد شبلي

دكتوراه من جامعة كامبردج
استاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

(الطبعة الثالثة) 1988

مع زيادات واسعة وبخاصة عن الاسلام والفريق



الناشر
مكتبة النهضة العربية
٩ شارع عيسى
القاهرة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠

الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦

الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩

الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٢

الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٨

الطبعة السادسة سنة ١٩٨٢

الطبعة السابعة سنة ١٩٨٤

(الطبعة الثامنة) سنة ١٩٨٨

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَبِهٖ نَسْتَعِیْنُ

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّیْنِ مَا وَصَّیْ بِهٖ نُوْحًا ، وَالَّذِیْنَ اَوْحٰیْنَا اِلَیْكَ ،
وَمَا وَصَّیْنَا بِهٖ اِبْرٰهِیْمَ وَمُوْسٰی وَعِیْسٰی .

(قرآن کریم : الشوری ۱۳)

كتب للمؤلف

أولا : موسوعة التاريخ الاسلامى

دراسة تحليلية شاملة في عشرة اجزاء لتاريخ العالم الاسلامى كله من مطلع الاسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى أسهم بها المسلمون في ترقية العمران ، وتطوير الفكر البشرى :

١ - الجزء الأول : (الطبعة الثانية عشرة)

- مقدمة الموسوعة : نطاق التاريخ الاسلامى - تفسير التاريخ - هل التاريخ علم ؟ .. فلسفة التاريخ - فائدة التاريخ - مراحل تدوين التاريخ - قضية الالتزام في كتابة التاريخ الاسلامى - علم التاريخ بين المسيحية والاسلام ...
- تاريخ العرب قبل الاسلام : البدو والحضر - حياة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .
- السيرة النبوية العطرة : جوانب من السيرة تدون لأول مرة - الدعوة الاسلامية وبلسفتها - عصر الخلفاء الراشدين

٢ - الجزء الثانى : (الطبعة السابعة)

- الدولة الاموية والحركات الفكرية والثورية في عهدها .

٣ - الجزء الثالث : (الطبعة السابعة)

- الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالمصر العباسى الاول ، وبدور المسلمين في خدمة الدراسات الاسلامية والحضارة العالمية .

٤ - الجزء الرابع : (الطبعة السابعة)

- الاندلس الاسلامية ، وانتقال الحضارة الاسلامية الى اوربا عن طريقها .
- المغرب - الجزائر - تونس - ليبيا (من مطلع الاسلام حتى العهد العائلى) .
- السنوسية : مبادئها وتاريخها .

٥ - الجزء الخامس : (الطبعة السادسة)

- مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى العهد العائلى .
- الصروب الصليبية : دراستها - ادوارها - نتائجها .
- الامبراطورية العثمانية (تركيا) منذ نشأتها حتى الآن .

٦ - الجزء السادس : (الطبعة الثالثة)

الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن :

- دراسة عن وسائل انتشار الإسلام :

مراكز الشمال - حجرات عربية وغير عربية - التجار - الطرق الصوفية - مراكز داخلية .

- الدول الإسلامية قبل الاستعمار الأوربي :

غانة - مالي - صنفي - دول الهوسا - برنو - باجـرمي -

واداي - الفونج - ممتشو - مملكة الزنج .

- الدول الإسلامية الحالية :

موريتانيا - السنغال - جامبيا - غينيا - مالي - النيجر -

نيجيريا - تشاد - السودان - الصومال - جيبوتي .

٧ - الجزء السابع : (الطبعة الثالثة)

الإسلام والدول الإسلامية بالجزيرة العربية والعراق :

- دول الجزيرة العربية من مطلع الإسلام حتى الآن :

المملكة العربية السعودية - اليمن - جمهورية اليمن الجنوبية -

عمان - دولة الامارات العربية - قطر - البحرين - الكويت .

- العراق من مطلع الإسلام حتى الآن .

٨ - الجزء الثامن : (الطبعة الثانية)

الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا من مطلع الإسلام حتى الآن :

إيران - أفغانستان - باكستان - بنجلاديش - ماليزيا - اندونيسيا

الأقليات الإسلامية في الهند والصين وروسيا والفلبين ..

دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر

٩ - الجزء التاسع : (الطبعة الثالثة)

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم . مصر محمد نجيب ومصر جمال

عبد الناصر (عصر المظالم والهزائم) .

١٠ - الجزء العاشر :

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم ، عصر أنور السادات . (عصر النجاح

في الشؤون الخارجية والفشل في الشؤون الداخلية) .

(ترجمت أكثر أجزاء هذه الموسوعة لعدة لغات)

كتب للمؤلف

ثانيا : موسوعة النظم والحضارة الاسلامية

دراسة تحليلية شاملة في عشرة اجزاء ، تبرز الاتجاهات الحضارية التي جاء بها الاسلام لهداية البشرية في شئون العقيدة ، والسياسة ، والاقتصاد ، وفي مجال الحياة الاجتماعية والتربوية والعسكرية ، والتشريعية والقضائية ، كما تبرز جهود المسلمين في الحضارة التجريبية ،

واجزاؤها هي :

١١ - الجزء الأول : تاريخ المناهج الاسلامية (الطبعة الثالثة)

مناهج التعليم في صدر الاسلام - انحرافاتهما في عصور الظلام -
وجوب تصحيحها .

١٢ - الجزء الثاني : الفكر الاسلامي : منابعه وآثاره (الطبعة السابعة)

١٣ - الجزء الثالث : السياسة (الطبعة السادسة)

في الفكر الاسلامي

مع المقارنة بالنظم السياسية المعاصرة .

١٤ - الجزء الرابع : الاقتصاد (الطبعة السادسة)

في الفكر الاسلامي

مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعاصرة . ومع دراسة شاملة للنقاط التالية :

١ - الاسلام والمسلمون في مواجهة المشكلة الاقتصادية .

٢ - مبادئ الاسلام الاقتصادية .

٣ - الاسلام والقضايا الاقتصادية الحديثة (شهادات الاستثمار ...)

٤ - من تاريخ الاقتصاد في الاسلام (بيت المال : موارده ومصارفه ...)

٥ - النظم الاقتصادية في العالم عبر العصور واثار الفكر الاسلامي فيها .

١٥ - الجزء الخامس : التربية الاسلامية (الطبعة الثامنة)
نظمها - تاريخها - فلسفتها

دراسة عميقة وشاملة لفلسفة التربية عند المسلمين ، ولتساھج
التعليم وامكنته ، ولحالة المدرسين المالية والاجتماعية ، والاجازات
العلمية ، والمعقوبات ، والجوائز ، والمكافآت ، وملابس المدرسين ،
ونقابة المعلمين ، وتكافؤ الفرص بين التلاميذ ، وتوجيههم حسب
مواهبهم ..

١٦ - الجزء السادس : المجتمع الاسلامي (الطبعة السادسة)
أسس تكوينه .. أسباب ضعفه .. وسائل نهضته

١٧ - الجزء السابع : الحياة الاجتماعية (الطبعة الثالثة)
في الفكر الاسلامي

- في نطاق الأسرة : كالخنان وتحديد النسل وعمل المرأة ...
- وفي نطاق المجتمع : كالأفراح والمآتم والموسيقى والفناء ...

١٨ - الجزء الثامن : تاريخ التشريع الاسلامي (الطبعة الثالثة)
وتاريخ النظم القضائية في الاسلام
مع بحوث واسعة عن القرآن الكريم : المصدر الاول للتشريع
ومع دراسة شاملة لمصادر التشريع الأخرى

١٩ - الجزء التاسع : الجهاد والنظم العسكرية (الطبعة الثالثة)
في الفكر الاسلامي

بحث علمي يبرز موقف الاسلام من السلم والحرب ، كما يبرز اتجاهات
الاسلام في مشكلات الحرب كالاستعداد للجهاد ووسائله ، واخلاق
المجاهد ، والخديعة في الحروب ، والثبات والفرار ، والرباط ،
والتجسس والخيانة ، والهدنة والأسرى ..

٢٠ - الجزء العاشر : رحلة حياة (الطبعة الثالثة)
تجربة تعرض مجموعة من قضايا الحضارة الاسلامية

كتب المؤلف

خامسا : المكتبة الاسلامية لكل الاعمار

١٠٠ جزء من سير عظماء الاسلام ومن التاريخ والحضارة
وقصص القرآن للأولاد والشباب والسيدات والرجال
ظهر منها الاجزاء التالية :

المجموعة الاولى : السيرة النبوية العطرة :

- | | |
|------|---|
| ١ ج | محمد قبل البعثة |
| ٢ ج | من غار حراء . . الى غار ثور (قصة الاسلام في مكة) |
| ٣ ج | الاسراء والمعراج : دراسة تصحيح للقضاء على الشطحات . |
| ٤ ج | الهجرة للمدينة ووسائل الاستقرار بها |
| ٥ ج | الرسول الداعية وميرى الدعاة |
| ٦ ج | الرسول في بيته : ازواجه — اولاده واحفاده — خدمه |
| ٧ ج | الرسول في بيته : مشكلات الحياة في بيت الرسول وكيف عالجهما |
| ٨ ج | الرسول بين اصحابه — الرسول يربى الفرد المسلم ويربى المجتمع الاسلامى |
| ٩ ج | الرسول يربى القضاة ، ويربى القوة العسكرية ، ويربى الولاة والحكام |
| ١٠ ج | الرسول والشباب — الرسول والعمل |
| ١١ ج | توجيهات طبية يقدمها الرسول — مكرمات للرسول — الرسول والمنافقون |
| ١٢ ج | الرسول والنصارى — الرسول واليهود |
| ١٣ ج | الاسلام والقتال ، وهل انتشر الاسلام بالقوة او بالدعوة — غزوة بدر ودراسات جديدة حولها — أهم أحداث غزوة بدر |
| ١٤ ج | غزوة أحد والهزيمة التى اخلفت المنتصر — غزوة الأحزاب وكلمة عن سلمان الفارسي |
| ١٥ ج | صلح الحديبية — كتب الرسول للملوك والرؤساء — غزوة مؤتة وبدر الصراع ضد الروم . |
| ١٦ ج | فتح مكة — غزوة حنين والطائف — غزوة تبوك — الفترة الاخيرة في حياة الرسول |

المجموعة الثانية : العشرة المبشرون بالجنة :

- ج ١٧ (١) أبو بكر الصديق : حياته وعصره والمشكلات التي واجهها -
ج ١٨ (٢) عمر بن الخطاب والتوسع في عهده - عمر بناتى الدولة
الإسلامية
ج ١٩ (٣) عثمان بن عفان والفتنة في عهده
ج ٢٠ (٤) علي بن أبي طالب : شخصيته وحياته والمشكلات التي
واجهها
ج ٢١ (٥) طلحة بن عبيد الله (٦) الزبير بن العوام
ج ٢٢ (٧) سعد بن أبي وقاص (٨) أبو عبيدة بن الجراح
ج ٢٣ (٩) عبد الرحمن بن عوف (١٠) سعيد بن زيد بن عمرو

المجموعة الثالثة : دراسات قرآنية :

- ج ٢٤ نظرة عامة للقرآن الكريم - طريقة الوحي - نزول القرآن
وتدوينه - أسماء السور وترتيبها - قراءات القرآن - فضائل
القرآن - القرآن والعلم - فضائل قراءة القرآن وحكم
التطريب في أدائه والتكسب به .
ج ٢٥ خصائص القرآن والأصول التي جاء بها لخير الناس في الدنيا
والآخرة - اعجاز القرآن ومظاهر الاعجاز - معجزات
الرسول في ميدان المقارنة .
ج ٢٦ غير العرب والاعجاز البلاغى للقرآن - وجوه الاعجاز في
القرآن - مواجهة واقعية بين العرب والقرآن - التكرار
في القرآن : أسراره واعجازه .

المجموعة الرابعة : من قصص القرآن الكريم :

- ج ٢٧ دراسات عن القصص في القرآن قصة أصحاب الكهف .
ج ٢٨ قصة الرجلين والجنيتين - قصة ذى القرنين وبأجوج
ومأجوج .
ج ٢٩ قصة موسى وأخضر - قصة أصحاب الجنة .
ج ٢٠ قصة عزير - قصة أيوب عليه السلام
ج ٢١ قصة قارون - قصة أصحاب الأخدود .
ج ٢٢ قصة إسماعيل عليه السلام .
ج ٢٣ قصة يوسف عليه السلام .

المجموعة الخامسة : الدولة الأموية : تاريخ يحتاج الى انصاف :

- ج ٢٤ لماذا انحرف المؤرخون بتاريخ الامويين .
نماذج من عباقرة الامويين .
- ج ٢٥ اتجاهات حضارية من صنع الامويين .
- ج ٢٦ اتساع العالم الاسلامى يد من ايدى الامويين .
- ج ٢٧ نشاط الشيعة فى العهد الاموى ، وقصة استشهاد الامام الحسين .

المجموعة السادسة : الاسلام والمرأة :

- ج ٢٨ المرأة فى الحضارات القديمة .
المرأة فى اوربا خلال العصر الوسيط .
ماذا تقدم الاسلام للمرأة ؟ .
- ج ٢٩ سيدات مسلمات : السيدة زينب أخت الامام الحسين .
- ج ٤٠ سيدات مسلمات : بنتا الحسين : نفيسة وسكينة .
- ج ٤١ سيدات مسلمات : عائشة بنت طلحة .
- ج ٤٢ زيجات شهيرة فى التاريخ : بوران - قطر الندى .
- ج ٤٣ سيدات مسلمات : رابعة العدوية .

(الاجزاء التالية ستظهر تباعا ان شاء الله)

(لم تدخل اعداد « المكتبة الاسلامية » ضمن العدد الخاص يكتب للمؤلف)

كتب للمؤلف

ثالثا : مقارنة الأديان

سلسلة من الكتب في مقارنة الأديان ، نعتمد على أدق المراجع بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق وتشمل :

٢١ - الجزء الأول : اليهودية : (الطبعة السابعة)

- دراسة لثنتي المسائل اليهودية : اليهود في التاريخ من عهد ابراهيم حتى الآن : الصهيونية ، أنبياء بنى اسرائيل ، عقيدة بنى اسرائيل ، يهوه اله بنى اسرائيل ، التعدد والتوحيد في الفكر اليهودى ، الثابوت والهيكل ، الكهنة والقرايين ...

- مصادر الفكر اليهودى : المعهد القديم ، التلمود ، بروتوكولات حكماء صهيون .

- اليهود في الظلام : الماسونية ، والروتارى ، الاغتيال ، التجسس ، البابية والبهائية .

- من صور التشريع في اليهودية .

٢٢ - الجزء الثانى : المسيحية : (الطبعة الثامنة)

- المسيح والمسيحية في نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة .

- بولس واضع المسيحية الحالية ، التثليث ، صلب المسيح للتكبر عن خطيئة البشر .

- شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية ، الجامع ، طبيعة المسيح والآراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهينة والأديرة ، خزانة ظهور العنقاء في كنيسة الزيتون ، حركة الاصلاح الدينى ونتائجها ونقدتها .

٢٣ - الجزء الثالث : الاسلام : (الطبعة الثامنة)

- الله في التفكير الاسلامى ، النبوة في التفكير الاسلامى ، غير المسلمين

في المجتمع الاسلامى ، الدين المعاملة ، المرأة في الاسلام ، الرق وموقف الاسلام منه ، السيلسة والاقتصاد في الاسلام .

٢٤ - الجزء الرابع : اديان الهند الكبرى : (الطبعة السابعة)

« الهندوسية - الجينية - البوذية »

- تقديم عن : جغرافية الهند ، سكان الهند ، اللغات في الهند ، الأديان في الهند .

- دراسة الكتب المقدسة الهندية : الويدا : مهابهارتا : يوجاواسستها ، كيتا .

- أهم العقائد الهندية : الكارما والتناسخ ، الاتطلاق والترفنا ، وحدة الوجود .

- تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعها .

كتب للمؤلف

رابعاً : كتب في الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

٢٥ - كيف تكتب بحثاً أو رسالة (الطبعة السابعة عشرة)

دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراه

كتابان باللغة الإنجليزية هما :

ISLAM : Relief - Legislation - Morals — ٢٦
مكتبة النهضة المصرية
History of Muslim Education — ٢٧

وكتب باللغة الاندونيسية والماليزية :

	Agama dan Pemerintahan Dalam Islam	— ٢٨
	Masyarakat Islam	— ٢٩
	Hukum Islam	— ٣٠
	Sedjarah dan Kebudayaan Islam	1 — ٣١
	Sedjarah dan Kebudayaan Islam	11 — ٣٢
	Sedjarah dan Kebudayaan Islam	111 — ٣٣
	Perbandingan Agama (Jahudi)	— ٣٤
	Perbandingan Agama (Masihi)	— ٣٥
	Perbandingan Agama (Islam)	— ٣٦
Pustaka National (Singapore)	Perbandingan Agama (Agama2 yang Terbesar di India : Hindu-Jaina-Buddha)	— ٣٧
	Sadjarah Pendidikan Islam	— ٣٨
	Politik dan Ekonomi Dalam Islam	— ٣٩
	Kehidupan Social Dalam Pemikiran Islam	— ٤٠
	Perkembangan Keagamaan Dalam Islam dan Maschi	— ٤١
	Perang Salib	— ٤٢
	Kurikulum Islam Dalam Perkembangan Sedjarah	— ٤٣
	Pengajian Al Quraan	— ٤٤
	Sedjarah Kehakiman Dalam Islam	— ٤٥

كتب للمؤلف

سادسا : تعليم اللغة العربية لغمر العرب

وقواعد اللغة العربية

- برنامج شامل ميسر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغمر العرب .
- أول سلسلة من نوعها في المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ .
- دراسات شاملة سهلة لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
- تضم هذه السلسلة الكتابين التاليين :

٤٦ - تعليم اللغة العربية لغمر العرب : (الطبعة الثالثة)
يبدأ هذا الكتاب من المرحلة الأولى : مرحلة الهجاء ، ويتطور للقراءة ،
نالتعبير ، فالإلقاء ، فالخط والنصوص ، ثم يقفز بالطالب الى مرحلة متقدمة
في القراءة والحادثة والكتابة ، مستملا في هذه المرحلة موضوعات جذابة من
الفكر الاسلامي والعربي اختيرت من امهات الكتب العربية ثم صيغت في اسلوب
مناسب ، مع اسئلة وتمارين مفيدة .

٤٧ - قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها : (الطبعة الثالثة)
عرض لجميع ابواب النحو العربي بطريقة تروية سهلة
ودراسة واضحة لاهم ابواب الصرف

هذا الكتاب ضروري للمثقف العربي وغمر العربي

كتب نفدت ولن يصاد طبعا

- ٤٨ - في تصور الخلفاء العباسيين :
أكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٣ من هذه القائمة .
- ٤٩ - مصر في حربين (١٩٦٧ و ١٩٧٣) دراسة مقارنة :
وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٩ من هذه القائمة .
- ٥٠ - الحكومة والدولة في الاسلام :
وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٣ من هذه القائمة .
- ٥١ - الاشتراكية : دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحي :
- ٥٢ - النظم الاقتصادية في العالم عبر العصور و اثر الفكر الاسلامي فيها
وأكثر مادة هذين الكتابين تضمنها الكتاب رقم ١٤ من هذه القائمة

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٢١ - ١٧	مقدمة الطبعة الاولى
٢٣ - ٢٢	مقدمة الطبعة السابعة
٢٨ - ٢٤	مقارنة الأديان : علم اسلامي ضاع ثم عاد
٢٨	اسباب اختفاء علم مقارنة الأديان
٢٩	انتقال علم مقارنة الأديان للغرب
٣٠	عودة مقارنة الأديان للساحة الاسلامية
٣٢	غائدة علم مقارنة الأديان

اسس لدراسة مقارنة الأديان :

٢٣	أولا - غيا يتعلق بالمنهج
٣٥	ثانيا - غيا يتعلق بالمراجع
٣٦	ثالثا - غيا يتعلق بالحيدة

الفصل الأول

اليهود في التاريخ (٣٧ - ١٢٥)

٣٩	المنطقة وسكانها
٤٣	الناطق المحيطة
٤٥	تحركات العبريين
٥٠	لغة العبريين
٥١	الهكسوس والعبرانيون في مصر وخروجهم منها
٥٧	اسرائيل وبنوه في مصر
٦٧	بعد الخروج من مصر

بنو اسرائيل في فلسطين :

٧١	١ - عهد القضاة
٧٣	٢ - عهد الملوك
	٣ - عهد الانقسام (اسرائيل ويهوذا) غزوال ملك بنى اسرائيل
٨١	التمجر الأول لأورشليم والامر البابلي
٨٤	اليهود بعد سقوط اسرائيل ويهوذا
٨٦	المكابيون
٨٧	الرومان والتمجر الثاني لأورشليم
٨٨	آيات سورة الاسراء والساد بنى اسرائيل في الأرض
٩٠	المسلمون بفلسطين
٩٠	الحروب الصليبية ودور اليهود فيها

الصفحة	الموضوع
٩١	عصر التشرّد وائثره
٩٦	في الطريق الى الصّودة
١٠٩	دور الكنيسة الانجليزية في خدمة اليهود
١٠٩	قيام اسرائيل
١١٠	اليهود في فلسطين وخارجها
١١٨ - ١٢٥	اليهودية والصّيونية

الباب الثاني

انبياء بني اسرائيل وعقيدتهم
من القرآن الكريم (١٢٧ - ١٤٩)

١٢٩ - ١٤٢	انبياء بني اسرائيل كما صورهم القرآن الكريم
١٣٦	ابراهيم ١٣٠ - اسماعيل واسحق ١٣٣ - يعقوب ويوسف
١٤١	موسى وهرون ١٣٨ - داود ١٣٩ - سليمان ١٤١
١٤٢ - ١٤٩	عقيدة بني اسرائيل كما صورها القرآن الكريم

الباب الثالث

انبياء بني اسرائيل وعقيدتهم
من غير القرآن الكريم (١٥١ - ٢٢٥)

١٥٢ - ١٧٢	انبياء بني اسرائيل من غير القرآن الكريم
١٥٣	مقدمة ١٥٣ - اشعيا ١٥٦ - ارميا ١٥٦ - حزقيال
١٥٧	١٥٧ - دانيال ١٥٨ - ابراهيم ١٥٨ - ميراث ابراهيم
١٦٢	وميراث اسحق ١٥٩ الحياة في بيت يعقوب ١٦٢ -
١٦٨	موسى وهرون ١٦٣ - داود ١٦٥ - سليمان ١٦٨
١٧٢ - ٢٢٥	عقيدة بني اسرائيل من غير القرآن الكريم
١٧٣ - ١٩٢	الاله :

معبودات بني اسرائيل غير يهوه ١٧٢ - يهوه ومراحل عبادته :

(ا) اشتقاق الاسم ١٧٦ (ب) صفات يهوه ١٧٦

(ج) مراحل عبادة يهوه :

١ - يهوه قبل الهيكل ١٨٣

٢ - يهوه مع الهيكل ١٨٤ - ديانة عنصرية ١٨٦

٣ - يهوه بعد الهيكل ١٩٠

نداء الوحدانية عند اشعيا ١٩٠ - اليهود والالهية عموما ١٩٢

١٩٤ - ١٩٦	الآخرة والبعث
١٩٧ - ٢٠١	التابوت والهيكل
٢٠٢ - ٢٠٧	الكنهنة والقرايين
٢٠٨ - ٢١٧	الشمب المختار والمسيح

الصفحة

الموضوع

الفرق في اليهودية :

الفريسيون ٢١٨ - الصدوقيون ٢٢١ - الترايون
٢٢٢ - الكتبة ٢٢٢ - المتعصبون ٢٢٤

الباب الرابع

مصادر الفكر اليهودي (٢٢٧ - ٢٨٦)

تقديم ٢٢٩
اولا - العهد القديم :
٢٢٠ - ٢٦٤
تعريف بالعهد القديم ٢٣٠

تعريف بالأسفار :

اسفار التوراة ٢٣٢ - يشوع ٢٣٥ - القضاة ٢٣٦ -
راعوت ٢٣٦ - اسفار الملوك الاربعة ٢٣٧ - اخبار
الايام الاول والثاني ٢٣٨ - عزرا ونحميا ٢٣٨ - استير
٢٣٩ - ايوب ٢٤٠ - الزامير ٢٤١ - اسفار سليمان
٢٤٣ - اسفار الانبياء ٢٤٤ - المراثي ٢٤٥ - طوبيا
٢٤٦ - يهوديت ٢٤٦ - الحكمة ٢٤٦ - يسوع بن
سراج ٢٤٧ - باروخ ٢٤٧ - المكابيون الاول
والثاني ٢٤٧

دراسات عن العهد القديم :

الاسلام والعهد القديم ٢٤٨ - كتاب العهد القديم
٢٥١ - الاسر البابلي واثره على العهد القديم وعلى
اليهود ٢٥٤ - مصادر العهد القديم ٢٥٦ - تحريف
العهد القديم ٢٦٠ - أهمية العهد القديم ٢٦٣

ثانيا - التلمود :

٢٦٥ - ٢٧١
تعريف بالتلمود ٢٦٥

من نصوص التلمود :

الله في التلمود ٢٦٧ - ارواح اليهود ٢٦٧ - اليهود
والسلطة ٢٦٨ - اليهود وغير اليهود في التلمود ٢٦٨ -
اليهود والتملك ٢٦٩ - اليهود وارواح غير اليهود
٢٧٠ - المرأة في التلمود ٢٧٠ - القسم في التلمود
٢٧١ - اليهود والمسيح ٢٧١ .

الموضوع
ثالثا - بروتوكولات حكما صهيون :
الصفحة
٢٧٢ - ٢٨٦

مقدمة عن تاريخ البروتوكولات ٢٧٢ - اعدادها قبل
تكوين الحكومة اليهودية العالمية ٢٧٥ - اعدادها
بعد تكوين الحكومة اليهودية العالمية ٢٧٨ - نماذج
من البروتوكولات ٢٧٩ - ٢٨٦

الباب الخامس

من صور التشريع في اليهودية (٢٨٧ - ٢٠٥)

٢٨٩ موسى والتشريع
٢٨٩ الوصايا العشر
٢٩٢ تشريعات اخرى من التوراة

نماذج لموضوعات عالجهما التشريع اليهودي :

الاعتراف والتطهير ٢٩٥ - الرق ٢٩٦ - الختان
٢٩٦ - الميراث ٢٩٧ - النكاح وتعدد الزوجات
٢٩٨ - المرأة ٣٠٠ .

بعض الواجبات الدينية :

زيارة بيت المقدس ٣٠٢ - الأعياد ٣٠٢ - عيد الفصح
٣٠٣ - الهلال الجديد ٣٠٣ - السبت ٣٠٤ - يوم
التكفير ٣٠٥ - عيد المظلات ٣٠٥

الباب السادس

اليهود في الظلام (٣٠٧ - ٣٥٩)

٣٠٩ الاشارة وبث الفتن
٣١٢ خلف وسائل الاعلام
٣١٣ التجسس
٣١٥ التستر خلف ايدان اخرى
٣١٨ التآمر والاغتيال

جميعيات سرية :

٣٢٢ مقدمة عن انواع هذه الجمعيات وخطورتها
٣٢٥ الماسونية
٣٢٦ ا - الظاهر والباطن من اهداف الماسونية
٣٢٩ ب - الماسونية في مصر والبلاد الاسلامية
٣٢٩ ج - محفل ماسوني بايطاليا ضد الدولة

الصفحة	الموضوع
٢٣١	الروتارى
٢٣٢	شاهد عيان يتحدث عن الروتارى
معلومات جديدة عن اتدية الروتارى :	
٢٣٩	١ - وزير داخلية مصرى ينصح الروتارى
٢٤١	ب - نشاط نادى الروتارى بالمعادى
٢٤١	ج - راي المؤتمر الاسلامى فى الماسونية والروتارى
٢٤٢	د - الغفلة التى ضاعت اعداد الروتاريين
٢٤٥	الليوتز
٢٤٦	اليوجيا
٢٤٧	تنبيه وتحذير
٢٤٩	البابية والبهاية
٢٥٩	كلمة ختام
٢٦١	مراجع البحث

فهرس الخرائط

٤٠	اهمية موقع فلسطين
٤٢	المنطقة قبل زحف العبرانيين
٤٤	مناطق الساميين قديما
٧٧	مملكة داود فى اقصى اتساعها

اليهودية

... ..
... ..
... ..
... ..
... ..

مقدمة الطبعة الأولى

يارب ... إنه من أجمل ساعات العمر أن يصل الإنسان الى الغاية التي يَنْشُدُها ، وأنا بعونك قد وصلت في ميدان هذه الدراسة الى الغاية التي رجوتها .

يارب ... لقد دخلت ميدان مقارنة الأديان بين الأمل وبين الخوف ، ثم تغلب الأمل على الخوف ، ثم أصبح الأمل حقيقة ، فأخرجت أجزاء هذه السلسلة على نحو ما أردت أو أحسن مما أردت ، وأُحِسُّ الآن - في نشوة وتواضع - أنني قدمت لديني ولوطنى شيئاً أعترض به ، فإن هذه الدراسة عن مقارنة الأديان هي الأولى من نوعها في المكتبة العربية .

يارب ... أشكرك شكر من يعرف حقك ، ويعترف بأن نجاحه كان منك ، وأن هدايتك هي التي ألهمتني التوفيق ، وسكّبت الضوء أمامي .



وقد بدأت دراستي في مقارنة الأديان حوالى منتصف هذا القرن ، (القرن العشرين) فوجدتها دراسة شاقة ، كثيرة المراجع ، متشعبة الاتجاهات ، ولو أخذنا الإسلام مثالا لكلامنا ، واستعرضنا ما كتب عنه لهالنا الموقف ؛ لقد كتب عنه اليهود والمسيحيون والمسلمون بطوائفهم ، وتختلف وجهات النظر اختلافاً كبيراً في هذه الكتابات ، بل إن ما كتبه المسيحيون يختلف من كاتب الى كاتب ، أما ما كتبه اليهود أو أكثره فهو غالباً سلسلة من الاتهامات والعدوان .

وسرت في مقارنة الأديان على الرغم من هذه الصعوبات واتخذت الصبر وسيلتي ، ورحت في بحث علمي لم تتدخل العاطفة فيه ، أقرأ ، وأستوعب ، وأناقش ، وأقارن ، وأخطط ، وأعرض ؛ حتى استطعت بعد (م ٢ - اليهودية)

اثنى عشرة سنة من الكدح والعمل الدائب ، أن أخرج الجزء الثاني عن « المسيحية » فالجزء الثالث عن « الإسلام » فالجزء الرابع عن « أديان الهند الكبرى : الهندوسية ، والجينية ، والبوذية » وتأخر إخراج الجزء الأول عن « اليهودية » ، وكان عجباً أن ينشر الجزء الثاني والثالث والرابع قبل الأول ، ولكن النظرة الفاحصة تدرك مدى الصعوبة التي يلاقيها باحث منصف عن اليهودية ، فاليهود كتبوا عن دينهم وتاريخهم أعداداً ضخمة من المراجع والكتب ، صوّروا فيها تاريخهم بأنه تاريخ البشرية ، وحضارتهم بأنها منبع الحضارات ، وعقيدتهم بأنها أسمى العقائد ، وهاجموا تاريخ سواهم ، وأديان سواهم ، وثوّروا صور أبطال العالم غير اليهود . وكان لابد أن نحقق الحق بين هذه الموجة الصاخبة من المراجع ، لنأخذ منها الرأي المنصف ، والفكرة العادنة ، دون تأثير بميل أو هوى .

وبجانب مشكلة المراجع والأفكار كانت هناك مشكلة العدا ، بيننا وبين اليهود ، وهي مشكلة عصبية بالنسبة للبحث العلمي ، ومن الواضح أن اليهود يحاربوننا بكل سلاح ، وأن سلاح القلم والفكر من أقوى أسلحتهم ، ولكنني حاولت ألا أنزل هذا الميدان في مجال البحث العلمي ، وكان عليّ أن أبحث عن الحقيقة دون تأثير بأية عوامل ، لأقدم لقرائي أدق الحقائق من أصدق المصادر فالبحث العلمي أمانة ، أمانة في محراب الجامعة ، وأمانة في محيط القراء ، ومن الممكن أن يتكلم الإنسان من زاوية أو أخرى ، ولكنه عندما يكتب يترك هذه الزاوية ويدع تلك ، ويبحث عن الحق أنى يكون .

وهذا الموضوع يقودني الى كلمة صريحة لا أجد مناصاً من الإشارة إليها ، هي أنه في مجال الخلاف والعداء بيننا وبين اليهود ، وفي أعقاب نكبة فلسطين ، كتب العرب عشرات الكتب أو مئات الكتب عن القضية وعن فلسطين ، واضطرت لقراءتها جميعاً وأنا أعده هذا الكتاب ، ولكن كثيراً منها كان قليل الجدوى ، كان فيضاً من السباب

والشكائم لا تعطى فكرة ، ولا تحقق هدفاً ، حتى وجدتني أحياناً أقول :
هل يتحتم على كل الناس أن يكونوا مؤلفين ؟

إنني أدرك أن استعادة فلسطين لا بد أن تمر بعدة مراحل ، وأن
المرحلة الأولى هي مرحلة الكلمة المقولة والكلمة المكتوبة ، ولكن هذه المرحلة
لا بد أن تكون أكثر خصوبة مما هي عليه الآن حتى تقود للغاية التي ترمى
إليها ، ولتدرس تجربة اليهود في هذا المجال ؛ فقد كانوا يعتقدون أن
فلسطين وطنهم ، وكانوا يعملون للعودة الى هذا الوطن ، ومروا بالمراسل
التي نمرتُ نحن بها في وقتنا الحاضر ، فكتبوا عن فلسطين كتباً ومقالات
وأبحاثاً ، ولكن دونها المتخصصون والأساتذة وكبار الباحثين بمختلف
اللغات ، حتى أوهموا الكثيرين بأن الحق في جانبهم (١) . فإذا أردنا نحن
أن نكتب أو نتكلم ، وهذا واجبنا الآن ، فلنكن كتابتنا وكلامنا في المستوى
الذي يليق بهذه القضية .

وعن الصراع بيننا وبين اليهود حول فلسطين أحب أن أقول إنه على
هذه البقعة نفسها زحف الصليبيون يوماً ، واحتلوها ، وبدأت الجهود
الإسلامية العربية تعمل لطرد المحتل ، وكان من أقوى الوسائل ، تلك
الوحدة التي جمعت العرب في إطار واحد وقوة واحدة ، بقيادة نور الدين
زنكي وصلاح الدين الأيوبي ومن جاء بعدهما ، وقد طوّقت هذه القوة
الأرض المحتلة وزحفت على العدو فقضت عليه ، ويوم تعود الوحدة
العربية التي هي أنشودة العرب جميعاً ، سيكون من الممكن أن تضرب
اليهود ضربة قاصمة ستك التي أنزلها صلاح الدين بالصليبيين في حطين .

هل نخاف تدخل دول الغرب ؟

(١) ليس الغربيون فقط هم الذين خدعهم ما كتبه اليهود ، بل ان كثيرين
من العرب والمسلمين خدعوا ايضاً ، وطالما سألني طلابي : اليس فلسطين
وطن اليهود ؟ اليس من حقهم ان يعودوا لوطنهم ؟ وفي الصفحات الآتية ايضاح
لزيف هذه الاسطورة .

الإجابة الحازمة هي بالنفي ، فيجب الانسى أن هذه القوى لم تكن بعيدة عن المعركة إبان عهد صلاح الدين ، وقد استطاع بطلنا أن يقف في وجه تحالف ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا ، وفيليب أغسطس ملك فرنسا ، وفرديريك بربروسا إمبراطور ألمانيا ، ولم يستطيع هؤلاء أن يكسروا شوكتهم أو يغالوا منه .

يارب ... هئىء الظروف التى نستطيع بها أن نطهر أرضنا المقدسة مما حل بها من رجس وما نزل بها من داء .



وهناك جهود بذلت من أجل فلسطين ولا تزال الجهود تبذل ، وقد اشترك في هذه الجهود ، الجنود الأبطال ، ورجال السياسة ، والكتاب ، ورجال الصحافة ، والشعراء ، وغيرهم ، ولا تزال في حاجة الى جهود وجهود من كل هؤلاء ، فالمعركة في حاجة الى فكر ودماء وأقلام ومال ، وهذا الكتاب وسيلتى في هذا المجال ، وهو في الوقت نفسه هديتى لأرواح الشهداء الذين سقطوا أو سيسقطون في هذه المعركة الكريمة .



وليس في النية - الآن - أن أوصل الكتابة عن أديان أخرى ، كالزرادشتية والكنفوشية والأديان البدائية وغيرها ، لسببين :

أولا : أن الهدف الذى قصدتُ إليه كان الكتابة عن الأديان السماوية . فهى التى تعنينا أكثر من سواها ، ويدور بينها صراع طويل كان لابد أن نتكبح دوافعه وأن نتبين أهدافه ، ثم امتد بنا الحديث الى البوذية ، لأنها دخلت ميدان التنافس في الدعوة والانتشار وبخاصة في الشرق الأقصى ، ولم يكن من الممكن أن نتكلم عن البوذية دون الحديث عن أديان الهند ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن أفكاراً جمّة تسربت من

أديان الهند واختلطت بعقائد الديانات السماوية ، وسيوضح ذلك من الدراسة الآتية ، ومن هنا كانت دراسة أديان الهند ضرورية ، ولا يتحقق هذا في الزرادشتية والكنفوشية والأديان البدائية ، فهذه الأديان تتكلمش الآن ولا تأثير لها يذكر في عقائد الديانات السماوية واتجاهاتها .

ثانياً : إن دراساتي في التاريخ الإسلامي تحتاج الى جهدى كله في الوقت الحاضر ، رجاء أن أكمل أجزاء موسوعة التاريخ التي كان إقبال القراء عليها داعياً الى مزيد من الجهد ومزيد من العناية (١) .



يارب ... هبىء بهذا الكتاب النفع ، واجعله خالصاً لوجهك الكريم .

دكتور احمد شلبي

(١) ظهرت بفضل الله الأجزاء التسعة من موسوعة التاريخ الإسلامى ، وبقى منها الجزء العاشر عن أنور السادات وعهده ، وهو الذى اعمل فيه الآن .

مقدمة الطبعة السابعة

« الله أكبر » ذلك هو الهتاف الذى دوى ظهر العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ (السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣) وفى ظله انطلق جنودنا يفتحمون الصعاب ، ويهبطون كالثقل على العدو الصهيونى ، فبددوا قوته ، ودمروا بنيانه ، واستطاعوا أن يستردوا الأرض السليبية وأن يستعيدوا كرامة مصر ، وأثبتوا أنهم أحفاد الأبطال الذين قضوا على الهكسوس فى التاريخ القديم ، وعلى التتار والصليبيين فى العصور الوسطى ، والذين اقتحموا شرق البحر المتوسط وآسيا الصغرى وقلب إفريقيا فى القرن التاسع عشر حاملين القوة والحضارة ، على أسنة الرماح وأسنة الأقلام .

« الله أكبر » لقد زالت سنوات الهزائم ، وجاء عهد النصر بعد أن غربت شمس عبد الناصر ، فقد كان عهد هذا الرجل عهد حقد فى النفوس واضطراب فى الجهاز الحاكم ، ولهذا لم يستطع جيشنا أن يحقق أى نصر ، بل منى بهزائم قاتلة فى عدة أمكنة ، وفى عدة أزمنة ؛ فى اليمن وفى سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ ، كما ازدحم عصره بأنين المقهورين وصرخات المظلومين .

وفى عهد السادات حققنا النصر الذى رفع رعوسنا ، وكان على الرجل أن ينحنى لله شاكرًا ، وأن يدرك أن النصر من الله ، وأن جهد الشعب فى نيته عظيم ، ولكن الرجل اكتفى بهذا النصر ثوبًا سميكا من الغرور ، واندفع للعودة للديكتاتورية وحياة المعتقلات والتالك ، فدفع رأسه ثمنًا لهذا الانحراف .

فإلهم نسالك ألا تدفع لكان الرياسة فينا من يجعل بأسنا بيننا شديدًا ، ومن يفتتح الطريق لانتصار أعداء الإنسانية ، ولا من يخذع الغرور فيرفع نفسه الى شامق ، ثم يهوى منه فلا يجد من يترحم عليه .

وألهم يارب كل حاكم أن يدرك أن لكل إنسان نهاية ، وأن الظلم مهما طال سينهار ، وأن التاريخ لا ينسى الذين أساءوا والذين أحسنوا ، وأن الذين يخدعون الغوغاء لا يستطيعون أن يخدعوا التاريخ ، وأن عقوبة التاريخ أطول وأقسى من كل نعيم يحرص عليه الظالمون .

* * *

يارب إن أرواح الشهداء في الحروب الخاسرة ستمسك بتلابيب الظالمين ، فإن هزيمتهم وقتلهم لم يكونا عن ضعف ولكن عن سوء تدبير ، فارعنا يارب حتى لا تنزل بنا هزيمة مرة أخرى ، وبخاصة أن عدونا لا يعرف القيم ولا الأخلاق ، وقد وجد في حكام عهد الهزائم وسيلته ليضربنا ويقسو علينا .

* * *

وكالعهد بنا يارب نشكرك أجلّ الشكر ، وننحني لعطائك ، فقد كان التوفيق الذي منحتك لهذه السلسلة أعظم مما تمنيت ، ومع هذا فأطماننا في عطائك ترداد ، وآمالنا في جاهك تنمو .

والشكر للقارئ الكريم على إقباله وتشجيعه ، مع الوعد أن أبذل أقصى الجهد لأطور عملي وأحسنه . ويسرنى أن هذه الطبعة فيها زيادات ذات بال ترتبط بالأسسوية وأنسدية الروتارى والليونز ومنظمة اليوجا ، ذلك الوباء الذي دفعت به الصهيونية الى أرضنا في لفافات براقة ، وأوشك أن يفرخ في هذه الأرض عند من لم يعرف أن السم يختفى بين ثنايا هذه اللفافات والمؤسسات .

فنسالك اللهم أن تحقق بهذا الكتاب الخير ، وترشد به الناس ، وتجعله من العلم الذي ينفع صاحبه في دنياه وآخرته ، إنك نعم المجيب .

في الثاني من يناير سنة ١٩٨٤

دكتور أحمد شلبي

مقارنة الأديان

علم إسلامي ضاع ثم عاد

من مفاخر المسلمين أنهم هم الذين ابتكروا علم مقارنة الأديان ، وسنرى أن مفكرى الغرب يعترفون بذلك ، ومن الطبيعي أن هذا العلم لم يظهر قبل الإسلام ؛ لأن الأديان قبل الإسلام لم يعترف أى منها بالأديان الأخرى ، وكان كل دين يَعدُّ ما سواه من الأديان والأفكار هرطقة وضلالا وحسبك أن تتذكر موقف اليهودية من المسيحية ومن المسيح ، وبالتالي موقف المسيحية من اليهودية واليهود ، فاليهودية لم تعترف بالمسيحية ولا بالمسيح واعتبر المسيح نائراً استحق عندهم الحكم بالإعدام ؛ والمسيحية اعتبرت نفسها وريثة اليهودية ولم ترمع وجودها وجوداً لليهودية . ومثل ذلك موقف الهندوسية من البوذية والبودية من الهندوسية ، ومثله موقف المسيحية من الإسلام بالأندلس .

بل وصل الأمر الى أكثر من ذلك ؛ إذ أنكرت كل طائفة دينية جميع الطوائف الأخرى المنتسبة لنفس الدين وعدت اتجاهاتها هرطقة وضلالا ، وربما حكمت كل منها بالإعدام على أتباع سواها ، وحسبك أن تذكر مذبحة باريس التي حدثت في ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ حيث سطا الكاثوليك على ضيوفهم البروتستانت فذبحوهم وهم نيام ، وأصبحت شوارع باريس تجري بدماء الضحايا ، وراح البابا يهنئ ملك فرنسا على هذا التصرف .

وهذا الاتجاه كان هو الاتجاه العام بين الأديان وبين المذاهب .

ومن هنا لم يوجد علم مقارنة الأديان قبل الإسلام ، لأن المقارنة نتيجة للتعدد ، ولم يكن التعدد معترفاً به عند أحد ، فلم يوجد ما يترتب عليه وهو المقارنة .

وجاء الإسلام وكان موقفه بالنسبة للأديان الأخرى ينصوي تحت اتجاهين : الناحية النظرية ، والناحية الواقعية :

فمن الناحية النظرية يعلن الإسلام أنه الحلقة الأخيرة في سلسلة الأديان ، وأنه بالتالى ورث أهم ما فى الأديان السابقة وأضاف الى ذلك ما تحتاجه البشرية فى مسيرتها الى يوم الدين ، قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) (١) وبذلك يصبح الإسلام هو الدين الوحيد الذى لا دين سواه قال تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) (٢) . وقال (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبلَ منه) (٣) .

ويجمع المفكرون المسلمون على أن كل رسول يجيء برسالةٍ تناسب زمانه وتحقق أغراضها فى ذلك الزمان ، وكلما تغيرت الحاجة جاء طور من الديانة جديد يتفق مع الأديان السابقة فى أصل الوجدانية الكبير ويختلف فى فروعه تبعاً لحاجات الناس ، وهذا هو موقف الإسلام بالنسبة للأديان السابقة ، وبالنسبة لحاضر البشرية ومستقبلها ، ويتجه المفكرون المسلمون فى تفسير قوله تعالى (الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ، إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد) (٤) يتجهون الى أن الكفر بأى دين من الأديان التى نزلت بها الكتب المثار إليها ضلال يستحق مرتكبهُ العذاب الشديد .

وإذا كان هذا هو موقف الإسلام بالنسبة للأديان الأخرى من الناحية النظرية فإنه من الناحية الواقعية يعترف بالوجود الفعلى لجماعات غير مسلمة ، ويتحدث عن أهل الكتاب وأهل الذمة ، وينظم حقوقهم وواجباتهم ، وفى ضوء هذا وُجِدَ علم مقارنة الأديان .

(١) سورة الشورى الآية ١٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(٤) سورة آل عمران الآيات ١ - ٤ .

(٥) فى ظلال القرآن ج ٣ ص ٥٣ - ٥٤ .

القرآن الكريم وعلم مقارنة الأديان :

إن القرآن الكريم يضع جذور علم مقارنة الأديان عندما يقول « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » (١) فالجاذلة بالحنى هى مفهوم هذا العلم ، بل ورد فى القرآن الكريم بعض الآيات التى تحمل اتجاه المقارنة كقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) (٢) . وفى الآية مقارنة بين التوحيد والتعدد ، وبيان أن التعدد يسبب الفساد ، ومثل قوله تعالى : (أفمن يخلق كمن لا يخلق) (٣) وفى الآية نوع من المقارنة ؛ فالخالق الأعظم لا يمكن أن يماثله هذا النوع من الآلهة التى لا تستطيع أن تخلق ذباباً ولو اجتمعت هذه الآلهة لخلقه .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة أخرى للمقارنة ، كما أن القرآن تحدّث عن كثير من الأديان سماوية كانت أو وضعية ، فتحدّث عن اليهود واليهودية والمسيح والمسيحية ، وتحدّث عن عبدة الأصنام والطاغوت والملائكة ، وسماههم القرآن أدياناً مع بطلانها ، قال تعالى : (لكم دينكم ولى دين) .

الحديث الشريف وعلم مقارنة الأديان :

واهتم الرسول صلوات الله عليه بعلم مقارنة الأديان كما تفيد ذلك كتب الأحاديث وكتب السيرة ، وقد أورد ابن هشام محاوره رائعة بين الرسول عليه السلام وبين عدى بن حاتم الطائى ، الذى كان قد اعتنق المسيحية وهى تعدد دراسة جيدة فى علم مقارنة الأديان ، وقد انتهت بأن أعلن عدى دخول الإسلام وتبعه قومه (٤) .

(١) العنكبوت ٦ .

(٢) الأنبياء ٢٢ .

(٣) النحل ١٧ .

(٤) موسوعة التاريخ الإسلامى للمؤلف د ١ ص ٤٢٦ وما بعدها من الطبعة الحادية عشرة .

وجرت مناقشات بين الرسول وبين اليهود حول الكتب المقدسة وكان مسور بن سبحان هو المتحدث عن اليهود ، وقد سأل هذا رسول الله سؤالاً هو : ما دليلك على أن القرآن من عند الله ؟ فجاء الجواب من الله « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » (١) .

وجرت مناقشات كثيرة بين اليهود وبين الرسول ، وكان بعضها يجري في « بيت المدراس » وجرت مناقشات أخرى بين الرسول وبين وفد نجران من النصارى ، وعلى إثر المقارنات والمجادلات الدينية الهادئة دخل الإسلام من اليهود بعض قاداتهم مثل عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسد بن عبيد ، كما دخل الإسلام كثير من نصارى نجران .

وقد أوردنا بعض التفاصيل عن هذه المقارنات والمجادلات في كتابنا « تاريخ المناهج الإسلامية » (٢) .

تدوين علم مقارنة الأديان عند تدوين العلوم الإسلامية :

فلما جاء عصر التدوين في منتصف القرن الهجري الثاني وبدأ المسلمون يكتبون الفقه والتفسير والحديث اتجهوا كذلك للكتابة في علم مقارنة الأديان ، فهو بذلك علم إسلامي كباقي العلوم الإسلامية ومن المشاهير الذين كتبوا في مقارنة الأديان النوبختي (٢٠٢ هـ) ويعتبر كتابه « الآراء والديانات » أول كتاب في هذا المجال ، وبعده كتب المسعودي (٣٤٦ هـ) كتابين عن « الديانات » ثم جاء المسبجي (٤٢٠ هـ) فكتب كتابه « درك البغية في وصف الأديان والعبادات » وهو كتاب مطول يقع في حوالي ثلاثة آلاف ورقة . وكثر بعد ذلك التأليف في هذا المجال ، ومن أبرز الكتب التي كتبت عن الملل والنحل واتخذت هذه التسمية عنواناً لها كتاب « الملل والنحل » لأبي منصور البغدادي (٤٢٩) وكتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم الأندلسي (٤٥٦) وكتاب

(١) النساء ٨٢ .

(٢) ص ٩٨ وما بعدها .

« الملك والنحل » للشهرستاني (٥٤٨) وهناك كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة » لأبي الريحان البيروني ، وهو — كما ينبىء اسمه — خاص بأديان الهند وليس شاملا للأديان والمعتقد المختلفة كالكتب السابقة .

ويقرر أن هذا العلم علم إسلامي ، ولكنه لا يعود به الى أصوله القرآنية أو المرتبطة بالأحاديث الشريفة ، ويكتفى بظهوره كعلم في مرحلة التدوين ، وكلماته هي (١) :

إن تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى ، ذلك التسامح الذى لم يُسمع بمثله في العصور الوسطى ، كان سببا في أن يلحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى وهو علم « مقارنة الأديان » ونشأة هذا العلم لم تكن من جانب المتكلمين ، ومعنى ذلك أن هذا العلم لم يكن وسيلة عند المسلمين للحطّ من الأديان الأخرى ، وإنما كان دراسة وصفية ، لا تعصب فيها ، تؤدى الى نتائجها الطبيعية . وبواسطة هذا العلم دخل الآلاف والملايين في الدين الإسلامى .

أسباب اختفاء مقارنة الأديان :

ضعف علم مقارنة الأديان واختفى لأسباب أوردناها في كتابنا « تاريخ المناهج الإسلامية » ونورد فيما يلى خلاصة لها :

١ — ازدحمت قصور الملوك والخلفاء في عصور الضعف بزوجات من أهل الكتاب ، وبعدهم من الأطباء والوزراء من غير المسلمين ، وبسبب نفوذ هؤلاء ضعف صوت مقارنة الأديان الذى كان يطن في عقائدهم المنحرفة ، وقد استطاع أصحاب النفوذ أن يسكتوا أصوات المتحدثين في مقارنة الأديان ، حتى اختفت هذه المادة من الدراسة ومن المناهج .

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣٦٦ .

٢ - زحف الصليبيون على الشرق الإسلامي بقصد تدمير الإسلام والمسلمين ، وقابل المسلمون القوة بالقوة ، وكان من الواضح أن الصليبيين لا يعرفون التسامح الديني ولا الجدل بالحسنى ، فخفت صوت هذه المجادلة تحت صليل السيوف .

٣ - في عصور الضعف التي ألت بالمسلمين اتجه أكثر فقهاء المذاهب الى التعصب لمذاهبهم الفقهية ، وقلّ أو انعدم اطلاعهم على المذاهب الأخرى ومن باب أولى قلّ أو انعدم اطلاعهم على الأديان الأخرى وقضاياها .

٤ - ومما دفع المسلمين الى إهمال علم مقارنة الأديان - بالإضافة الى ما سبق - أن بعض المسلمين تبنوا الاتجاه الذي كان سائداً لدى أتباع الأديان السابقة للإسلام ، فقد كان هؤلاء لا يعترفون بغير دينهم ، وبالتالي لا يعترفون بإمكان المقارنة بين الأديان ، فلما اقتبس بعض المسلمين هذا الاتجاه دانوا به ، ووجد منهم من يهاجم مقارنة الأديان باعتبار أن الإسلام لا يُقارن بسواه ، وقد نسى الذين ينتهجون هذا الاتجاه ما سبق أن أوردناه من أن القرآن الكريم هو الذي وضع جذور هذا العلم ، ووجدت به بعض آيات تحمل اتجاه المقارنة .

انتقال علم مقارنة الأديان للغرب :

إذا كان المسلمون في عصور الظلام قد أهملوا مقارنة الأديان لسبب أو لآخر ، فإن موقف المسيحيين من هذا العلم كان مختلفاً ، لأن اللقاءات السلمية بين المسلمين والمسيحيين في الشام والأندلس وصقلية عرّفت المسيحيين بمقارنة الأديان ، وأثبتت لهم قيمة هذا العلم فراحوا يتعلمون أسسه ويحارلون الانتفاع به .

ثم جاء عصر الاستعمار ، وقرر الخبراء من البشرين أن الإنسان به نزعة دينية في أعماقه مهما كان مادياً أو تظاهر باللا دينية ، كما قرروا

أن رباط الدين لا يقل عن رباط الدم والجنس ، ثم إن معرفة الداعي بدين المدعو واعتقاده ، يساعد كثيراً في التأثير عليه ، وبناء على هذه الأسس زاد علم مقارنة الأديان بالغرب نشاطاً ليكون من وسائل التبشير ونشر المسيحية .

عودة مقارنة الأديان للساحة الإسلامية :

بيد أن المسلمين في العصر الحديث أفاقوا من غفوتهم ، وراحوا يحاولون أن يستعيدوا الزمام ، وأن يحيوا من جديد علم مقارنة الأديان ليكون في أيديهم سلاحاً في الحاضر كما كان سلاحاً في الماضي ، وقد سار جيلنا في هذا الطريق شوطاً طويلاً حتى استطعنا أن نصل حاضرنا بماضينا في مجال هذه الدراسات ، وبدأ الدعاة المسلمون يطبقون قوانين هذا العلم وهو يقومون بالدعوة للإسلام .

وهكذا عاد علم « مقارنة الأديان » للظهور في معاهد العلم الإسلامية ، ولكنه في الحق لم يأخذ بَعْدُ مكانه اللائق ، ونرجو أن يتجه إليه مزيد من الاهتمام ليلعب هذا العلم دوره في التعريف بالإسلام وردِّ العدوان عنه ، وليكشف عن أنواع الزيف التي ألصقها المغرضون بكثير من الأديان ، ويوم ينشط هذا العلم ستخبو ترهات الباطل ، وتتضح معالم الحق ، وليس هذا اليوم ببعيد .

ونحب أن نوضح أن بعض المفكرين يستعملون أحياناً مقارنة الأديان في بحوثهم ربما بدون أن يقصدوا الخوض في هذا العلم ، ولعل من ذلك ما ورد في كتاب « الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح » ونصه « الدلائل الدالة على صدق محمد أعظم من الدلائل الدالة على صدق موسى وعيسى ، ومعجزات محمد أعظم من معجزات غيره ، والكتاب الذي أرسل به أشرف من الكتب التي بعث بها غيره ، والشريعة التي جاء بها أكمل من شريعة موسى وعيسى ، وأمهته أكرم من أمته أكرم من أمته »

هذا وذاك ، ولا يوجد في التوراة والإنجيل علم نافع وعمل صالح إلا وهو في القرآن أو مثله أو أكمل منه ، وفي القرآن من العلم النافع والحث على العمل الصالح ما لا يوجد في التوراة والإنجيل . . . » (١) .

فهذه اتجاهات مفاضلة ، ولكنها في الحق نتائج بدون مقدمات ، وعندما يمسك بها علم مقارنة الأديان يُخْرِج منها ثروة فكرية رائعة تبرز جمال الإسلام ورجحانه على سواه ، فعلم مقارنة الأديان يمسك القضايا الدينية ويشرحها ويبرز عناصرها ، ويقارن بينها ، كما فعلنا في قضية الألوهية حيث عرضنا اتجاهات الأديان المختلفة تجاه الله سبحانه وتعالى ، وقد وضّحت هذه الاتجاهات أن الفكر الإسلامي قمة شامخة ، وأن ما سواه حافل بالانحراف والوثنية والتعدد ، ومثل هذا ظهر عند ما تدارسنا معجزات الأنبياء ، والكتب المقدسة ، والتشريع ، وغير هذه من القضايا .

وفي كلمة مجملّة نتمنى أن يعود علم مقارنة الأديان إلى المعاهد الإسلامية ، وأن يأخذ قدره بين العلوم الإسلامية ، ليقدم الإسلام في الحاضر والمستقبل كما خدمه في الماضي .

ولكننا نحذر من شيء نخشى وقوعه ، أو قل إنه وقع فعلا ذلك أن بعض الجامعات الإسلامية اتجهت لإحياء مقارنة الأديان ، ولكنها للأسف وكأنت تدرّيس هذه المادة لغير المتخصصين وغير التحمسين ، وكانت النتيجة أن ظهر كائن هزيل سُمي مقارنة الأديان ، وهو ليس كذلك ، ومن أجل هذا أتمنى أن تكون لجان دقيقة لتضع الخطة التفصيلية لهذه المادة .

(١) نقل عن : الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص ٥٥ للاستاذ عبد العزيز المسلمان (من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي) .

فائدة علم مقارنة الأديان :

استكمالاً للحديث عن مقارنة الأديان يجدر بنا أن نلخص الفائدة العظمى التي يحصل عليها المسلمون من مدارس « مقارنة الأديان » ، وهي بإيجاز كالآتي :

أولاً : الأديان من منبع واحد هو الله سبحانه وتعالى ، والإسلام خاتمها ، ولذلك كان أشمل وأكمل ، فمن طبيعة اللاحق أن يضيف جديداً للسابق ، ومع أن الأديان من الله فإنه تعالى أعطى الدواء بقدر طاقة المريض ، فكان يعطى البشرية من الهدى والتوجيه بقدر ما تحتمله البشرية ، وما يناسب عودها الذي بدأ ضعيفاً ثم اشتدَّ رويداً رويداً حتى اكتمل نموه ، وقد تحدث الإمام محمد عبده عن هذا التطور في الأديان ، وشرحنا ذلك بإضافة في كتابنا « الإسلام » من سلسلة مقارنة الأديان في موضوع خاص بعنوان « تطور الرسالات مع تطور الجنس البشري » .

ومن الواضح تبعاً لذلك أن المسلم عندما يقرأ الكتب المقدسة سيعرف المكانة العظمى للقرآن بين هذه الكتب ، وكذلك عندما يقرأ التشريع هنا وهناك ، وعندما يدرس العقيدة وهكذا .

ثانياً : إن دراسة علم مقارنة الأديان ستلزم الدارس أن يتعرف عن تاريخ كل دين ، وإلى أي مدى تأثر أو انحرف في رحلته التاريخية الطويلة ، وستقوده هذه الدراسة العلمية إلى حقيقة مهمة هي أن المسيحية الحالية مثلا ليست مسيحية عيسى على الإطلاق ، وأن اليهود جعلوا تاريخهم بعض دينهم ، وإن المحاولات التي جرت للانحراف بالإسلام قد فشلت تماماً ، وحافظ ديننا على نقائه بفضل القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول الصحيحة ، وأن ما دخل عليه من إسرائيليات أو نحوها هي الآن هدف هؤلاء الباحثين المسلمين للقضاء عليها .

ثالثاً : سيدرك الباحث في علم مقارنة الأديان أن كثيراً من المسلمين بعدوا عن الدين الصحيح ، فهم عرفوا مبادئ الإسلام ولكنهم بعدوا عن أخلاقه ؛ فمنهم مَنْ يستطيع أن يفسر آيات الحسد ولكنه يحسد ، ويفسر آيات التعاون ولكنه لا يتعاون وهكذا ، وإذا انحرف هؤلاء وبخاصة ممن يُعْرَفون برجال الدين انجرّ سواهم الى الانحراف عن الإسلام . وعلم مقارنة الأديان يدرس طبيعة الإسلام ويبحث عن أسباب بُعد المسلمين عنه ، ويعالج هذا الأمر بعناية ليعود المسلمون للإسلام الصحيح .

* * *

أسس لدراسة « مقارنة الأديان »

أولاً - فيما يتطرق بالمنهج :

لدراسة مقارنة الأديان طريقتان :

١ - الطريق الأول أن تكون المباحث الكبرى بالأديان هي عناوين الكتب ؛ كأن نكتب كتاباً عن « الله » وندرس به مختلف الاتجاهات عن الإله ، ونكتب كتاباً عن « النبوة » وثالثاً عن « التشريع » ، وهكذا . . . وقد سار على ذلك المنوال بعض الباحثين مثل الأستاذ العقاد في كتابه « الله » . ومثل Max Mueller (ماكس مللر) في كتابه « أبحاث في الأسطورة الدينية المقارنة » .

ولكن يؤخذ على هذه الطريقة بعض ما أخذ أهمها :

أولاً : أن مباحث الأديان ليست متشابهة ؛ فمثلاً :

— تاريخ اليهودية له أثر كبير في عقيدتهم ، ومن ثمّ يجب أن يكون مبحثاً هاماً عند دراسة « اليهودية » ، ولكن التاريخ الإسلامي ليس ذا أثر

في العقيدة الإسلامية ، ومن ثم فليس ضرورياً أن يكون ضمن مباحث كتاب
عن « الإسلام » .

- لم يتكلم بوذا عن الإله ، ولكن « محمداً تكلم عنه وأفاض :
- في البوذية موضوع الترفاننا ، وفي الجينية موضوع النجاة ؛ وليس
في الأديان السماوية ما يماثل هذه المباحث ؛
- في أديان الهند موضوع التناسخ ، وليست كذلك الأديان السماوية .
وإذا لم تتشابه المباحث كانت المقارنة غير دقيقة .

ثانياً : دراسة مقارنة الأديان على هذا النحو لا تعطى فكرة
متكاملة عن كل دين ، إذ سترد مباحث كل دين متناثرة هنا وهناك .

ثالثاً : المباحث التي توجد في دين واحد من الأديان سيكون
موضوعها قلتماً في هذه الدراسة ، إذ لا توجد مقارنة بين الأديان غنياً .
على أن دراسة مقارنة الأديان على هذا النحو ينبغي أن تجيء
بعد دراسة الأديان نفسها ، فإن طبيعة المقارنة أن تتأخر عن استيعاب
الأصل ، ففي الأدب المقارن يلزم أن ندرس الآداب المختلفة ثم نقارن
بينها ، وفي الفقه المقارن يلزم أن ندرس التشريعات المختلفة ثم نقارن
بينها ، وفي مقارنة الأديان يلزم أن ندرس الأديان ثم نعقد المقارنة بين
مباحثها .

٢ — الطريق الثاني هو أن يخصص كتاب لكل دين . تدرس فيه
مباحثه في العقائد والتشريعات المختلفة مشفوعة بالمقارنة كلما وجد لها
مجال ، وهذا الطريق هو الذي يسير عليه أغلب الكتاب ، وهو ما اتبعناه في
هذه الدراسة ، وبه نتحاشى المآخذ التي سبق أن أوردناها على الطريق
الأول ، ويمكن القول إنه — بسبب هذه المآخذ — لم يسر أحد الى آخر
الشوط في دراسة مقارنة الأديان متبعاً الطريق الأول .

ثانيا : فيما يتعلق بالمراجع :

من المفاخر التي أشعر بها وأحمد الله عليها أنني اتبعت الفكرة الأصلية فيما يتعلق بالمراجع في دراسة مقارنة الأديان ، فاعتمدت - أساساً - على المراجع الرئيسية ، ودرست عقائد هذه الديانات وعرضت أفكارها من مراجعها ، وكان هذا سبباً في كل هذه الكتب ، كانت الكتب المقدسة الهندية وما كتبه الهنود يمثل أهم مراجعي وأنا أبحث أديان الهند ، وكان العهد الجديد وما كتبه المسيحيون أبرز ما اعتمدت عليه وأنا أكتب المسيحية ، وكان القرآن الكريم وأحاديث الرسول وكتابات المسلمين مصادر التي اغترفت منها ما صورت به الإسلام ، وهنا مع اليهودية كان العهد القديم ، والتلمود ، وبروتوكولات حكماء صهيون ، وما دونه مشاهير اليهود ، أهم مصادر التي سيقابلها القارئ من حين إلى حين ، ومن أهم ما تلزم الإشارة إليه هنا في هذا العرض المراجع التالية :

• أسفار العهد القديم

• التلمود

• بروتوكولات حكماء صهيون

The Jewish Encycopaedia

Arthur Hertzberg : Judaism

Ch. Guignebert : The Jewish World in the Time of Jesus

J. Hosmer : The Jews

Charles Foster Kent : A History of the Hebrew People

Margolis and Marx : A History of the Jewish People

Laurance Browne : From the Babylon to Bethlehem

J. W. D. Smith : God and Man in Early Israel

E. H. Weach : Civilization of the Near East

Berry : Religions of the World

J. Shotwell : The Religious Revolution of to day

Reinach : History of Religions

G. Allen : Evlution of the Idea of God

وسواها من المراجع التي سيقابلها القارىء من وقت لآخر مشفوعة
بآرائى فقد كنت دائماً هناك ، أخطئ ، وأمهّد وأعرض ، وأعلق ، على
نحو ما يلزم فى البحث العلمى .

* * *

ثالثاً : فيما يتعلّق بالحيدة :

والحديث عن المراجع يقودنا للحديث عن الحيدة اللازمة فى دراسة
« مقارنة الأديان » ومن الواضح أن أكثر الذين كتبوا عن الأديان هم من
اليهود أو من تلاميذهم ، فالدرسة اليهودية عن الأديان سبقت كل المدارس
تقريباً وأثّرت فيها ، ولم يكن أكثر هؤلاء محايدين ، وقد أدى ذلك الى
كثير من الاضطراب العلمى ، فاليهود استخدموا كل وسائلهم وكل مواهبهم
لا ليخدموا الحق بل ليخدموا أهدافهم ، فتركوا للناس تراثاً حافلاً
بالانحراف ، يحتاج تصحيحه وتحقيقه الى جهد كبير ، أرجو أن يكون
هذا البحث لبنةً من لبّنته أضيفها الى لبّنتات الزملاء والباحثين
الذين يشيدون صرح الحق ويدمرون بناء الباطل .

وقد سرت فى دراسة مقارنة الأديان والحيدة طريقي ، لا أحيّد
عنها ولا أنحرف ، كما اتخذت اليسر وسيلتى ، فكنت أتتبع النصوص
لتقودنى الى الغاية ، دون أن أفرض نفسى أو فكرى عليها ، وكان هدفى
أن أجعل الدراسة موضوعية لا ذاتية .

ولا شك أن هذا هو الطريق الصواب ، والكاتب الذى يظهر تعصبه
ينفض عنه القراء ، فلا يكون لعمله جدوى ، ولقد حاولت جهدى أن
أكون منصفاً وموضوعياً وأرجو أن أكون قد وفقت فيما حاولت الوصول
إليه .

وفى ضوء هذه المقدمات نضو لنعرض أبحاثنا عن اليهودية :

* * *

البَابُ الْأَوَّلُ
الْيَهُودُ فِي التَّارِيخِ

المنطقة وسكانها :

المنطقة التي ستدور حولها دراستنا تقع على الضفة الغربية لنهر الأردن ، وتمتد جنوباً حتى قمة خليج العقبة ، وينبغي أن نتعرف على طبيعة هذه المنطقة ، ومن هم سكانها في تلك العصور السحيقة التي ستبدأ عندها أبحاثنا . وينبغي كذلك أن يمتد بحثنا شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً حتى نكون هورة واضحة عن فلسطين ، وعن الدول المحيطة بها والتي كان لها أثر فيها ، وستفيدنا هذه الدراسات طوال هذا البحث ، فتمددنا بعناصر خطيرة تشرح لنا كثيراً من الظواهر ذات الأثر الفعال في مجريات الأمور :

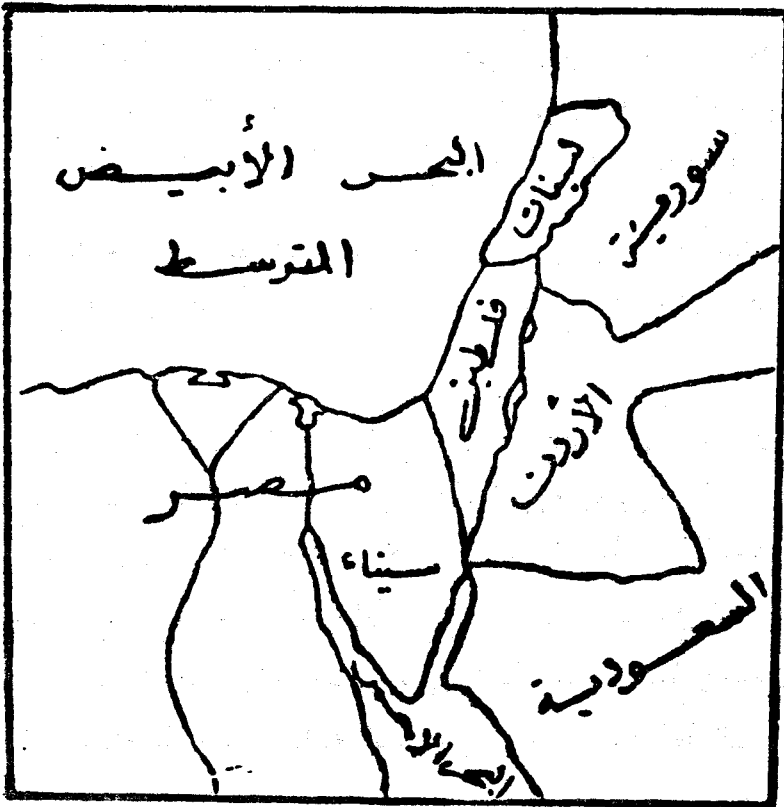
وهذه المنطقة أشبه بشريط ضيق ينتهي من جهة الجنوب بمثلث ، رأسه إلى الجنوب وقاعدته إلى الشمال ، ويلتقي رأسه بطرف خليج العقبة ، وتمتد قاعدته من نهر الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط .

ومساحة هذه المنطقة ليست واسعة ، فهي حوالي ٢٧ ألف كيلومتر مربع ، أي أقل من ثلث مساحة سيناء ، فمساحة سيناء حوالي ٨٢ ألف كيلومتر .

وهذه المنطقة ليست غزيرة الغنى ، وتتركز الثروة بها في المعادن الراسبة بقاع البحر الميت ، وأهمها كلورات البوتاسيوم وكلورات الصوديوم وكلورات المغنسيوم ، أما الثروة الزراعية فتشمل البرتقال بالساحل ، والحبوب بمرج ابن عامر ووادي الأردن ، والزيتون بالمنطقة الجبلية ، أما منطقة النقب فترتبط الزراعة بها حتى كتابة هذه السطور بكمية الأمطار التي تسقط عليها . ومساحة النقب حوالي مساحة المنطقة كلها ،

وعنى هذا فاهمية هذه المنطقه ليست لاتساعها ولا لثرائها ، ولكن لموقعها الفذ بين مناطق الشرق الأوسط ، فهي بالنسبة لخريطة العالم حلقة

اتصال بين أوروبا وآسيا وإفريقية ، وهي مع صغر مساحتها متصلة
بالبحر الأبيض والبحر الأحمر ، وعن طريقهما تتصل بالمحيط الأطلسي
والمحيط الهندي وبالذول الواقعة عليهما ، وهي بالنسبة للعالم العربي
تعتبر المنطقة الوحيدة التي تتصل بأكبر عدد من دول العالم العربي ،
فهى تتصل ببلبنان وسورية والأردن والسعودية ثم بجمهورية مصر
العربية ، وهذا ما لا يتوافر لسواها من دول هذه المنطقة ، ثم يمكن أن
تكون حاجزا أو حلقة اتصال بين الدول العربية بآسيا والدول العربية
بإفريقية ، ومن هنا كانت عروبة هذه المنطقة وحسن صلتها بجيرانها
ضرورة حيوية ما لها من محيد .



أهمية موقع فلسطين

وبعد هذا الحديث الموجز عن المنطقة نسير خطوة جديدة لنتحدث عن سكانها من أقدم العصور المعروفة ؛ فلنعد الى الألف الثالث قبل الميلاد لنرى أفواجاً من القبائل العربية تهاجر من شبه الجزيرة العربية الى الشمال تحت ضغط القحط وقسوة الصحراء ، ويقول Charles Foster Kent إن الفينيقيين كانوا أسبق هذه الجماعات المهاجرة ، وقد وجدوا على شاطئ البحر المتوسط مستقراً لهم فأقاموا به ، وكان مقرهم شريطاً ساحلياً ضيقاً يحدّه البحر من الغرب وتعزله السلاسل الجبلية بالشرق عن باقى المنطقة ، ومن هنا اتجه هؤلاء الى البحر فركبوه واتصلوا عن طريقه بدول كثيرة عن طريق التجارة ، وسرعان ما أصبح هؤلاء جنساً شهيراً في سيادته التجارية عبر البحار ، ثم امتد نشاطهم فأصبحوا حملة الحضارة بين دول العالم القديم .

والى الجنوب من الفينيقيين نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها قبائل الكنعانيين حوالى سنة ٢٥٠٠ قم واستقرت على ضفة الأردن الغربية مناسبة نحو البحر المتوسط وسميت هذه المنطقة باسمهم فأصبحت تدعى « أرض كنعان » وهو الاسم الذى يكثر وروده فى التوراة . وحوالى سنة ١٢٠٠ قم نزلت بالساحل المطل على البحر الأبيض جماعات من جزيرة كريت (اقريطس) وكانت هذه الجماعات أو القبائل تسمى قبائل فلسطين ، وقد نزلت بين يافا وغزة ، واختلط الكنعانيون بالقبائل الوافدة من كريت ، وتمّ بين هؤلاء وأولئك مزيج غلب عليه الدم العربى واللغة السامية من جانب ، والاسم الواقد من كريت من جانب آخر ، فأصبحت هذه البلاد تعرف بفلسطين (١) .

وفى الشمال الشرقى لنهر الأردن كانت تعيش قبائل الآراميين الوافدة من حوض الفرات بعد أن ازحمت سهول دجلة والفرات بالوافدين من

(1) A. History of the Hebrew People p. 29.

(٢) Ibid ص ٢٠ وغوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات

الجزيرة العربية . وعده القبائل هي المعروفة في الكتب المقدسة بالسوريين ، وكانت دمشق عاصمتها ، وكانت هذه القبائل تعمل في الزراعة ، وراكن موقعها دفعها للعمل في التجارة البرية ، فاذا كان الفينيقيون قد اشتهروا بركوب البحر متاجرين ، فإن السوريين ركبوا البر منافسين لهم في النشاط التجاري ، والآراميون كانوا قريبين جداً من الكنعانيين في لغتهم وديانتهم وعصرهم .

والى الشرق من نهر الأردن ثم الى جنوب البحر الميت تقع الممالك الثلاثة عمون ومؤاب وإدوم ، وسكانها ينحدرون - كالآراميين - من سهل



المنطقة قبل زحف العبرانيين

الفرات وتربطهم بهم روابط نَسَب ، كما أن روابط جمة تشمل اللغة والعادات والأفكار الدينية كانت تربط هذه الممالك بعضها ببعض . وكانت لغتها لهجة من الكنعانية ، وتعتبر مؤاب أكثرها حضارة إذ كانت أسرعها في التحول من نظام البدو الى عالم الحضارة ، ويبدو أن خصب موقعها ساعد على سرعة التحول فاستقرت واشتغلت بالزراعة وبنّت المدن العظيمة . أما مملكة إدوم فكانت تمتد الى خليج العقبة ، وأهم ما كانت تشغل به هو رعى الأغنام في السهول الفسيحة التي تتبعها ، ومن أجل هذا كانت أقل الممالك الثلاثة حضارة ومدنية ، وكانت عمون — في الشمال من مؤاب — تعمل في الزراعة والرعى جميعاً فبعض بطونها استقر وبنى المدن واشتغل بالزراعة ، والبعض الآخر ظل يتجول ويرعى الغنم والماشية ، وهي لهذا تعد من جهة المدنية وسطاً بين مؤاب التي اتجهت الى الاستقرار والزراعة ، وبين إدوم التي ظلت تعيش عيشة البادية (٨) .

المناطق المحيطة :

المناطق السابقة هي المناطق ذات الصلة الوثيقة بدراستنا عن اليهود ، وبقي علينا بعد ذلك أن نتكلم كلمة عن الدول المحيطة بهذه المناطق ، ونعني بها مدين في الجنوب الشرقي ، ومصر في الجنوب الغربي ، وبابل وأشور في الشمال والشمال الشرقي ، وطبيعي أن اليهود وهم في فلسطين عرفوا هذه الدول واتصلوا بها مسالين حيناً ، ومحاربين حيناً ، وتأثروا كثيراً بأفكار السكان ومعتقداتهم ، فعرّفنا على هذه الدول هنا يثعداً أساساً من أسس هذه الدراسة .

تقع مدين في الشمال من شبه الجزيرة العربية ؛ وكانت لها صلة وثيقة بالجزيرة العربية وبمصر وأرض كنعان ، وسنرى أن موسى لجأ إليها عقب

(١) Charles Foster Kent : A History of the Hebrew People pp. 31-32.

هربه من مصر ، وتعتبر مدين مَعْبَرًا بين الصحراء العربية وبين فلسطين وما حولها .

على أن مصر وبابل كانتا أكثر تأثيراً في أرض كنعان فإن أرض كنعان وقعت بين هاتين الدولتين الكبيرتين اللتين ازدهرت فيهما أرقى حضارة في العصور القديمة ، وكانت هناك حروب ومنافسات لا تنقطع بين هاتين الدولتين ، وكانت أرض كنعان ميداناً لهذه الحروب كما كانت تتأثر بنتائجها ، فغالبا منها يسيطر على كنعان وتكون له السيادة على سكانها ، ولذلك يقول ول ديورانت (١) إن موقع فلسطين جاءها بالغنى والحرب .

وتدل الآثار البابلية على أن بابل كان لها السلطان على أرض كنعان في الألف الثالث قبل الميلاد ، وكانت حضارة الكنعانيين شديدة التأثير



مناطق الساميين قديماً

(١) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٢١ .

بحضارة بابل ، وساعد على تقديم بابل تغلب الرعاة الهكسوس على مصر ، وهؤلاء الرعاة هم من أعراب الجزيرة العربية وقد اجتاحوا أرض مصر مدفوعين بالقحط الذي كان قد أصاب الجزيرة العربية وسوريا ، وقد انتهز الهكسوس فرصة انحلال الأسرة الثالثة عشرة الفرعونية بسبب الخلاف على ولاية العهد ، فاستولوا على شرق الدلتا ، واتخذوا « منف » بالقرب من القاهرة عاصمة لهم ، ثم انتقلوا الى أواريس بالقرب من الزقازيق ، وكونوا لهم أربع أسر من الأسر القديمة التي حكمت مصر ، واستمر حكمهم من حوالي ١٨٠٠ ق م الى سنة ١٥٨٧ ق م ،

أما الفراغة فقد بقوا بجنوب مصر متخذين طيبة (الأقصر) عاصمة لهم ، ثم انتقلوا الى غرب الدلتا واتخذوا « سخا » عاصمة لهم ليكونوا مواجهين لأعدائهم العاصيين وكانت هذه الفترة فترة نضال بين الهكسوس الذين سلبوا السلطة وبين الأمراء المصريين الذين هبوا يصارعون لاستعادة سلطانهم وطرد المعتدين ، وقد تمكن البطل أحمس في النهاية من النصر ، فطرد الهكسوس وأسس الأسرة الثامنة عشرة المصرية ، ومن أشهر الملوك المصريين الذين أكملوا انتصارات أحمس الملك تحتمس الثاني الفاتح العظيم ، الذي دانت له فلسطين وامتد سلطانه لسوريا ، فتواري أمامه سلطان بابل في تلك البقاع ، كما خضع له الحيثيون بالشمال (١) . وسرى أنه في عهد الهكسوس عاش اليهود بمصر ، فلما سيطر الحكم الوطني بها اضطرب موقف اليهود ولذلك يرى Maspero أن سيطرة الساميين على مصر أتاحت لليهود بعض الحماية (٢) .

تحركات العبريين :

ونجىء الآن الى العبريين أو العبرانيين لنسبر معهم خطوة خطوة ، ولكن ينبغي لنا في مطلع هذا البحث أن نقف وقفة تتساءل :

(1) Charles Foster Kent : A History of the Hebrew People pp. 27-28.

(2) Struggle of the Nations vol. 4. p. 70.

ما معنى كلمة عبري ؟

في الإجابة عن هذا نقرر أن العلماء لا يتفقون على معنى هذه الكلمة وإن اتفقوا جميعاً على مدلولها ، فالعبري هو المنحدر من ذرية إبراهيم ، ولكن لماذا سمى عبرياً أو عبرانياً ؟ يرى بعض الباحثين أن إبراهيم سمى عبرياً لانه عبر النهر ، ويحتمل أن يكون النهر المقصود هو نهر الفرات كما يحتمل أن يكون نهر الأردن (١) .

ويروى الدكتور إسرائيل ولفنسون رأياً آخر هو احتمال أن يكون إبراهيم منسوباً الى جده من أجداده الأقدمين يعرف باسم « عبر » . ولكن الدكتور ولفنسون لا يرضى بهذا الرأي . ولا بالرأى الذي قبله . ويرى أن كلمة عبري لا ترجع الى حادثة بعينها أو شخص بعينه ، وإنما ترجع الى الموطن الأصلي لبني إسرائيل . وذلك أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان ، بل ترحل من بقعة الى أخرى بإبلها وماشيها للبحث عن الماء والمرعى ، وكلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو النهر من عَبْرِهِ الى عَبْرِهِ . أو عبر السبيل : شَقَّهَا ، وكل هذه المعاني موجودة في هذا الفعل سواء في العربية أو العبرية ، وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية ، فكلمة عبري مثل كلمة بدوي أي ساكن الصحراء أو البادية . وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بني إسرائيل بالعبريين لملاقتهم بالصحراء ، ولتمييزهم عن أهل العمران ، ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدينة والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبري التي كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة ، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا بني إسرائيل فقط (٢) .

(١) سليمان مظهر : قصة العقائد ص ٢٨٤ .

(٢) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٧٧ — ٧٨ .

والعبريون ينحدرون من العرق السامي الذي ينتسب له الآشوريون والعرب ، وكانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهد الساميين ، وقد هاجر غريق منهم الى الشمال في بلاد بابل حيث كانت المملطة لحضارة السومريين والأكثاديين ، فأقاموا بها من الزمن ما أشبِعُوا فيه من تلك الحضارة ، ثم كثر عددهم فهاجروا من جديد في أدوار مختلفة ، فتقدموا نحو الشمال أكثر مما تقدموا قبل ذلك وانحدر بعضهم نحو الجنوب ، والساميون الذين بقوا في بلاد العرب هم أجداد الشعب العربي ، والساميون الذين مروا من موطن الحضارة في الفرات الأدنى ثم انتشروا في جميع آسيا وفلسطين هم الآشوريون والإسرائيليون (١) .

ويرى I. W. D. Smith (٢) أن العرب في العصر الحديث هم الذين يمثلون ملامح الساميين القدماء الجسمانية ، أما اليهود فإن صلاتهم مع الحثيين بآسيا الصغرى ، وتبادل الزواج معهم قد أثر فيهم ، وأخفى منهم كثيراً من الملامح السامية .

ورئيس الأرومة السامية التي دخلت فلسطين قادمة من العراق هو إبراهيم الخليل ، وهو ابن تارح ، وينتهي نسبه الى نوح ، وقد نشأ في أور الكلدانيين ، وكان أبوه يزاول عمل الأصنام وسخر إبراهيم من عمل أبيه ومن قومه الذين يعبدون ما ينحتون ، وناقشهم مناقشة عقلية يرويها القرآن الكريم ، قال تعالى « وائل ~~بني~~ إبراهيم نبي إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين ، قال : هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين » (٣) ثم تحولت السخرية الى عمل ضد

(١) غوستاف لويون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى من ٢٤ ج ٢٥

(٢) God and Man in Early Israel p. 5.

(٣) سورة الشعراء الآيات : ٦٩ — ٧٧ .

مذه الأَصنام ، إذ انتَهز إبراهيم فرصة وجوده وحده في حانوت
بنيه فأمسك فأساً وحطم هذه الأَصنام ، وجعل منها كومة من الحطام ،
ولم يدعْ إلا صنما كبيراً كان أعظمها شكلاً وأكبرها حجماً ، فوضع
الفأس في يده ، وجلس ليرى ، فلما عاد أبوه وقومه من عيدهم الذي كانوا
يحتفلون به خارج المدينة جئنَ جنونهم لما رأوا ، وصاحوا بإبراهيم :

أأنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم ؟

وأجاب إبراهيم في هدوء : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم .

قالوا في ثورة : كيف نسألهم وهم لا يتنطقون : وكيف يعمله
كبيرهم وهم لا يتحركون ؟ .

قال إبراهيم : إذا كيف تعبدون ما تتحتون ؟ والله خلقكم وما تعملون .

وكان ذلك من إبراهيم مطلع ثورة على الفكر والسلطان في بلاد
الكلدان ، ولم يستطع إبراهيم أن ينشر الحق فهاجر من أور الكلدانيين
هرباً من شرهم ، وهاجرت معه زوجته سارة ولوط ابن أخيه وبعض
الأقارب والخدم ، وأخذوا معهم ما يملكون من أغنام وماشية وأخذوا
يضيرون في الأرض ؛ ويبدو لى من تتبع المراجع ، ومن دراسة الآثار
اللغوية والاجتماعية التي اقتبسها هذا الرهط أن خط سيرهم كان أشبه
بجزء من دائرة ، فقد اتجهوا الى الشمال حتى اتصلوا بمناطق الآراميين ،
ثم انحدروا الى الجنوب حتى دخلوا أرض كنعان (١) ، وأطلق أهل
كنعان على إبراهيم ورفاقه « العبريين » لعبورهم نهر الفرات إذ لم يكونوا
قد عبروا نهر الأردن بعد ، أو لأنهم بدو متجولون يعبرون من واد الى
واد كما ذكرنا من قبل .

(١) قصة إبراهيم وردت في القرآن الكريم في سورة الأنعام ومريم والانبيا
والشمراء وغيرها .

متى تَمَّت هذه الرحلة ؟ يرى أكثر الباحثين أنها تمت حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م ، ويرجح بعضهم حدوثها حوالى سنة ١٨٥٠ ق م (١) .

وحط إبراهيم رحاله فى تلك البقاع ، ونعم بما فيها من رخاء وخير ، ولكن شيئاً خطيراً كان يحدث دون أن يلتفت إليه أحد ، أو ربما دون أن يدبره أحد ، ذلك هو الانعزالية التى كانت طابع الوافدين الجدد ؛ لقد رأينا الكنعانيين يختلطون بالفلسطينيين ، ورأينا الساميين الذين هاجروا الى مواقع الخصب فى الشمال يمتزجون بسكان الشمال ، أما العبرانيون فقد عاشوا وحدهم وآثروا العزلة منذ هاجروا من أور الكلدانيين ، قد يكون السبب فى ذلك أنهم كانوا يرفضون عبادة الأصنام فى حين كانت الأصنام هى معبودات الكلدانيين كما سبق ، فاعتزلهم إبراهيم ومن آمن معه ، ولكن العزلة أصبحت طابع العبرانيين حتى عندما انحرفوا وعادوا أو عاد أكثرهم الى عبادة الأصنام . كانت العزلة طابعهم فى أرض كنعان ، وكانت طابعهم فى مصر بعد ذلك بسبب ارتباط العبرانيين بالحكام المستعمرين فى مصر (الهكسوس) وبالتالي نظر الشعب لهم نظرة ريبية فلم يتم اختلاط بين هؤلاء وأولئك ، ثم إن البون كان شاسعاً بين العقليتين ، فالعبرانيون كانوا قومياً بدواً لا ثقافة لهم ، نزلوا بين أقوام لهم تاريخ ولهم حضارة ، فلم يكن من السهل الاندماج بين الطائفتين (٢) . ثم أصبحت العزلة تقليداً يهودياً لا محيد عنه ، وترتب على هذه الانعزالات مجافاتهم لمن حولهم فى جميع مراحل التاريخ ، واعتبارهم مَنْ حولهم من الأمم أعداء لهم (٣) ، ويصف الدكتور وايزمان أول رئيس لإسرائيل طابع العزلة فى اليهودية بقوله : وكان اليهود فى موتول (مسقط رأسه) بروسيا يعيشون كما يعيش اليهود فى مئات المدن

(١) J. W. D. Smith : God and man in Early Israel p. 5.

(٢) دكتور فؤاد حسنين : التوراة ص ١١ .

(٣) Charles Kent : A History of the Hebrew People p. 25.

الصغيرة والكبيرة ، منعزلين منكشزين ، وفي عالم غير عالم الناس الذين يعيشون معهم ^(١) . ثم اتجه الفكر اليهودي الى اعتبار العزلة أساس حياة اليهود ، وأدق صورة للتحريض على العزلة والتمسك بها ، ما ذكره سلامون شختر في خطابه بمدرسة اللاهوت اليهودية العليا ، حيث قال : إن معنى الاندماج في الأمم هو فقدان الذاتية ، وهذا النوع من الاندماج مع ما يترتب عليه من النتائج ، هو ما أختأه أكثر مما أختى المذابح والاضطهادات ^(٢) .

وتسبب عن هذه العزلة أحداث بالغة الخطورة ، فقد نظروا الى سواهم نظرة عدا وحنر ، وبالتالي لم يدينوا بولاء الى الوطن الذي يجمعهم بالآخرين ، وإنما اتجهوا بولائهم الى جماعاتهم ، فأصبحت هذه الجماعة هي وطنهم ، وهي دينهم ، وهي موضع تقديسهم ، وليس لهم بسواها صلة أو ارتباط . وقد نتج عن ذلك ما ذكره Charles Kent ^(١) بقوله : خلال أكثر فترات التاريخ كان العبرانيون محاطين بدائرة من الأمم المعادية التي تمثل حلقة من نار لا تدع لهم فككا .

لغة العبرين :

ونتوقف الآن قليلا عن الاستمرار في وصف تحركات العبرانيين لتحدث عن لغتهم ، وينبغي عند الحديث عن لغة العبرانيين أن نتذكر أن هؤلاء المهاجرين استغرقوا في رحلتهم فترة طويلة لم تصدها المراجع التاريخية ، ولكن لنا أن نتصور أن رحلة من أور الكلدانيين الى أرض كنعان ، يمضيتها مهاجرون معهم أنعامهم وأبقارهم ، لا بد أن تكون قد قطعت في عدة سنوات ، وبخاصة إذا لاحظنا أن هؤلاء المهاجرين لم يكن

(١) مذكرات وايزمان ص ٣ .

(٢) عبد الرحمن سامي : الصهيونية والمسيحية ص ٤٦ .
(1) Ibid. pp. 24-25.

لهم هدف يسعون له ، وإنما كان كل هدفهم أن يهربوا من أعدائهم الذين نفروا من دعوة إبراهيم ، ومن أجل هذا نتصور رهط إبراهيم يحط الرحال من حين إلى حين كلما وجد مرعى للماشية أو مستراحاً للرهط ، كما نتصور أن هذا الرهط قد انضم إليه خلال المسيرة أو الإقامة بعض أفراد من سكان المناطق التي يمر بها ، ولهذا اقتبس رهط إبراهيم كلمات كثيرة من الأمم التي اخترقها الرهط المهاجر ، فلما وصلوا إلى أرض كنعان كانت اللغة التي يتكلمون بها عبارة عن لهجة آرامية أقرب ما تكون إلى العربية ؛ ولكن العبريين كانوا ينطقون هذه اللهجة متأثرين بقواعدهم ونحوهم ومفرداتهم اللغوية وقد اصطلح على تسمية هذه اللهجة العبرية ، ولم يبد للغة الجويذة استقلال إلا حوالي سنة ١٤٠٠ ق م ، وأول النصوص المعروفة بهذه اللغة يرجع إلى سنة ١٢٠٠ ق م وقد ماتت هذه اللغة حوالي سنة ٢٠٠ ق م فعمرها لا يزيد عن ألف عام (١) .

ويلاحظ أن اللغة العبرية عندما انقرضت كلغة للتخاطب لدى بني إسرائيل ، بقيت حيناً يستخدمها الكهنة في الكتابات الدينية ، أما لغة التخاطب بين الإسرائيليين فقد أصبحت اللغة الآرامية ، التي انتشرت في العراق وفي سوريا وفلسطين وغيرها . وبعد فترة حلت الآرامية محل العبرية في الكتابة أيضاً ، ولكن اللغة اليونانية سرعان ما زاحمت الآرامية في الحديث والكتابة ، وقد كتبت أسفار العهد الجديد باليونانية إلا إنجيل متى فيرجح أنه كتب باللغة الآرامية ثم ترجم لليونانية (٢) .

الهكسوس والعبرانيون بمصر :

في القرون الأولى للألف الثانية قبل الميلاد زحف إلى مصر جماعتان ارتبط تاريخ كل منهما بالأخرى ، وهاتان الجماعتان هما : الهكسوس والعبرانيون . والهكسوس هم الرعاة العماليق ، وهم قوم من الأعراب الذين ذكروهم القرآن الكريم فيما بعد بقوله (الأعراب أشد كفراً

(١) دكتور فؤاد حسنين : التوراة ص ١١ و ١٢ .

(٢) أنظر الأسفار المقدسة للدكتور على عبد الواحد ص ١١ - ١٢ .

ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله (١) وعندما ادعوا الإيمان صاح فيهم القرآن الكريم . (قالت الأعراب آمنا . قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا . ولا يدخل الإيمان في قلوبكم) (٢) وقد اجتاح هؤلاء الرعاة أرض مصر بسبب القحط في الجزيرة العربية ، وكان ذلك وقت انحلال الأسرة الثالثة عشرة الفرعونية ، واستطاع الهكسوس أن يسقطوا هذه الأسرة ، وأن يستولوا على السلطة في شرق الدلتا ، وكانوا أربع أسر هي الرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة .

وكان ينسب إلى أحمس أنه هو الذي طردهم . ولكن لوحاً أثرياً كشف سنة ١٩٥٤ يسمى « لوح كامس » وقد أبرز هذا اللوح قصة الصراع الطويل الذي خاضه المصريون ضد الهكسوس . ووضح أن هذا الصراع ينقسم فترتين :

الأولى : هي حرب التحرير التي قام بها البطل المصري (سُتَنَنُ رع) الذي قاد معركة التحرير في بدايتها ومات في هذه المعركة ، وقد سجّلت آثار الطعنات على موميائه أوسمة لشرف الجهاد في سبيل الوطن الذي آمن به كأصدق ما يكون الإيمان في نفوس الأبطال .. فضحى بنفسه راضياً على هيكल الوطن المقدس ، وخلفه ابنه الأكبر البطل (كامس) في قيادة حرب التحرير بشجاعة وبساله .. إتماماً للرسالة الوطنية السامية ، وحقق النصر على أعدائه وضرب على أيدي الغزاة ومثري الفتن ، ولكن الموت لم يمهله أكثر من ثلاث سنوات .

والفترة الثانية من حرب التحرير كانت بقيادة الشقيق الأصغر لكامس ، وهو القائد العظيم (أحمس) .. الذي رأى فيه الأعداء شاباً لا يتجاوز الثامنة عشر .. فاستخفوا به وأرادوا أن يستردوا سيطرتهم وقوتهم .. فأعادوا بنساء عاصمتهم (حت وعرت) وهي (أواريس)

(١) سورة التوبة الآية ٦٧ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٤ .

التي أطلق عليها اليونان اسم (تانيس) ، ثم أطلق عليها العرب اسم (صان الحجر) وهي قريبة من مدينة الزقازيق الحالية ، إلا أن الشاب قرر أن ينتقم للوطن .. وقد تصدى لهم في إصرار .. حتى طردهم خارج حدود مصر وحقق النصر لبلادهم على الغزاة المعتدين ..

والفترة الثانية من هذا الكفاح الوطني معروفة في الوثائق التاريخية ، أما الفترة الأولى فكانت معلوماتنا عنها بسيطة وغامضة ، حتى اكتشف لوح (كامس) عام ١٩٥٤ .. ولذلك فإن هذا اللوح يعتبر وثيقة تاريخية لحرب التحرير والتخلص من المستعمرين في عصر القائد البطل (كامس) ، وقد قال عنه (السير ألان جاردنر) إنه أهم مستند تاريخي في القرن العشرين .

ونعتبره كذلك قطعة أدبية معاصرة رائعة .. فإن الأساتذة كانوا يوجهون طلبة العلم بالمدارس في العصور الفرعونية المختلفة الى مطالعة نصوص هذا اللوح لما يحويه من نصوص أدبية رائعة تخلد أعمال الأبطال ، وبذلك يبثون الروح القومية في نفوس الشبان من أبناء البلاد ، ومما زاد في أهمية هذا اللوح . أنه اللوح الكامل الوحيد الذي كتب بأمر الملك (كامس) وذكر وقائع انتصار القائد المصرى البطل على الهكسوس أعدائه وأعداء بلاده ، إذ أن جميع ما وصلنا من قبل كان يتحدث عن عهد أخيه أحمس .

أما من الناحية التاريخية .. فإن هذا الكشف يؤكد لنا أن (كامس) كان أول قائد مصرى هزم الهكسوس في حرب التحرير .. كما أنه شرح لنا التكتيك الحربى الذى اتبعه القائد المصرى العظيم في محاربة العدو المستمر .. حتى كشف مؤخرة جيشه البرى ، ومن ثم استطاع أن يبدأ هجومه بتطويق العدو برا وبحرا فأوقع به الهزيمة ، ثم هدم عاصمة العدو (حت وعرت) (اواريس) .. مما أثر في العدو تأثيرا قويا بعد أن تحطم كيانه المعنوى لما لحقه من خوف و هلع ، فلم يصد أمام

عجماته المظفرة ، واستسلمت فرقة خيالة العدو التي كان يتنوق بها على الجيش المصري .. ثم يصف النص هذا التأثير وصفا رائعا يبرز انهيار قوى العدو ، ويبيّن كيف ارتفعت القوى المعنوية للجيش المصري .

ويشير النص المدون على لوح (كامس) الى تنظيم قوة الأسطول الحربى المصرى فى النيل ، الذى كان أساس خطة التكتيك الحربى التى وضعها القائد المصرى للقضاء على جيش العدو ، وقد تولى (كامس) قيادة الجيش بنفسه ، وكان دائماً فى المقدمة .. باعتباره قائد الجيش الأعلى .. مدفوعاً بقوة إيمانه وثقته بجيشه .. واعتداده بنفسه ، وحبه لبلاده ، وتفانيه فى سبيل كرامتها وعزتها .. فاستولى على تموين الأعداء الذى كان يصل اليهم من طريق النيل وبه كمية كبيرة من العتاد الحربى فحارب أعداءه بأسلحتهم .. حتى كتب له النصر عليهم ، ومما ساعده على الانتصار أنه أحبط مؤامرات العدو الذى كان يتبع أسلوباً ملتويّاً فى بث الفرقة بين أهل البلاد بالعدو والخيانة والقرصنة ليتمكن من استعمار البلاد واستغلال أهلها .. إلا أن هذه الحرب نبهت المصريين ليقفوا يداً واحدة متيقظين أمام كل المؤامرات التى يحاول العدو المستعمر القيام بها . ولذلك لم يهمل القائد المصرى اليقظ الاحتياط لما قد يلجأ إليه عدوه من حيل ، فاكشف تلك المؤامرة التى دبرها الهكسوس لإشغال نار الفتنة فى جنوب الوادى .. كى ينضم أمير كوش الى حكام الهكسوس ، فيقع القائد المصرى وجيشه الباسل بين فكى الكماشة ، ولكن القائد المصرى قضى على هذه المؤامرة بصرامة .

وقد ظل الهكسوس بمصر فترة زمنية يختلف فيها المؤرخون ، ويرجح الدكتور باهور لبيب أن مدة الهكسوس بمصر كانت من سنة ١٧٣٠ الى سنة ١٥٨٠ ق . م وكان هؤلاء يتعاونون من الغرباء ضد المواطنين (١) .

(١) من بحث الدكتور المهندس محمد حماد ، بتصرف .

عودة الى الحديث عن تحركات العبرانيين :

وفي أثناء عيد الهكسوس بمصر أصاب القحط أرض كنعان ، فاستأنف العبرانيون تحركاتهم تجاه مصر ، وهذا يدلنا على أن أرض كنعان لم تكن عذبة العبرانيين . وإنما كانت بالنسبة لهم بقاعاً تكل البقاع ، ولذلك نجد إبراهيم وقومه يتركونها ويواصلون تجوالهم فيصلون الى مصر حيث وفرة الزرع وخصب الأرض ، وقد كان وجود الهكسوس بمصر فرصة للعبرانيين ، لأن الهكسوس - كما قلنا من قبل - كانوا يميلون للتعاون مع الأجانب ضد المواطنين شأن كل المستعمرين في كل زمان ومكان . ولذلك لقي إبراهيم من الهكسوس كثيراً من الترحيب والتقدير ، وبقي إبراهيم فترة في مصر ، فاضت عليه خلالها نِعَمُ فرعون ، فنمت ثروته وتضاعفت ماشيته ، ولكن ملك الهكسوس طمع في سارة زوجة إبراهيم - كما سنذكر فيما بعد - فلم يدع هذا لإبراهيم وذويه فرصة ليطول مثاهم في مصر ، ولم يستطع إبراهيم وقومه أن يواصلوا سيرهم الى جنوب مصر خوفاً من المفراغة المصريين الذين كانوا يأخذون على العبرانيين تعاونهم مع الهكسوس ، فقفل إبراهيم راجعاً الى أرض كنعان ومعه ثراؤه الذي تضاعف وكذلك « هاجر » وهي جارية مصرية أهديت لسارة زوجة إبراهيم ، وقد دخل إبراهيم بهاجر بناء على طلب سارة (Sara) وأنجب منها ابنه الأول إسماعيل الذي نشأ في مكة (١) ، وصاهر إسماعيل جرهم سادة مكة ، ومن نسله جاء العرب الذين يعرفون بالعرب المستعربة ، وهم الذين حملوا لواء الإسلام فيما بعد واقتحموا أرض الرومان واستعادوا فلسطين وما حولها منهم ، محققين وعد الله لإبراهيم أن يجعل هذه الأرض لنسله من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات (٢) ، كما اقتحموا بلاد فارس وما بعدها الى الهند

(١) انظر تاريخه « في موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية »

المؤلف ج ١ ص ٨٨ من الطبعة الحادية عشرة .

(٢) تكوين الاصحاح الخامس عشر ، الفقرات ١٨ - ٢٠ ، وهذا هو

رأى المسلمين في تفسير هذه الفقرات وهو الراي والصواب ، والفتح الاسلامي

والله اعلم
بالتفاصيل
والاشياء
الغيبية

وما وراء النهر ، وسارت ألويتهم منتصرة تفتش الإسلام في مختلف
النواحي والأصقاع . وهذا يتمشى مع قوله تعالى « إن أولى الناس
بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا » (١) .

وبعد مولد إسماعيل بحوالى أربع عشرة سنة وكادت سارة لإبراهيم
ابنه الثانى إسحق ، ثم توفي إبراهيم وترك ابنه الأكبر إسماعيل الذى
استوطن الحجاز ، وابنه الأصغر إسحق بأرض كنعان ، وأنجب إسحق
ولدين هما عيسو ويعقوب المسمى إسرائيل وإليه ينسب بنو إسرائيل ،
وسنتكلم عن يعقوب فيما بعد عند الكلام عن أنبياء بنى إسرائيل ، ولكننا
هنا ندون عنه ما يتصل بالسير التاريخى لبنى إسرائيل ، فنذكر أنه
تزوج بنتى خاله وهما ليئة وراحيل وتزوج أيضاً من زلفة جارية ليئة
ومن بلهة جارية راحيل ، وأعقب منهن اثنى عشر ابناً ، هم :

من ليئة : روبين - شمعون - لاوى (من نسله موسى) - يهوذا
(من اسمه أخذت كلمة يهود) - يساكر - زبولون .

من راحيل : يوسف - بنيامين .

من زلفة : جاد - آشير .

من بلهة : دان - نفتالى .

وكان يعقوب يمنح مزيداً من العطف والحب ليوسف وبنيامين ابنيه
من راحيل الحظية عنده ، فنفسٍ عليهما إختهما ، ودبروا المؤامرات
ضد يوسف أكبر الاثنتين وأحبهما عند يعقوب ، فاستأذنوا أباهم ليصبحوا
يوسف معهم وهم يرعون أغنامهم ، فقبل يعقوب بعد تردد ، وهناك القوا

بهذا الوضع كان انقاذاً لشعوب المنطقة من الاستعمار وظلمه وعدوانه ،
أما اليهود فيفسرون هذه الفقرات بالقضاء على الشعب الاصلية واحلال
اليهود محلهم ، وحاشا لاله ان يكون هكذا قضاءه فهو قضاء ظالم .
(١) سورة آل عمران الآية ٦٨ .

يوسف في بئر عميقة وجاءوا أباهم عشاء يبكون ، وقد لوثوا قميص يوسف بدم كذب ، وقالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ، ثم مرت بالبئر قافلة أرسلت واردها ليأتي بالماء من البئر ، فتعلق يوسف بالدلو ، وفرحت به القافلة ، وبيع يوسف لرئيس الشرطة في مصر ، ثم زُجَّ به في السجن نتيجة اتهامه كذبا بمحاولة الاعتداء على شرف زوجة سيده ، وفي السجن تعرّف على رئيس سقاة فرعون ، وبواسطته أفرج فرعون عن يوسف بعد حين ، واستخلصه لنفسه ، وفرعون هذا هو « فوتي فارغ » أو « فوطيفار » فيما تذكره التوراة ، وهو من ملوك الأسرة السادسة عشرة في القرن السابع عشر ق م . وأصبح يوسف مديراً لخزائن الطعام بمصر ، وهو منصب يماثل منصب وزير التموين في العهد الحاضر ، وقد هيا هذا المنصب السبيل ليعقوب وأولاده أن يرحلوا الى مصر فراراً من الجوع الذي عم بلادهم مثلما حدث لإبراهيم من قبل ^(١) وكان السلطان بهذه المناطق لا يزال في أيدي الزراعة العماليق (الهكسوس) الذين كثيراً ما خلت تصرفاتهم من الولاء لمصر وشعبها، إذ كانوا - كما قلنا - غاصبين للسلطة فيها ، وكانت حركات المواطنين لا تفتأ تعمل للإيقاع بهم ، ثم كان من تخشب العماليق أن يتعاونوا مع غير المصريين ، ويبدو ذلك مما ذكرته التوراة من أن فرعون الهكسوسي أغرى إخوة يوسف أن يحضروا لمصر ووعدهم بالغنى والثراء قائلاً لهم : خذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إليّ فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلوا دسم الأرض ، خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا ؛ ولا تجزن عيونكم على أئاثكم لأن خيرات جميع أرض مصر لكم ^(٢) . وسنرى أنهم استجابوا لهذه الدعوة السخية .

اسرائيل وبنوه في مصر :

ومرت بمصر سنون من الرخاء ، فاض خلالها الخير ، وادخِر الكثير

(١) أقرأ الجزء رقم ٢٢ من « المكتبة الإسلامية لكل الأعمار » وهو عن قصة يوسف عليه السلام .

(٢) سفر التكوين الاصحاح ٤٥ : ١٧ - ٢٠ .

منه ، ثم جاءت سنون أخرى من الجذب والتحط ، نهرع الناس الى خزائن الملك يطلبون عونه ، ويسألونه القوت ، وأخذ يوسف يمنحهم القوت نظير ما يملكون من فضة وذهب وماشية وأضيان ، بل اشترأهم أيضاً وجعلهم عبيداً لفرعون من أجل الطعام ^(١) ، وامتدت المجاعة الى الممالك المحيطة بمصر ، وكان وقعها شديداً على العبرانيين ، فدفع يعقوب أبناءه ليطلبوا الميرة من مصر ، وهناك عرفهم يوسف ، ولكنهم لم يعرفوه ، وجرت بينه وبينهم أحداث انتهت بأن جئى يوسف لهم الأمر ، وأعلن لهم أنه أخوهم ، وطلب إليهم أن يحضروا آباء وأهلهم أجمعين (كانت أمه قد ماتت وهو صغير) وبدأت بذلك الجولة الثانية لبنى إسرائيل بمصر .

ويلاحظ على بنى إسرائيل بمصر ما لاحظناه من قبل على أجدادهم بأرض كنعان ، وهو الانعزالية التامة ، وعدم التعاون مع من يحيط بهم ، وعدم الاختلاط بأصحاب الأرض الأصليين ، فقد طلبوا من فرعون أن يسكنهم في أرض جاسان (منطقة صغى الحنة بالشرقية) فاستجاب لهم فرعون وقال ليوسف : أبوك وإخوتك جاءوا إليك ، أرض مصر قدامك ، في أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك ، ليسكنوا في أرض جاسان فأسكن يوسف آباء وإخوته وأعطاهم ملكا في أرض مصر في أفضل الأرض . وعال يوسف آباء وإخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب عدد الأولاد ^(٢) . وكان تعداد بيت يعقوب آنذاك سبعين نسمة ^(٣) .

وتكاثر بنو إسرائيل بمصر تكاثراً واسعاً جداً وسريعاً جداً ، فلقد أحصاهم موسى عند خروجهم من مصر كما تقول التوراة ^(٤) ، فوجد حملة السلاح منهم أى الذكور ابتداء من سن العشرين ، يبلغون ٦٠٣٥٠٠ وهذا العدد مبالغ فيه جداً ، ولكن عددهم زاد على كل حال زيادة هائلة ،

(١) انظر « الاقتصاد في الفكر الإسلامى » للؤلف ص ١٧٧
واقرا سفر التكوين الاصحاح ٤٢ : ٥ و ١١ - ١٢ .
(٢) تكوين ٤٢ بقرة رقم ٥ ثم ١١ - ١٢ .
(٣) تكوين ٢٦ : ٢٧ .
(٤) سفر العدد الاصحاح الاول .

وكانوا لا يزالون في عزلتهم ، ولكن العزلة آنذاك أصبحت تستلقت نظر المصريين وتشر خوفهم ، فهي لم تعد عزلة بضعة عشرات من الرجال والنساء ، ولكنها أصبحت عزلة قوم لهم قوة ومنعة ، غفدوا يكوّنون دولة داخل الدولة كما يقال في الاصطلاح الحديث ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد نجح أمراء طيبة المصريون في التغلب على الرعاة العماليق ، وطرّدتهم أحسن خارج البلاد وأقام حكما وطنيا قويا في مصر كلها ، ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة ، ولم يتعرض أحسن لبني إسرائيل بسوء ، لانه فيما يبدو كان مشغولا بالعدو الأكبر ، فلما قامت الأسرة التاسعة عشرة ومن ملوكها رمسيس الثاني الفاتح العظيم ظهر الشعور العدائى ضد بني إسرائيل ، ونقم الحكم الوطنى عليهم ، لانهم نالوا أطيب خيرات مصر على حساب المواطنين المغلوبين على أمرهم ، ثم إن الحكم الجديد كان يخشى أن يتآمر بنو إسرائيل ضده في محاولة للانتكاس ، بل يرى بعض الباحثين أن شعب مصر اكتشف بالفعل أن بني إسرائيل كانوا يتآمرون عليه (١) . وقد وصل التآمر الى عمل ضد سلامة الدولة ؛ فقد ذكر شاروبيم في كتابه « الكافي » (٢) أن الإسرائيليين ثاروا ثورة عاتية ضد منفتاح فزحف عليهم وقرئت على عمارة في طيبة أنشأها منفتاح الأول أنشودة له ذكر فيها تنكيهه ببني إسرائيل بسبب ثورة ثاروها ضد السلطان المصرى .

ويعلل الباحثون هذه الثورات بأنها كانت نتيجة للوضع الجديد في مصر ، فإن بني إسرائيل تعودوا الحياة الممتازة منذ عهد يوسف ، ونالوا الكثير من رعاية الهكسوس وإيثارهم (٣) ، ثم جاء من الفزاعة من طلب من بني إسرائيل أن يحرقوا الأرض كثيرهم من المصريين المنتجين ، وأن يشتركوا في تشييد المباني وإقامة المعمران ، لا أن يختصوا بصياغة الذهب

(١) سليمان مظهر : قصة العقائد ص ٢٨٣ .

(٢) ص ٩٠ وما بعدها نقلًا عن « تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم »

ص ٨٠ - ٨١ .

(٣) E. H. Weach : Civilization of the Near East p. 85.

والفضة وتجارتها ، وبتتمية المواشى بواسطة الرعى دون جهد . فنار بنو إسرائيل لفقدان امتيازاتهم وقاوموا الحكم الجديد ، وربما يكون من الاستطراد أن نذكر أن بنى إسرائيل كانوا يحرصون على حياة الامتياز والكسب السهل على مر التاريخ وفي مختلف البلاد ، وأنهم ثاروا هنا وهناك عند ما خافوا أن تضيع منهم هذه الامتيازات (١) .

وهناك سبب آخر نضيفه لأسباب الخلاف بين فراعين مصر وبين بنى إسرائيل ، ذلك هو الاضطراب الصحى الذى نتج عن التزايد المطرد فى تعداد بنى إسرائيل ، فإن حياة الغنى كان ينعم بها ساداتهم . أما الأكثرية العظمى فكانت تعيش فى فقر مدقع ، وكانت القذارة تنتشر بينهم بشكل واضح ، فظهرت بينهم الأمراض ، وأصبحوا مصدر قلق شرعون وسعب محر (٢) .

ويقول العالم المؤرخ الدكتور أحمد بدوى يصف علاقة المصريين ببنى إسرائيل (٣) :

« من الثابت فى تاريخ مصر - بناء على ما جاء فى كتب السماء من ناحية وما شهدت به آثار الفراغنة من ناحية أخرى - أن « العبرانيين » قد عرفوا مصر منذ أيام الدولة الوسطى على الأقل ، كانوا يجيئونها أول الأمر لاجئين يطلبون الرزق فى أرضها ، ويلتمسون فيها وسائل العيش الناعم والحياة السهلة الرضية بين أهلها الكرام ، ثم يجيئونها أسارى فى ركاب فرعون كلما عاد من حروبه فى أقاليم الشرق ظالماً منصوراً ، فينزلهم حول دور العبادة يخدمون فى أعمال البناء (٤) ويعبدون أربابهم

(١) انظر الصهيونية فى المجال الدولى للدكتور محمد عبد المنز نصر ص ٤٩ - ٥٠ وتاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على ص ٢٢ .

(٢) سليمان مطهر : قصة العقائد ص ٢٨٦ .

(٣) فى موكب الشمس ج ٢ ص ٥٨٨ وانظر كذلك ص ٨٨٧ - ٨٨٨ .

(٤) جاء فى الاصحاح الاول من سفر الخروج أنهم بنو لفرعون مخازن

مدينتى « فيثوم » و « عيسى » .

أحراراً لم يكرههم أحد على قبول مذهب ، أو اعتناق دين ، وتطيب لهم الإقامة في مصر ، وتستقيم لهم فيها أمور الحياة ، ثم تنزل بالمصريين بعض الشدائد ، وتحل بديارهم بعض المحن والنوائب ، فيتنكر لهم بنو إسرائيل ويتربصون بهم الدوائر ، ويعملون على إفقارهم ، وإضعاف الروح المعنوي بين طبقات الشعب ، ابتغاء السيطرة على وسائل العيش في هذا القطر ، ليفرضوا عليه سلطانهم ، تارة عن طريق الضغط الاقتصادي ، وأخرى عن طريق الدين والعقيدة (١) .

« وهكذا تنكر بنو إسرائيل لسادتهم المصريين ، فخانوا عهدهم واستنزفوا أموالهم ، ورموهم بكل فاحش من القول وباطل من الاتهام » .

« وكذلك كان مسلكهم في كل زمان ومكان ، وتاريخهم يشهد على ذلك فإنهم ما حلوا بأرض إلا وأكثروا فيها الفساد ، وأيقظوا بين أهلها سياطين الفتنة » .

وهكذا تازمت العلاقات بين المصريين وبين بنى إسرائيل ، وأصبحت الكراهية والحذر طابعها ، واستشار فرعون الكهنة والحكماء ، وتدارس الجميع الأمر ، وانتهوا فيه الى أن عزلة بنى إسرائيل هي مصدر الخطر ، وأن تكاثر رجالهم يهدد الدولة ، فاستقر الرأي على التخلص من الأطفال الذكور واستبقاء الإناث ، فإذا تم ذلك ، وتزوجت الإسرائيليات من مصريين انتهت العزلة وتم الاندماج وزال الخطر ، وكان موسى عليه السلام من مواليد هذه الفترة ، ولكن الله أنجاء من الموت ، وفي القرآن الكريم تصوير رائع لطفولة موسى ، تعال بنا نقتبس بعض آيات من الذكر الحكيم :

« وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه في

(١) اقرأ كذلك الإصحاح السابع من سفر الخروج .

اليم ، ولا تخافى ، ولا تحزنى ، إنا رادشوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين ،
فالتقطه آل فرعون (١) « » .

وقالت امرأة فرعون لفرعون : ألا يحتمل ألا يكون الطفل عبرياً ؟
لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ، واستجاب لها فرعون وتربى
موسى فى رعاية القصر ، ولكنه عند ما شب أدرك أنه من بنى إسرائيل .
فقرر أن يكون ظهيراً لهم ، وذات يوم رأى خلافاً يدور بين مصرى وعبرانى ،
وتطور الخلاف الى عراك : نهتف به العبرانى أن يساعده ففعل . وسقط
المصرى قتيلاً بضربة من موسى ، وثار المصريون ضد العبرانيين . ثم
اتجهت ثورة المصريين لتصبح ضد موسى عند ما اعترف عليه العبرانى الذى
استغاث به بالأمس ، ولم يجد موسى بدأ من الهرب . واتجه فى هروبه
الى الجنوب الشرقى حيث قاده الطريق الى أرض مدين ، مقر نبي الله
شعيب . وهناك تزوج ابنته وكان صداقتها خدمته لأبيها ثمانى حجج ،
وبعد أن أتم موسى الميقات فكر فى الرجوع الى مصر آملاً أن يكون القوم
هناك قد نسوا خطيئته ، فوهب له صهره بعض المال والأغنام ، وسار مع
زوجته فى طريق العودة حتى وصل طور سيناء ، وهناك خيّل له أنه ضل
الطريق ، فوقف متردداً ، ولكنه سرعان ما أبصر ناراً تشتعل فى جانب الطور
الأيمن ، فقال لأهله « امكثوا إنى آنست ناراً لعلى آتاكم منها بقبس أو
أجد على النار عدى ، فلما آتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخضع
نملكك إنك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، إنى أنا
الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » (٢) وبدأت بذلك رسالة
موسى .

ويعطينا المؤلف اليهودى جوزيف المتوفى سنة ١٠٠ م معلومات عن
موسى لم ترد فى التوراة ، فهو يقرر أن موسى كان قائداً بالجيش المصرى

(١) .سورة القصص الآيتان ٧ - ٨ .

(٢) سورة طه الآيات ١٠ - ١٤ .

خلال الحملة المصرية على الحبشة ، وقد تزوج موسى من أميرة حبشية في هذه الأثناء (١) وعرض موسى رسالته فلم يعترف فرعون برسالته ، ولم يعترف بما جاء به من معجزات ، وظل فرعون يعامل بنى إسرائيل بما كان يعاملهم به من القسوة والحذر ، وهتف بنو إسرائيل بموسى « أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا » (٢) واتجه موسى يطلب من فرعون أن يطلق معه شعبه « بنى إسرائيل » ليعبدوا إلههم « يهوه » في البرية ، ولم يستجب فرعون لهذا الطلب أيضا ، إذ رأى من الخسارة أن يعفيهم من أعمالهم التي وكلها لهم ، ثم من الخطر أن يطلقهم فقد يلتقون بأعداء المصريين بالشمال ويتفقون معهم على ما يؤذى المصريين . ولهذا دبر موسى أن يخرج بهم سرا .

وهناك اتجاه آخر هو أن فرعون أذن لموسى في الخروج ببني إسرائيل ، بيد أن نساء بنى إسرائيل استجبن لإلههم الذى تروى التوراة قوله لهم : حينما تمضون إنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة ، وأمتعة ذهب ، وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين (٣) . وخرج بنو إسرائيل بما سلبوه من المصريين .

وسواء كان خروج بنى إسرائيل سرا ، أو كان بموافقة فرعون ولكن نساء بنى إسرائيل سلبن ثروات المصريين ، فقد كان على فرعون أن يلحق بهم وأن يمنعهم من مواصلة السفر ، وتبعهم فرعون ومعه فريق من جنده ، فلحق بهم وقد بلغوا شاطئ خليج السويس « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ، قال كلا إن معى ربي سيهدين ، فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ، فكان كل فرقة كالطود

(١) نقلا من God and Man in Early Israel by J. Smith p. 38.

(٢) سورة الاعراف الآية ١٢٩ .

(٣) سفر الخروج ٣ : ٢١ - ٢٢ وخروج ١٢ : ٣٥ - ٣٦ .

العظيم، وأزلفنا ثمَّ الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا لآخرين » (١) ويعلق أكثر المفسرين على الآية الأخيرة بأن إغراق فرعون على هذا النحو كان لقوله فيما حكاه عنه القرآن الكريم : « يا أيها الملا ما علمت لكم من إله غيري » (٢) . وقوله لموسى : « لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين (٣) » وقوله « فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى » ولذلك جاء بعد هذه الآية قوله تعالى « فأخذة الله نكال الآخرة والأولى ، إن في ذلك لعلبرة لمن يخشى (٤) » وهذا التعليل هو الذى تذكره الآية الكريمة « فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (٥) » .

وفرعون الاضطهاد هو رمسيس الثانى (١٣٠١ - ١٣٣٤ ق م) . وفرعون الخروج هو منفتحاح الذى خلف أباه رمسيس الثانى ، وكان خروج بنى إسرائيل من مصر حوالى سنة ١٢١٣ ق م . وقد جاء فى لوح عثر عليه فى طيبة أن منفتحاح أباد بنى إسرائيل واستأصلهم (٦) .

وبعض المراجع القديمة والحديثة تثير الشك حول نزوح يعقوب وأبنائه الى مصر ، وتبعاً لذلك حول خروج بنى إسرائيل منها (٧) ، ولكن

- (١) سورة الشعراء الآيات ٦١ - ٦٦ .
- (٢) سورة القصص الآية ٢٨ .
- (٣) سورة الشعراء الآية ٢٩ .
- (٤) سورة النازعات الآيات ٣٣ - ٢٦ .
- (٥) سورة الاعراف الآية ١٣٦ .

وقصة خروج بنى اسرائيل على هذا النحو وردت فى التوراة كذلك على نفس الصورة التى وردت فى القرآن (سفر الخروج الاصحاح الرابع عشر) . ومنهج الدراسات الدينية يعترف بالمعجزات ويرأها من طبيعة الرسالات ، أما منهج الدراسات التاريخية الذى يعنى بالأسباب والمسببات ، فيلجأ أتباعه الى تعليل ما حدث تعليلاً يناسب منهجهم ، فهم يرون أن ما حدث كان نتيجة لهزات أرضية عنيفة وزلزال مصلاخ مهد طريقاً لبنى اسرائيل فعبروا خليج العقبة . انظر : *God and Man in Early Israel by J. Smith p 44.*

- (٦) أحمد نجيب عاظم وآخرون : مصر فى العصور القديمة ص ٦٧ والدكتور احمد بدوى : فى موكب الشمس ج ٢ ص ٨٨٦ .
- (٧) لقرأ جوزيف نيوتن والدكتور احمد بدوى والدكتور سليم حسن .

هذه القصة واضحة بالكتب المقدسة وبخاصة في القرآن الكريم ، مما يزيل هذا الشك ، ثم إن أوراق البردي المحفوظة في متحف لايد يتطابق فحواها مع ما جاء في الكتب المقدسة ، حيث تذكر تسخير بنى اسرائيل في أعمال البناء والطين ، وتؤيد وجود بنى إسرائيل (العبريو) في مصر في عهد رمسيس الثانى ، وبالإضافة الى ذلك فإن طروءهم على شرق الأردن وغربه من ناحية حدود مصر ، يؤيد خروجهم منها ، ولا يدع سبيلا الى الشك في القصة كما أوردناها (١) .

ويقول J. Smith مطلقاً على عدم اهتمام الآثار المصرية بحادثة خروج بنى إسرائيل ما يلى : ولا تدعو للدعوى للدعوى أن الآثار الفرعونية لم تحفل بحادثة خروج بنى إسرائيل من مصر ولم تسجل خطواتها ، فإن فرار مجموعة من العبيد من سادتهم لم يمثل حدثاً يثير الاهتمام الفكرى لدى المصريين ، وبخاصة أن بنى إسرائيل بمصر عاصروا عهداً حافلة بجلائل الأعمال ، استنفدت - فيما يبدو - نشاط المثاليين ومدونى التاريخ ، وليس بعيداً أن تكشف أعمال التنقيب الجارية الآن - فيما تكشف - عن بعض الآثار التى تعين على مزيد من الإيضاح (٢) .

وقبل أن نتتبع حركات بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر ، ينبغى لنا أن نقف هنا وقفه ندرس فيها الى أى مدى استطاع الدم اليهودى أن يحافظ على نقائه ، وتجمع المراجع التاريخية والأبحاث الأنتروبولوجية (علم أجناس البشر Anthropology) على أن خروج بنى إسرائيل من مصر كان حداً فاصلاً بين عهد النقاء وعهد اختلاط الدم ، يقول غوستاف لوبون (٣) : ولحق ببنى إسرائيل عدد من المصريين الساخطين ، من الأسارى ، ومن العبيد ، ولما جاوز بنو إسرائيل بحر القلزم بدّوا

(١) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ج ١ : ص ٨٢ .

(٢) God and Man in Eraly Isr-el p. 35.

(٣) اليهود في الحضارات الاولى ص ٢٣ .

عشيرةً أى جماعة تبدو كأنها نسل رجل واحد وإن كانت فى الحقيقة فاتحة صفوفها لجميع الفرءار المستعدين لانتحال اسمها وتقاليدها ومعبوداتها .

وحدث مثل ذلك الاختلاط عندما هاجرت جماعات اليهود من فلسطين ؛

يقول Margolis :

وقد تكوّن فى الموطن الشمالى لنهر الراين أكبر مجموعة يهودية بأوربا ، إذ وفد على ذلك المكان جماعة من أسباط العبريين الرحل الذين هجروا فلسطين إثر إحدى هزائمهم ، واختلطوا فى الطريق الى أوربا بعناصر سورية وأناضولية ، وخطوا رحالهم بالحوض الشمالى لنهر الراين ، وبمرور الزمن دخل عدد كبير من سكان هذه المنطقة ديانة الوافدين العبريين ، وتفرع هؤلاء بعد فترة من الزمن : فاستوطن بعضهم بولندا ، واستوطن آخرون أوربا ، واتجه فريق منهم الى روسيا (١) .

ويقول العلامة « لامبروز » (٢) : إن اليهود المحدثين هم أدنى الى الجنس الآرى منهم الى الجنس السلمى ، وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية ، وانضم اليها فى جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف صنف البشر ، وجاء هؤلاء المتهودون من جميع الآفاق ، فمنهم « الفلاشا » سكان الحبشة ، ومنهم الألمان ذوو السحنة الألمانية ، ومنهم « الثامل » أى اليهود السود فى الهند ، ومنهم « الحرز » وينتمون للجنس التركى ، ومن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوى الوجه الحسن البديع والشعر الأشقر أو

(١) اقرأ عن هذا الموضوع المراجع التالية :

أ - A History of the Jewish People by Max Margolis and Alexander Marx p. 233 f.

ب - The Outline of History by H. Wel's p. 293.

ج - اليهودية وريبتها اسرائيل للاستاذ عمر رشدى ص ٣٧ .

(٢) نقلا عن الصهيونية العالمية وأرض الميعاد تأليف على امام عطية ص ١٠٠ .

الكستائى ، وذوى العيون الصافية اللون الزرقاء ، ممن نلقاهم اليوم في أوربا الوسطى يمتون بصلة الدم الى إسرائيل أرض الميعاد أو يهود فلسطين القدماء ، الذين يعيشون بجوار نهر الأردن والبلاد المقدسة منذ القدم (١) .

بعد الخروج :

التف بنو إسرائيل حول موسى وهم بمصر ، لا كرسول ولكن كقائد وزعيم يرجى على يده الخلاص من استعباد المصريين ، ولذلك لم يكادوا يتحققون من نجاتهم من فرعون حتى شغبوا على موسى ، وقد سبق أن قلنا إن بنى إسرائيل ناروا على الحكم الوطنى بمصر لما أحسوا أنهم فقدوا امتيازاتهم التى كانوا ينعمون بها خلال عهد العماليق ، وقد كرر بنو إسرائيل موقفهم هذا ضد موسى نفسه لما أفقدهم حياة الرخاء بمصر وجاء بهم الى البرية ، التى فقدوا بها ما كانوا ينعمون به في مصر من خيرات ، فالحرية عندهم لم يكن لها جزاء ، ولهذا صاحوا به وبأخيه هاورن فيما ترويه التوراة :

— ليتنا متنا في مصر إذ كنا جاسلين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع ، فإنكما أخرجتمانا الى هذا القفر لكى تُميتا كل هذا الجمهور بالجوع (٢) .

— وفي بعض أماكن البرية لم يجدوا ماء ، فخاصم الشعب موسى وتذمروا عليه ، وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشيئنا بالمطش (٣) .

(١) لا يتناقى هذا مع الانعزالية التى ذكرنا انها كانت طابع اليهود ، فاليهود فتحوا صفوفهم لهؤلاء الفرار وكون اليهود والمتهودون جماعة ظلت منعزلة عن سواها من الجماعات فكريا واجتماعيا ، فهم لا يلتقون بالناس في ميولهم ، ولكن يمكن ان يفتحوا صفوفهم للآخرين ، لزيد من القوة ولجذب عدد ينماغ فيهم .

(٢) سفر الخروج ١٦ : ٢ - ٣ .

(٣) سفر الخروج : ١٧ : ٣ .

وفي الطريق الى فلسطين ترك موسى بنى إسرائيل بناء على أمر ربه ليصعد الى جبل الطور ويمكث ثلاثين ليلة صائماً ليتلقى من الله الوصايا والتعليمات التي يسير عليها هو وشعبه ، وطالت هذه الليالي فبلغت أربعين ، لأن موسى استك في آخرها فكلفه الله أن يزيدها عشراً ، وهنا يتناسى بنو إسرائيل كل معجزات موسى ويعودون الى طبيعتهم الوثنية الشريرة الآثمة ، تقول التوراة :

ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى ، الرجل الذي أضعفنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم وأتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب وأتوا بها الى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكة . . . فقال الرب لموسى اذهب لأنه قد فسد شعبك الذي أضعفته من أرض مصر ، زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به ، صنعوا لهم عجلاً مسبوكة وسجدوا له وذبحوا (١) .

الآلهة
سبحوا
لله
السامري

ونزل موسى من الجبل وغضب غضباً شديداً على قومه لعودتهم للوثنية وعبادة العجل ، وكان عقابهم أن تسلط بعضهم على بعض في معارك طويلة سقط فيها عدة آلاف .

وبدا موسى يسرى بقومه تجاه فلسطين ، ولكن فلسطين كانت عامرة بالسكان الذين سبق أن تحدثنا عنهم ، وكان قد شاع بين الناس غدر بنى إسرائيل وتأمرهم ضد البلاد التي ينزلونها ، فلم تصد فلسطين مفتوحة لهم كما كانت من قبل ، بل وقف أهلها في وجه بنى إسرائيل يردونهم عنها ؛ وهكذا أصبحت محاولة دخولها معناها الحرب بين بنى

(١) خروج ١٠٢٢ - ٨ والقرآن الكريم ينسب هذا التصرف للسامري (سورة طه الآيات ٨٧ - ٩٦) .

إسرائيل وبين هؤلاء السكان ، وكان بنو إسرائيل يخافون الحرب ، فقد
تمكنت منهم الذلة والصغار ، فصاحوا بموسى « إن فيها قوماً جبارين ،
وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » وبذلت محاولات لإغرائهم بالدخول
ووعود بالنصر ، ولكنهم أصروا على موقفهم « قالوا يا موسى إننا لن
ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » .
ولم يستجب لموسى أحد سوى أخيه هارون ، فشكا موسى الى ربه
قائلا : « رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى ، فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين » فنزل عليهم حكم الله « إنها محرمة عليهم ، أربعين سنة
يتيهون فى الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين » (١) .

ويقرر أكثر الباحثين (٢) أن التيه هو الذى حدد بأربعين سنة
وليس التحريم ، فالتحريم مطلق أبدي^٣ ، أى أن يكون لهم بها استقرار ،
ومن أجل هذا يؤتف فى القراءة بعد قوله تعالى « محرمة عليهم » .

ومات هارون ثم موسى فى فترة التيه ، ودفن هارون فى جبل هور ،
ودفن موسى فى كتيب أحمر حيث كان يرى أرض فلسطين دون أن يدخلها .

وتولى يوشع بن نون قيادة بنى إسرائيل بعد موسى ، وكان يوشع
أحد أصفياء موسى ، وقد اختاره موسى قبل موته لقيادة بنى
إسرائيل (٣) ، فاتجه يوشع بأتباعه الى الشمال ، شرقى نهر الأردن ، ثم
بدأ يوشع يعد العدة لمبور الأردن ونزل فلسطين ، فلما عبر بنو إسرائيل
كانت أول المدن التى استولوا عليها مدينة أريحا ، وقد أرسل يوشع
رسولين للتجسس ، فدخلتا بيت امرأة زانية اسمها راخاب كما تقول
التوراة (٤) وخبأتها المرأة عندما شاع أمرهما ، ويعد بضعة أيام

(١) سورة المائدة الآيات ٢٢ — ٢٦ .

(٢) انظر قصص الأنبياء للأستاذ عبد الوهب النجر من ٢٧٢ .

(٣) سفر العدد ٢٧ : ١٥ — ٢٠ و

J. Smith : God and Man in Early Israel p. 52.

(٤) سفر يشوع (هو يوشع بن نون) ٢ : ٢ .

اقتحم بنو إسرائيل مدينة أريحا وقتلوا كل ما بها من إنسان أو حيوان ، وحرقوا المدينة كلها ، ولم ينج من الموت من سكان المدينة إلا المرأة الزانية وأهلها (١) . وكان ذلك أول العهد ببني إسرائيل في فلسطين ، وامتد سلطان يوشع عقب ذلك ، ويذكر Smith (٢) أن الذين عاصروا موسى من بني إسرائيل قد هلكوا جميعاً في الصحراء ولم يدخل منهم فلسطين إلا اثنان كان يوشع واحداً منهما . أما باقى الجيش الذى اقتحم فلسطين فكان من الأبناء الذين ولدوا في فترة التيه . ويصف ول ديورانت (٣) أحداث هذه الفترة أدق وصف ، استمع إليه يقول :

كانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلاً واضحاً لانقراض جموع جياح على جماعة مستقرين آمنين ، وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم منهم ، وسبوا من بقى من نساءهم ، وجرت دماء القتلى أنهاراً ، وكان هذا القتل - كما تقول نصوص الكتاب المقدس - فريضة الشريعة التى أمر بها الرب موسى وزكاة للرب ، ولما استولوا على إحدى المدن قتلوا من أهلها اثني عشر ألفاً وأحرقوا وصلبوا حاكمها (٤) ، ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به ، وقد كان موسى من رجال السياسة المتصفين بالصبر والأناة ، أما يوشع فلم يكن إلا جندياً فقط ، وقد حكم موسى حكماً سليماً لم تسفك فيه دماء ، أما يوشع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الذى يقول إن أكثر الناس قتلاً هو الذى يبقى حياً ، وبهذه الطريقة الواقعية التى لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة .

ويعلق J.W.D. Smith (٥) على احتلال بني إسرائيل لفلسطين

- (١) اقرأ سفر يشوع وبخاصة الأصحاح السادس .
- (٢) God and Man in Early Israel p. 52.
- (٣) قصة الحضارة ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٢٢ .
- (٤) اقتبس ول ديورانت هذا الرقم من سفر يشوع الأصحاح الثامن .
- (٥) God and Man in Early Israel p. 54.

بقوله : إن هذا الحادث كان عملية انتقال في تاريخ بني إسرائيل ، لأنه
كوتن أمة من أشقات من العبيد .

وقد قسم يوشع الأرض التي استولى عليها بين الأسباط ، وشركت
ست مدن على الشاطيء الأيمن والأيسر للأردن لتكون ملجأ للمشردين من
بني إسرائيل المتهمين بالقتل خطأ .

بنو إسرائيل في فلسطين

وهكذا بدأت قصة اغتصاب اليهود لفلسطين ، ويمكن أن نقسم حياة
بني إسرائيل بفلسطين أقساما ثلاثة متميزة ، هي :

- ١ - عهد القضاة .
- ٢ - عهد الملوك .
- ٣ - عهد الانقسام فزوال ملك بني إسرائيل من فلسطين .

وستتكم عن كل قسم من هذه الأقسام على حدة بإيجاز :

١ - عهد القضاة :

لم يفتح العبرانيون في أرض الميعاد إلا منطقة التلؤل الداخلية ، ولم
يبدو عليها شيئا ، أما مدن الساحل فقد استطاعت أن تصمد لهجوم
العبرانيين ، وظل أسباط إبراهيم أحيالا عديدة شعباً مغموراً يعيش في
منطقة التلال الخلفية مشغولا بمناوشات لا نهاية لها مع الفلسطينيين
وسواهم من القبائل النازلة حولهم وبخاصة المؤابيون وأهل مدين (١) ،
وسفر القضاة سجل^٢ يسطر كفاحهم وما أصابهم من نكبات إبان تلك
الفترة ، وهو في الغالب سجل للنكبات والإخفاقات التي دونت بصراحة (٣) .

(١) سفر يسوع الاسحاح الثالث عشر .

(٢) Wells : A Short History of the World p. 92 .

وانظر كذلك الاسحاح الثاني والثالث من سفر القضاة .

وكان حكام اليهود في هذه الفترة قضاة من الكهنة ينتخبهم كبراء الشعب ، وكان بعض القضاة نساء أحيانا ، ويتكلم سفر القضاة عن دبورّة قاضية اسرائيل ^(١) ، ولم يكن في بني اسرائيل ملوك في تلك الأيام ، ولا كانت إطاعة القضاة واجبة ، وقد تسبب عن ذلك - بالإضافة الى تقسيم الأرض المفتوحة بين الأسباط - أنه لم تتألف من بني اسرائيل أمة موحدة متماسكة ، بل ظلوا زمناً طويلاً يؤلفون اثني عشر سبطاً ، يستقل كل منها عن الأسباط الأخرى استقلالاً واسعاً أو ضيقاً ، وكان نظام الحكم عندهم لا يقوم على أساس الدولة بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة ، فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل في شئون القبيلة ، وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى اذا ألجأتهم الى هذا التعاون الظروف القاهرة التي لا مفر من التعاون فيها ^(٢) ، فاذا فشل التقاضي أمام هؤلاء لجأ المتقاضون الى القاضي الذي كان يمثل الرئيس في الجماعات اليهودية . وقد استمر عهد القضاة حوالي أربعة قرون بناء على حساب سفر القضاة ، ولكن المحقق محمد عزة دروزة يقرر أن عهدهم لا يزيد عن قرن واحد ، فإن موسى خرج ببني اسرائيل حوالي سنة ١٢١٠ ق م وترعمهم هو ويوشع حوالي ثمانين عاماً أي حتى سنة ١١٣٠ ق م وهي السنة التي مات بها يوشع ، وبدأ بذلك عهد القضاة الذي استمر حتى سنة ١١٣٠ ق م ، ويرى هذا المحقق أن رقم التوراة من مبالغات السّفنر ، شأنه شأن الأسفار الأخرى في موضوع الأرقام ^(٣) .

وفي هذا العهد وُضع الأساس للحياة اليهودية ولل فكر اليهودي ، وقد اشترك في وضع هذا الأساس العناصر الداخلية اليهودية ، كما اشتركت فيه العناصر الخارجية والتأثيرات التي حملها اليهود معهم ، أو انفلتوا بها حين نزلوا بفلسطين ، وعلى هذا بدأت حياتهم تتغير خلال

(١) الاصحاح الرابع من سفر القضاة .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٢٩ .

(٣) تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ج ١ ص ١٤٨ بتصرف .

عهد القضاة رويداً رويداً ، فبدءوا ينتقلون من حياة البدو الى حياة الاستقرار ، ومن حياة الخيام الى القرى الساذجة ، كما بدعوا يعرفون الزراعة بجانب الرعى الذى كان كل عملهم ، ومصدر ثرائهم الوحيد ، وكان الكنعانيون أساتذة لهم فى الاستقرار وبناء القرى والزراعة ، وتعلم العبرانيون كذلك من الكنعانيين ومن الدول المجاورة التى اتصلوا بها عن طريق التجارة ، بعض التقدم فى الصناعة ، فأخذ الحدادون اليهود عن الكنعانيين تطوير الأسلحة وصنع آلات الزراعة ، أما عمال الفخار فقد ترقى صناعتهم بما اكتسبوه من خبرة من الكنعانيين (١) .

وبالإضافة الى هذا التأثير فى مطالب الحياة اليومية ، فإن الإسرائيليين تأثروا بالكنعانيين فى عباداتهم تأثراً كبيراً كما سنوضح ذلك عند الحديث عن معتقدات بنى إسرائيل .

٢ - عهد الملوك :

انهار عهد القضاة أمام مطالب الحياة الملحة ، فقد كان خطر سيطرة الفلسطينيين على اليهود عاملاً هاماً فى محاولة جمع الأسباط كلهم فى وحدة شاملة بعد ما نالهم من إخفاق فى عهد القضاة ، وبعد ما شاع من فسق القضاة وأخذهم الرشوة ، ويحكى لنا الإصحاح الثامن من سفر صموئيل الأول قصة الانتقال من عهد القضاة الى عهد الملوك ، وهناك كلماته :

لما شاخ صموئيل جعل ابنه قضاة لبنى إسرائيل ، ولكنهما لم يسلكا طريقه ، ومالا وراء المكسب وأخذوا الرشوة ، ووعوجا القضاء ، فاجتمع شيوخ بنى إسرائيل وجاعوا الى صموئيل وقالوا له : أنت قد شخت ، وابناك لم يسيرا فى طريقك ، فالآن اجعل لنا ملكا كسائر الشعوب ، فغلى صموئيل الى الرب فقال له الرب : اسمع لصوتهم ، إنهم لم

Charles Foster Kent : A History of the Hebrew people (١)

يرفضوك أنت ولكنهم رفضوني أنا ، إنهم تركوني وعبدوا آلهة أخرى ،
 ناسمع لصوتهم ولكن أشهد عليهم . قال صموئيل لبني إسرائيل :
 إن الملك الذى سيملك عليكم سيأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه ، لراكبه
 وفرسانه ، فيركضون أمام مراكبه ، ويحرقون له ويحصدون ، ويأخذ
 بناتكم عطارات وطباخات وخبازات ، ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم
 ويأخذ جواريتكم وشبانكم الحسان وحميركم . . . فابى الشعب أن يسمع
 لصموئيل وقالوا : لا بل يكون علينا ملك ، مثل سائر الشعوب يخرج
 أمامنا ويحارب حروبنا (١) .

واختار لهم صموئيل شاعول ليكون أول ملك عليهم ، ويسميه
 القرآن الكريم « طالوت » (٢) . وقد قادهم شاعول في المعارك بشجاعة ،
 وكان داود أحد رجاله في هذه المعارك . ويحكى الإصحاح السابع
 عشر من سفر صموئيل الأول بروز « جلبات » قائد الفلسطينيين الذى
 يسميه القرآن الكريم « جالوت » (٣) ودعوته بنى إسرائيل للمبارزة ،
 وقد استطاع داود أن يتغلب عليه ، لسخرية جلبات به وعدم تأهبه
 لمنازلته ، ومنذ ذلك الحين أخذ داود يملأ أعين الناس وأذهانهم وقلوبهم ،
 فأثار ذلك حقد شاعول عليه ، حتى عزم على قتله لئلا يزاخمه على
 الملك ، ومن ثم أخذ يطارده مطاردة شديدة وينصب له شبك القتل
 أمدأ طويلا ، ولجأ داود الى الفلسطينيين مرتين هارباً من شاعول (٤) ،
 وانتهز الفلسطينيون فرصة هذا الخلاف فهاجموا بنى إسرائيل وأوقعوا
 بهم الهزائم العظيمة ، وسقط شاعول في إحدى هذه المعارك بوادى
 بزريعيل ، وأخذت دروعه الى معبد غينوس الفلسطينى ، وودق جسمه
 بالمسامير على أسوار بيت شان (٥) .

(١) سفر صموئيل الأول الإصحاح الثامن .

(٢ ، ٣) سورة البقرة الآية ٢٤٩ .

(٤) صموئيل الإصحاح السادس عشر والإصحاحات التالية له .

Margolis and Marx : History of the jewish people p. 40.

Wells : History of the World p. 92. (٥)

وبعد موت شاعول قام صراع بين داود وإشبوشث بن شاعول يؤيده
أبنير قائد جيوش أبيه ، ولكن داود تغلب عليهما ، وذبحهما ، فاستقر له
الملك بذلك ، فأصبح الملك الثانى لبنى إسرائيل وبقي الملك وراثيا فى عقبه ،
ومن أبرز أعمال داود أنه استولى على أهم مدن فلسطين وهى (أورسالم)
أو (أورشليم) ومعناها بالكنعانية محلة السلام أو مدينة السلام ،
وكانت المنطقة التى تقع فيها هذه المدينة تحت سلطان اليبوسيين من
القرن الخامس عشر ق م ، واليبوسيون بطن من بطون كنعان ، وقد سميت
المدينة (ييبوس) خلال مدتهم ، ولما استولى عليها داود أعاد اسمها القديم
(أورشليم) واتخذها عاصمة له ، ونقل لها التابوت ، وأعد بها
مساحة منبسطة فسيحة ليثيد عليها الهيكل المقدس (١) .

واستكمالا للحديث عن تسمية هذه المدينة نذكر أنه فى عهد الرومان
الذى بدأ سنة ٦٣ ق م سميت هذه المدينة (إيلياء كابيتولينا) باسم
المعبد الوثنى الذى شيده أدريانوس سنة ١٣٥ م على إثر حرق المدينة
وإزالة معالمها ومعالم هيكل سليمان ، وفى العهد المسيحى عاش الاسمان
(أورشليم وإيلياء) ، فلما جاء الإسلام سميت هذه المدينة القدس أو
بيت المقدس .

ولنعد الى داود لنقتبس مزيداً من التعريف به وبعهدده ،
يقول Wells (٢) إن داود كان أكثر توفيقاً من شاعول ، ويتولىه
أشرققت فترة الرخاء الوحيدة التى قدر للشعوب العبرانية أن تعرفها على
مدى الدهر كله ، وهى تقوم على محالفة وثيقة الأواصر مع مدينة صور
الفينيقية التى يلوح أن ملكها حيرام كان رجلاً أوتى نصيباً كبيراً من
الذكاء والقدرة على المغامرة ، وكان يبنى أن يكفل للتجارة الى البحر

Wells : Civilization of the Near East p. 85. (1)

History of the World pp. 92-98. وقرأ كذلك :

The Outline of the History by Wells p. 283.

الأحمر طريقاً آمناً عبر منطقة التلال العبرانية ، وكان الأصل في التجارة الفينيقية أن تذهب الى البحر الأحمر عن طريق مصر ولكن بعض العقبات حالت دون مرور التجارة الفينيقية في تلك الطريق ، ومهما يكن من شيء فإن حيرام أنشأ بينه وبين داود وابنه وخلفه سليمان أوثق العلاقات ، وعند ذلك نشأت برعاية حيرام أسوار أورشليم ومقرها ومعبدها ، وفي مقابل ذلك بنى حيرام سفنه على البحر الأحمر وسيرها فيه .

وكان عهد داود — بناء على ما جاء في العهد القديم — غارقاً في دماء الضحايا ، شديد القسوة ، فيروى أن داود جمع كل الشعب وذهب الى ريبّة (عاصمة عمون وهي عمان اليوم) وحاربها وأخذها ، وأخذ تاج ملك عمون عن رأسه ووَزَنَهُ وَوَزَنَهُ أَي (قنطار) من الذهب مع حجر كريم ، ووضع داود على رأسه ، وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً ، وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفتوس حديد ، وأمرهم في أتون آخر ، وهكذا صنع بجميع مدن عمون ، ثم رجع داود وجميع الشعب الى أورشليم (١) .

ويقول Wells معلقاً على ما ورد بالكتاب المقدس عن قسوة داود ما يلي : وقصة داود بما تحوى من قتل وسفك دماء واغتياالات متلاحقة يأخذ بعضها برقاب بعض أشبه بتاريخ أحد الرؤساء المتوحشين منها بتاريخ ملك مدع (٢) .

ويعترف الكاتبان اليهوديان Margolis and Marx بقسوة داود ولكنهما يملكان لها بالثورات التي هبت ضده وبخاصة ثورة شيبية وأبشالوم (٣) .

(١) سفر صموئيل الثاني ١٢ : ٣٦ - ٣١ واترا كذلك سفر الملوك الاول .

(٢) The Outline of History p 282 .

(٣) A. History of the Jewish People pp 55-57 .

وقبل أن ندع عهد داود الى عهد ابنه وخليفته سليمان نذكر أنه ينبغي ألا نبالغ في تقدير سعة ملك داود ، ونقتبس لذلك خريطة من J.W.D. Smith (١) توضح أقصى اتساع لمملكة داود :



مملكة داود في أقصى اتساعها

ويقول Wells (٢) في ذلك : ولا يستطيع احد أن يقول إن أرض الميعاد وقعت يوماً في قبضة العبرانيين ، على أن مما وطد ملك داود وهياً له شيئاً من الاتساع أن أمور مصر في عهده كانت مرتبطة ، فخفت هيمنتها

God and Man in Early Israel p 87. (١)

The Outline of History p. 279. (٢)

على فلسطين وبلاد الشام ، وكانت أمور الدولة الأثورية مرتبكة كذلك .
وقد منح هذا لداود شيئاً من حرية الحركة والنشاط والتبسط وممارسة
السيادة (١) . . . وحكم داود أربعين سنة منها سبع في حبرون والباقي في
بيت المقدس (٢) .

ويختتم Wells كلامه عن داود بقوله : وآخر ما سجل من تصرفات
داود تدييره لولده الوسيلة لقتل شيماي (Shimci) وآخر ما سجل من
كلماته عبارات « الدم » إذ يقول لابنه « واحذر شبيته بالدم الى
الهاوية » (٣) وهو بهذا يشير الى أنه وإن كان شيماي الشيخ قد حماه
القسم الذي أخذه داود على نفسه للرب مادام حياً : نعماً من عهد
يرتبط به سليمان في هذا الشأن (٤) .

وجاء سليمان بعد أبيه وقد بدأ حكمه بقتل أخيه الأكبر أدونيا ، وقتل
يؤاب رئيس جيش أبيه ، وعزل أبيانار الكاهن (٥) ، وكانت حالة مصر
وأثور مرتبكة في مطلع عهد سليمان فنعم بالسلطان فترة من الزمن
واستطاع أن يصاهر فرعون مصر (شيشنق) ، ويعاق Vells
على هذا الزواج بقوله : كان من الجائز أن يتنازل فرعون فيقبل في
حريمه أميرة بابلية ، ولكنه كان يرفض رفضاً باتاً أن يسمح لأميرة مصرية
لها مالها من قداسة أن تصبح زوجة لعاهل بابلي ، فما بالك بملك صغير
كسليمان استطاع أن يتزوج أميرة مصرية ، إن هذا يدل على دلالة واضحة
على انحطاط مهابة مصر وتدعورها في هذه الأثناء (٦) ولكن حالة مصر

(١) انظر كذلك المقعد الثمين لأحمد كمال ص ١٥٢ وتاريخ بصر من
أقدم العصور لبريستيد ص ٣٥٢ وتاريخ بني اسرائيل من أسراعم لأحمد عزة
دروزة ج ٢ ص ٣٠٢ .

(٢) الملوك الأول ٢ : ٢١ .

(٣) الكتاب المقدس : الملوك الأول ٢ : ١٠ .

(٤) The Outline of History p. 784 .

(٥) الملوك الأول ٢ : ٢٤ — ٢٧ .

(٦) The Outline of History p. 286 .

بدأت في الانتعاش فعادت سيطرتها — الاسمىة على الاقل — على فلسطين ، ونشط أعداء مملكة سليمان فاستعادوا بعض البقاع التي كانت خاضعة لأبيه ، وانكمش ملك سليمان في آخر عهده فأصبح غرب الأردن فقط ^(١) ، ويشرح Wells كيف لعب الخيال قصور مملكة سليمان بصورة تفوق الواقع بكثير ، قال Wells ^(٢) :

من الخير ألا تعيب عن بالنا التقديرات النسبية للأمور ؛ فسليمان لم يكن وهو في أوج مجده إلا ملكاً صغيراً قابلاً يحكم مدينة صغيرة ، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث أنه لم تنقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على أورشليم ، ونهب معظم ما فيها من كنوز ، ويقف كثير من النقاد موقف المستريب إزاء قصة مجد سليمان التي توردها أسفار الملوك والأيام ، وهم يقولون أن الكبرياء القومي لدى كتاب متأخرين هو الذي دعاهم الى إضافة أشياء عن القصة والمبالغة فيها .

ويقرر Wells في موسوعته « معالم تاريخ الإنسانية » أن قصة ملك سليمان وحكمته التي أوردها الكتاب المقدس ، تعرضت لحشود وإضافات على نطاق واسع على يد كاتب متأخر ، وقد استطاعت هذه الرواية أن تحمل العالم المسيحي بل الإسلامي على الاعتقاد بأن الملك سليمان كان من أشد الملوك عظمة وأبهة ، وقد أسهب سفر الملوك الأول في تصوير مجد سليمان وأبهته وقخامته ، ولكن الحق أنه اذا قيست منشآت سليمان بمنشآت تحتمس الثالث ، أو رمسيس الثاني ، أو نبوخذ نصر . . فإن منشآت سليمان تبدو من التوافه الهينات . . ولم يتجاوز سليمان بالنسبة لذلك الملك التاجر « حيرام » منزلة المعاون له على تحقيق خطته ومشروعاته الواسعة النطاق ، وكانت مملكة سليمان رهينة تتجاذبها مصر وفينيقيها ، وترجع أهميتها في معظم أمرها الى ضعف مصر الموقوت ^(٣) .

(١) محد عزة دروزة ، تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ج ٢ ص .

(٢) History of the World p. 93.

(٣) The Outline of History p. 287.

هذه صورة من مملكة الملوك الأصغر

له صهيبي ناسه لبرونه

وقسم سليمان بلاده الى اثني عشرة قسما إداريا ، وتعتمد أن تكون حدودها متفقة مع حدود منازل الأسياط الاثني عشر وكان يرجو من وراء هذا أن يصف النزعة الانفصالية بينهم ، وأن يؤلف منهم شعباً واحداً ، ولكنه أفلس في هذا وأفلس بلاد اليهود معه (١) .

وتصف التوراة مسألة الهيكل وقصر سليمان أبلغ وصف ، وتصورهما في حالة رائعة من الجلال والعظمة (٢) ، وقد سبق أن أوردنا عبارة Wells التي تفيد أن أسوار أورشليم وقصرها ومعبدتها نشأت برعاية حيرام ملك الفينيقين ، على أن Wells يعود مرة أخرى فيتحدث عن مدى الجلال في هيكل سليمان ، فيقول : إننا لو استخرجنا من القصة أطوال معبد سليمان لوجدنا أن في الامكان وضعه داخل كنيسة صغيرة من كنائس الضواحي .

ويرى غوستاف لوبون (٣) أن وصف الهيكل وقصور سليمان قد بُولغ فيه الى حدٍ كبير وأن هذه الأبنية تمت على كل حال بأيدي الأجانب ؛ إذ جاء العمال من مصر أو من فينيقية ، ويختم غوستاف لوبون كلامه بقوله : لا ينبغي لنا أن نتحدث عن وجود شيء من فن النحت أو التصوير عند بني إسرائيل ، وقل مثل هذا عن فن البناء عندهم ، فانظر الى هيكلهم المشهور (هيكل سليمان) الذي نشير حوله كثير من الأبحاث الملمة تجده بناء أقيم على الطراز الآشوري المصري من قبيل بنائين من الأجانب كما تقول التوراة ، ولم تكن قصور سليمان غير نسخ رديئة للقصور المصرية أو الآشورية .

ويختم Wells كلامه عن سليمان بقوله : « وواضح مما تقصه التوراة أن سليمان بدد ما يملك في المظاهر ، وأنه أبهظ شعبه بالعمل

(١) ول ديورانت . قصة الحضارة ج ٢ . ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٢) الملوك الأول الاصحاحات الخلس الى الثامن .

(٣) اليهود في الحضارات الأولى ص ٤٠ و ٤٦ .

والضرائب ^(١) ولعل Wells يشير الى ما ورد في سفر الملوك الأول من أنه بعد موت سليمان اجتمع شيوخ بني إسرائيل وكلموا ابنه رَحْبَعَام قائلين : إن أباك قسَى نيرنا ، وأما أنت فخففْ الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا ^(٢) وبموت سليمان انتهى عهد الوحدة ، وبدأ عهد الانقسام ، ويوضح Weech أن بذخ سليمان وقسوته وكثرة زوجاته والخلاف بين أولاده ، كل هذا كان السبب في انقسام الملكة وزوالها ^(٣) .

٢ - عهد الانقسام وزوال ملك بني إسرائيل :

بعد وفاة سليمان حوالي سنة ٩٣٥ ق م أعلن رَحْبَعَام نفسه ملكا على دولة اليهود ، وبإيعه سبطا يهوذا وبنيامين في أورشليم على ذلك ، ثم اتجه رحبعام الى الشمال لأخذ البيعة من باقى الأسباط ، فاجتمع حوله شيوخ بني إسرائيل في شكيم (نابلس الآن) ومعهم أَخُوهُ يَرْبَعَام الذى كان قد ثار على أبيه وفشلت ثورته ، فهرب الى مصر ، وعاد الى فلسطين بعد وفاة سليمان ، وقالوا لرحبعام العبارة التى سقناها آنفاً عن قسوة سليمان وشدة تضيقه عليهم وطلبوا منه أن يخفف من نيره ، ونصح المستشارون الشيوخ رحبعام بقبول ذلك الرجاء ، ولكن زملاؤه من الأحداث حذّروه من ذلك ، ونزل رحبعام على رأى الأحداث وأعلن للقوم أن خنصره أغلظ من متنى أبيه ، وأن أباه أدبهم بالسياط وهو سيؤدبهم بالعقارب . ولذلك رفض شيوخ الأسباط فى الشمال أن يبائعوه ، وبإيع الأسباط العشرة يربعام ملكا ، وأراد رحبعام أن يحارب أخاه ولكن النبي شمعيأ نصحه بالمعدل عن الحرب ، وهكذا

(١) History of the World p. 93. ومعالم تاريخ الإنسانية ص ٣٨٨ .

(٢) الاصحاح ١٢ الفقرة الرابعة .

(٣) Civilization of the Near-East p. 85.

انقسمت المملكة الى مملكتين جنوبيه اسمها يهوذا وعاصمتها اورشليم ،
وشمالية اسمها اسرائيل وعاصمتها شكيم (١) .

ومن مطالعتنا للمهد القديم (٢) وللمراجع التاريخية (٣) يمكن أن
نوجز تاريخ هاتين المملكتين في العبارات الآتية :

— ضعفت مملكة سليمان آخر أيامه وبخاصة عندما ثار عليه ابنه
يربعام وأيده كثير من الشيوخ نتيجة لسياسة سليمان في الضغط وتحصيل
الضرائب ، وكان سلطان مصر شيشنق قد بدأ يقوى ، وأصبح في حالة
تمكنه من استعادة سلطانه على فلسطين لولا الإبقاء على صلة النسب
بينه وبين سليمان ، عن أن شيشنق مهد لاستعادة سلطانه على فلسطين
باغتيال حيرام ملك صور الذي هيأت تجارته أنواعاً من الغنى لداود
وسليمان ، وكذلك بحمايته ليربعام الابن الناصر على أبيه .

— لما مات سليمان بدأ شيشنق ينفذ تخطيطه ، واستغل يربعام في
ذلك ، فلما نجح يربعام في تقسيم الدولة والتسلط على جزئها الشمالي
كان ذلك في الحقيقة انتصاراً عملياً لفرعون مصر ، ولم يكتف شيشنق بهذا
بل غزا فلسطين وصعد على اورشليم ونهبها وبسط سيطرته على دولة
يهوذا ثم على دولة إسرائيل وامتد سلطانه الى الجليل .

— تعرضت هاتان الدولتان أيضاً الى الضغط من جهة الشمال ،
للقضاء على القوة اليهودية الدخيلة في المنطقة من جهة ، وللمنافسة بين
العراق ومصر من جهة أخرى .

(١) موجز من سفر الملوك الاول : الاصحاحان ١١ - ١٢ .

(٢) سفر الملوك الاول والثاني .

(٣) مثل بريستند : تاريخ مصر من اقدم العصور ، والمعقد الثمين
لاحمد كمال . وتاريخ سورية للمطران الدبس ، وتاريخ بني اسرائيل من
اسفارهم لعزة دورزة و . . .

— كانت دولة إسرائيل تمثل أغلبية الأسباط ، وكانت أوسع رقعة من دولة يهوذا ، ولكن دولة إسرائيل كانت مضطربة كثيرة الانقلابات ، في حين كانت دولة يهوذا أكثر استقراراً وهدوءاً . ومن أجل هذا تقلب على عرش مملكة إسرائيل ملوك من أسر متعددة ، وتغيرت عاصمتها مع الانقلابات أكثر من مرة ، أما يهوذا فقد ظل الملك بها في سلسلة متصلة من ذرية سليمان وظلت عاصمتها أورشليم ، وتساوى عدد الملوك هنا وعددهم هناك (١٩ ملكاً) .

— يتحدث سفر الملوك الأول والثاني وسفر الأيام بإفاضة عن المعارك التي تكاد تكون متصلة بين دولتي اليهود من جانب ومجاوريهم من جانب آخر ، وكذلك عن الوقائع الغادرة بين دولة يهوذا وبين دولة إسرائيل ، وطالما استعانت إحدى هاتين الدولتين على الأخرى بدولة مجاورة ، وكان وقوع دولتي اليهود بين مصر من جهة وآشور وبابل من جهة أخرى مثارا لحروب طويلة ، كانت فلسطين ميدانها ، حتى يمكن القول بأن عهد الانقسام كان عهد دماء تسيل ، وأرواح تترشق ، وأنين يبتعث .

— أما نهاية الدولتين والطريق الى النهاية فيصفه Wells
أبلغ وصف في قوله (١) : لم يتمتع الشعب العبراني بخفض العيش إلا أمداً وجيزاً ، فمات حيرام ، وانقطع عون صور الذي كانت تقوى به أورشليم ، ثم قويت شوكة مصر ثانية ، وأصبح تاريخ ملوك إسرائيل وملوك يهوذا تاريخ ولايتين صمدتين من شقي الرهي ، تحركهما على التوالي سوريا ثم بابل من الشمال ومصر من الجنوب ، وهي قصة نكبات ، وقصة تحررات لا تعود عليهم إلا بإرجاء نزول النكبة القاصمة . هي قصة ملوك همج يحكمون شعباً من الهمج ، حتى اذا وافت سنة ٧٢١ ق م

محت يد الأسر الآشوري في عهد الملك سرجون الثاني ملك آشور مملكة إسرائيل من الوجود ، وزال شعبها من التاريخ زوالا تاما ، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى أسقطها البابليون سنة ٥٨٦ ق م .

الأسر البابلي والتدمير الأول لاورشليم :

نعود هنا لإعطاء مزيد من التفصيل عن سقوط دولتي اليهود ، وما تبع ذلك من نفي وأسر ، فقد تم سقوط مملكة إسرائيل على يد سرجون الثاني ملك آشور ، الذي اعتقل هوشع بن أيله آخر ملوكها . ونفاه مع عبيد من رجاله الى مملكته ، وأقام عليها والياً يحكم باسمه ، وفي سنة ٦٠٨ ق م زحف فرعون مصر على مملكة يهوذا ، فاحتلها ، واستمر في زحفه فاحتل مملكة إسرائيل التي كانت قد سقطت تحت سلطة الآشوريين كما سبق القول ، وقد ثار لذلك ملك بابل نبوخذ نصر (بختنصر) ، الذي آل له السلطان على آشور وزحف على فلسطين ، فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة إسرائيل ، ثم احتل مملكة يهوذا ، وقتل صدقيا بن بواقيم آخر ملوك يهوذا ونهب اورشليم ودمرها ودمر معبد سليمان وسبى أكثر السكان الى بابل ، وفر بعضهم الى مصر وغيرها من الأقطار ، وأقام بختنصر على فلسطين والياً من قبله ، وانتهى بذلك ملك اليهود بفلسطين ، ويعرف هذا بالأسر البابلي ، وهذا هو التدمير الأول للمدينة والمعد . ويذكر Guinebert أن الأسر البابلي لم يشمل أولئك البسطاء الذين ليست لهم حماسة دينية كالفلاحين وصغار الصناع ، فقد ترك السيد الجديد هؤلاء يعملون له إذ لم يتوقع منهم أية مطرزة (١) .

وهنا نجيب على سؤال يروجه اليهود ويخدعون به جماهير الناس ، وهو : الى أي مدى يمكن أن تُعد فلسطين وطناً قومياً لليهود بسبب حياتهم بها هذه الفترة ؟

والإجابة تكون بإبراز حقائق لا تحتمل التأويل سبق أن أوردناها في هذا البحث ، وليس دورنا هنا إلا تجميعها في هذا المكان بإيجاز :

فاولا : دخل بنو إسرائيل فلسطين غزاة من الخارج دون أن يكون لهم بها جذور أو تاريخ ، واستعملوا القوة والوحشية ليحصلوا على الانتصار على السكان الأصليين .

وثانيا : لم يستطع اليهود أن يمدوا سلطانهم الى كل فلسطين ، ووقفوا عند منطقة التلال الداخلية ، أما منطقة الساحل فقد ظلت في أيدي السكان الأصليين .

وثالثا : لم يعرف بنو إسرائيل بفلسطين حياة الاستقرار على الإطلاق ، وظل السكان الأصليون يناضلون ضدهم حتى أخرجوهم .

ورابعا : كانت مدة بنى إسرائيل بفلسطين منذ دخول يوشع حتى سقوط مملكة يهوذا حوالي خمسة قرون وهي أشبه بمدة هولندا بإندونيسيا ، وبريطانيا بالهند ، والعجيب أن هناك تشابها من نوع آخر ، فقد أطلق العبرانيون على فلسطين أسماء يهودية هي إسرائيل ويهوذا مثلما فعلت هولندا عندما أطلقت على إندونيسيا اسم جزر الهند الهولندية إشارة الى التملك الذي تدعى إسرائيل مثله بفلسطين ، ولكن الصراع الوطني أعاد الحق الى نصابه .

وخامسا : أحس المجاورون لفلسطين من الشمال ومن الجنوب بالخطر الغريب الذي دخل المنطقة ، فاشترك هؤلاء المجاورون في الصراع حتى قضى على هذا العنصر الغريب .

ويقول Weech واصفا حياة اليهود في فلسطين : إن اليهود لم يكن لهم منفذ يذكر على البحر ؛ فالوادي الشمالية كانت تحت سلطان الفينيقيين ، وموانئ الجنوب كانت تابعة للفلسطينيين ، ومن ناحية الزمن فإن اليهود لم تكن لهم قوة إلا خلال نصف قرن فقط ، وحتى في

نلك الأثناء كانوا محاطين بممالك أكثر قوة وأرقى مدنية وحضارة (١) .
ويقول معلقاً على عهد بني إسرائيل بفلسطين : لقد كانت
حياة العبرانيين بفلسطين — وبخاصة خلال القرون الثلاثة الأخيرة —
أشبه بحياة رجل أمر على الوقوف وسط ميدان صاخب ، فكان مصيره
أن دهمته السيارات (٢) وهكذا انتهت القرون التي عاشتها السلطة
العبرانية ، وكانت من بدايتها الى نهايتها مجرد حدث صغير على هامش
أحداث تاريخ مصر وسوريا وآشور وفينيقيا (٣) .

اليود بعد سقوط إسرائيل ويهوذا :

خلت فلسطين تقريباً من اليهود إثر سقوط مملكتي إسرائيل ويهوذا ،
وفي سنة ٥٣٨ ق م احتل قورش ملك الفرس بلاد بابل ، ومن ثم
أصبح له السلطان على أرض فلسطين ؛ وأطلق الفرس على بني إسرائيل
اسم اليهود ، وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية (٤) ، ومن ذلك التاريخ
أصبحت كلمة « اليهود » تعنى مَنْ اعْتَمَقَ اليهودية ، ولو لم يكن من
بني إسرائيل (٥) ، وهذا هو الفرق بين اليهودي والإسرائيلي ، وسمح
قورش لليهود بالعودة الى فلسطين واستئناف عهد الحرية بها في ظله ،
ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفوا الحياة البابلية وامتدت بها أعراسهم ،
وعرفوا بها خصب العيش ، والتجارة الرابحة ، ومن ثم فقد ترددوا
طويلاً في العودة للقفار والصراع حول المدينة المقدسة ، وبعد هذا التردد
استقر رأى الأغلبية الساحقة على البقاء حيث كانوا بالعراق ومصر
وغيرهما من البلاد التي نزحوا اليها عقب سقوط دولتهم على يد

E. H. Weech : Civilization of the Near-East p. 82. (١)

The Outline of History p. 288. (٢)

Ibid p. 280. (٣)

(٤) سليمان يظهر : قصة المعتاد ص ٣١٨ .

(٥) دكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص ١٥ و ص ١٥

الأعلى ج ١٢ ص ٢٥٢ .

باحتصر^(١) ، ولم تقبل العودة الى فلسطين إلا قلة بدأت رحلتها بمد سنتين من مجيء قورش ، وقد أعاد هؤلاء بناء المدينة المقدسة ، كما بنوا بهنا معبداً صغيراً مكان الهيكل بتصريح من قورش^(٢) ، وكانت عودة اليهود من المنفى عودة الجموع وليست عودة الدولة ، فإن بعض بني إسرائيل عادوا ولكن دولتهم لم تَعُدْ ، فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له ، وكانت المناوشات لا تنقطع بينهم وبين حكامهم الفرس ، ومن أجل ذلك رحبوا بالاسكندر الأكبر عندما زحف على فلسطين سنة ٣٣٠ ق م ، وقد آل حكم فلسطين الى البطالسة بعد الإسكندر .

المكابيون :

لم يستقر اليهود في ظلال الحكم الجديد ، كما لم يعرفوا الاستقرار قط ؛ ومن أبرز ثوراتهم في هذا العهد تلك الثورة التي قاموا بها سنة ١٦٧ ق م بقيادة الكاهن ماتياس ، وقد هُزِمَ فيها ماتياس وهرب ومات في العام التالي ، فتولى ابنه مكابياس قيادة الثائرين ، وقد دفع حياته سنة ١٦١ ق م ثمناً لعصيانه ، والى هذا الكاهن تنسب أسرة المكابين التي حاولت أن تحقق — دون جدوى — أى لون من ألوان الاستقلال لليهود ، وطالما سقطت القادة من هذه الأسرة قتلى بيد الأمراء السوريين ، وفي سنة ١٠٤ ق م استطاع القائد المكابي أرسطوبولس أن يأخذ لقب « الملك » ولكن عهده لم يطل ، وقد أدى طول الاحتكاك بين المكابين والسوريين الى أن يمتنع المكابيون تقاليد السوريين وعادات الأمراء المجاورين ، وكانت أسرة المكابين ، أقرب الى القادة العسكريين ، ننحاز الى أسر الحكام^(٣) .

Wecch : Civilization of Near East p 37. (١)

Maspero :Sturgle of the Nations p. 638. (٢)

Cuigirebert : The Jewish World at the Time of jesus (٣)

الرومان والتدمير الثاني لأورشليم :

وفي هذه الأثناء كانت الدولة الرومانية ترقب هذا الصراع لتنتهز فرصة للتدخل ، وحانت لها هذه الفرصة عندما هب صراع داخلي بين قائدين متنافسين من اليهود فاكتسح الرومان فلسطين سنة ٦٣ ق م واستولوا على القدس بقيادة القائد الروماني بامبيوس .

وفي عهد الرومان حلت أسرة هيروودوس محل المكابيين ، وقد استطاع هيروودوس الكبير (٧٢ - ٤ ق م) القضاء على آخر ملوك المكابيين ليثأر لأبيه الذي كان ضحية عدوانهم ، وحاول هيروودس أن يرضى اليهود فبنى هيكلًا على نسق هيكل سليمان سنة ٢٠ ق م ، وقد ظل هذا الهيكل حتى سنة ٧٠ م حيث دمر الإمبراطور تيطس الروماني مدينة أورشليم وأحرق الهيكل على أثر ثورة قام بها اليهود (١) ، وهذا هو التدمير الثاني للمدينة والمعبد بعد التدمير الأول الذي أحدثه بختنصر .

وإذا كان تيطس قد اكتفى بتدمير المدينة والهيكل وأبقى الحطام مكانه فإن أدريانوس أزال معالم المدينة ومعالم الهيكل تمامًا سنة ١٣٥ م ، إذ حرث الأرض وسوّأها وزرعها كما تخلص تمامًا من اليهود بها بين قتل وتشريد ، فلم يبق بها يهودي واحد ، ورحل من استطاع الهرب منهم إلى مصر وشمالي إفريقيا وأسبانيا وأوربا . وأقام الإمبراطور الروماني أدريانوس مكان الهيكل اليهودي هيكلًا وثنيًا باسم جوبيتار Jupiter رب الآلهة عند الرومان ، إذ لم تكن المسيحية قد اعترِف بها بعد ، وبقي هذا الهيكل إلى أن قامت المسيحية في أورشليم ، فدمره المسيحيون من أساسه في عهد الإمبراطور قسطنطين (٢) .

آيات سورة الإسراء وافتساد بني إسرائيل في الأرض :

عند ما وقعت الهزيمة ضد مصر والأردن واحتل اليهود بيت المقدس

(١) James Hosmer : The Jewih p 183.

(٢) محمد علي علوية : فلسطين والضمير العالمي ص ٥٤ - ٥٦ ولواء

محمد صفوت : إسرائيل العدو المشترك ص ٢٥ .

سنة ١٩٦٧ ، قام جماعة من المسلمين بتوجيه بعض آيات من القرآن الكريم لتكون ملائمة لهذا الحادث الأليم ، وهذه الآيات هي الواردة في سورة الإسراء وهي قوله تعالى : « وقضينا الى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً ، فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ، ثم رددنا لكم الكثرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسئعوا وجوعكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبرأوا ما علوا تتبيراً ، عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً » (١) .

واعتقادنا أن هذا التوجيه خاطيء وأن مرّتي الإفساد المذكورتين في هذه الآيات قد وقعتا قبل الإسلام ، وهو ما أجمع عليه كل المفسرين القدامى ، والذي نؤكد أنه مرات الإفساد التي قام بها اليهود كانت كثيرة ، وأن سحقهم وتدميرهم نتيجة لذلك حصل عدة مرات ، ولكن القرآن الكريم يبرز مرتين من مرات الإفساد ، كما يبرز العقوبة عليهما ، واعتقادنا أن المرة الأولى تتمثل في عهد الاضطراب والقلق والفوضى والظلم الذي غمر فلسطين بعد وفاة النبي سليمان وانقسام المملكة الى مملكتين يهوذا وعاصمتها اورشليم وإسرائيل وعاصمتها شكيم ، وما تلا ذلك من طغيان ودمار وقسوة ، وقد عاقبهم الله على ذلك بأن سلب عليهم سرجون ملك آشور ففقدوا مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق م ويختصر ملك بابل ففقدوا مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق م ، وقد أشاع بختنصر فيهم القتل والأسر ودمر المدينة والهيكل .

ثم جاءت فترة استبعاد فيها اليهود كيانهم وذلك في عهد قورش الفارسي الذي انتصر على بختنصر ملك بابل وسمح لليهود بالعودة الى

فلسطين ، ولكن سرعان ما عتوا مرة أخرى وكثر طغيانهم فتصدى لهم
الامبراطور الروماني تيطس ودمر مدينة اورشليم وأحرق الهيكل .

ذلك هو رأى المفسرين القسدامى ورأى علماء التاريخ ، على أن هناك
نصاً مهمّاً في هذه الآيات الكريمة وهو قوله تعالى « وإن عدتم عدنا »
وتفيد هذه الآية احتمال طغيان بنى اسرائيل مرات أخرى ، ووعداً
أن ينزل الله بهم ما يستحقون من عقاب . وما فعله اليهود في العصر
الحاضر في فلسطين وفي بيت المقدس عود منهم الى الظلم والطغيان
وندعو الله أن يساعدنا على طردهم والنار منهم تحقيقاً لوعوده ، حتى
نزول عن أرضنا الطيبة ما نزل بها من طغيان وظلم .

المسلمون بفلسطين :

وفي سنة ٦٣٦ م فتح المسلمون فلسطين من الرومان ، ومنذ ذلك
التاريخ أصبحت فلسطين عربية دماً ولحماً ، أو قل عادت الى فلسطين
عروبته الكاملة ، فقد كانت قبل أن يعرفها اليهود عربية من أثر الهجرات
العربية المبكرة لها ، ثم دخلها اليهود على سكانها كما ذكرنا ، وأخيراً جاء
الفتح الإسلامي فأعاد الحق الى نصابه ، ورفع من جديد شعار العروبة
الخالصة بهذه البلاد ، وكانت آنذاك خالية من اليهود تماماً ، وكان من شروط
تسليم المدينة التي اشترطها صفرونيوس بطريرك النصارى على المسلمين
ألا يسكن المدينة المقدسة أحدٌ من اليهود (١) ، وأصبحت فلسطين بذلك
عربية إسلامية .

الحروب الصليبية ودور اليهود فيها :

وجاءت الحروب الصليبية في آخر القرن الحادى عشر الميلادى ،
وفي الجولة الأولى منها ، استطاع الصليبيون أن يستولوا على بيت المقدس
وعلى شريط ساحلى ضيق ، ويتضح من دراسة هذه الحروب أن اليهود
كانوا من وراء الصليبيين ، وكانوا من الأسباب الخفية التي دفعت

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٥٩ .

بالصليبيين لغزو البلاد المقدسة ، فقد رأى اليهود أنهم عجزوا عن العودة
إلى البلاد المقدسة بأنفسهم فحاولوا العودة خلف المسيحيين ، وقد اتخذ
اليهود المال وسيلة لهم ، فأخفوا مشاعرهم الدينية والوطنية خلف المال ،
إذ كانوا يمثلون أغنى مراكز التجارة على الساحل الشمالي للبحر المتوسط .
فساعدوا الصليبيين ليقوموا بهذه المغامرة باسم الصليب لفتح الطريق
التجاري إلى الشرق عبر فلسطين ، ولكن الشعار اليهودي كان في
الحقيقة أقوى من الصليب وأقوى من المال (١) . وعلى كل حال فإن
صلاح الدين الأيوبي سرعان ما استعاد بيت المقدس بعد موقعة
حطين ، وتساقتت البلدان الأخرى في يده ويد من جاءوا بعده (٢) ، وبقيت
فلسطين عربية إسلامية حتى قيام دولة إسرائيل على ما سيجيء .

عصر التشرذم وأثره :

عقب سقوط دولة إسرائيل تحت أقدام الآشوريين ، تفرق سكانها
اليهود ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة ، ولم يعد لهم في التاريخ ذكر
أما اليهود الذين سيقوا إلى بابل عقب سقوط مملكة يهوذا فهم الذين
عاد بعضهم إلى بيت المقدس في عهد قورش ، ومن أعقابهم جاء
اليهود الذين عاصروا الأحداث عقب ذلك ، وقد قلنا آنفاً إن هؤلاء
اليهود خضعوا لمصر وبابل والفرس واليونان والبطالسة والرومان ،
وكانوا يعادون الجميع وينتهزون الفرص للثورة على سادتهم ، ومن أجل
ذلك أزل بهم هؤلاء السادة ألواناً من التدمير والتعذيب ، وكانت سنة
١٣٥ م نهاية حياة اليهود في فلسطين ، وقد أدركوا إلا مقام لهم بهذه
البلاد ، فساحوا في الأرض ، وأقاموا هنا وهناك ، وبدأ لهم بذلك عصر
تشرذم طويل يصوره René Sédillo (٣) بأنه عود اليهود إلى سيرتهم

(١) See The Jewes by James Hosmer p 187.

See also : Medieval Europe by Ephraim Emerton p. 365-f.

(٢) اقرأ الحروب الصليبية للمؤلف في الجزء الخامس من موسومة

التاريخ الإسلامي .

The History of the world p. 39. (٣)

الأولى ليعيشوا في انحلال وتشرد ، وقد نزلوا خلال هذه الفترة الطويلة أكثر دول أوربا كما نزلوا بمصر وشمالى إفريقيا واليمن وغيرها من الدول ، وقد كان هذا العصر بالغ الأثر فى سلوك اليهود وتصرفاتهم .

• كانوا يرون فلسطين وطناً لهم ، ولكنهم الآن فقدوا الوطن .

• كانوا أمة متجمعة ، فأصبحوا أشتاتاً هنا وهناك .

• كان لهم هيكل يتعبدون به ويقدمون بمذبحه القرابين ، ولكن الدمار نزل بالهيكل والمذابح .

• كانوا يرون أنفسهم شعب الله المختار ، ولكنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم شعباً مضئياً ، مكروها كسير الجناح .

• وعاشوا بين الأمم تلاحقهم العزلة التى تكلمنا عنها من قبل ، والتى كانت من أبرز خصائصهم ، فأصبحوا ضيوفاً ولكنهم ضيوفاً ثقلاء ، وما بالك بضيف يرى نفسه أرقى عنصراً من المضيف ؟ وبغريب يفضل نفسه على صاحب الدار ؟

• ونقطة مهمة أخرى برزت فى عصر التشرد ، تلك أنهم — وقد فقدوا وطنهم — حقدوا على كل من له وطن ، وكروها الأوطان والمواطنين .

ولست أدرى هل نستطيع ونحن فى بحث علمى أن نلجأ الى الأدب ليشرح لنا هذه الفكرة ؟ هناك قصيدة رقيقة للمرحوم أحمد شوقى يصف فيها عصفورتين هزيتين وقفتا على خصن جاف بالجزيرة العربية ، فمرء عليهما نسيم عليل وفدّ من اليمن ، فتوقف النسيم وتحدث للعصفورتين ، فوصف لهما الزرع والحب والماء باليمن ، وأغراهما بأن يركباه ليأخذهما الى الرياض هناك ، ولكن العصفورتين ثارتا على النسيم ووصفتاه بأنه — لكثرة تنقله — لا يعرف حلاوة الأوطان ، وأنه يغريهما بالتمرد على الوطن ليكونا مثله بدون وطن . واختتم شوقى مقطوعته بقوله على لسان العصفورتين :

يا رريح أنت ابن السبيل ما عرفت ما السكن
هَبْ جنة الخلد اليمن لا شئ بعدل اوطن

وهكذا كان اليهود أعداء لكل الأوطان ولكل من لهم أوطان ، وكانما
كان لسان حالهم يهتف :

• لماذا فقدنا - دون الناس - وطننا ؟

• لماذا نُشردّ والناس مستقرون ؟

وترتب على ذلك أنهم لم يعرفوا الولاء لوطن نزلوا به ، ولاحقتهم
من جديد عزلتهم التي سبق أن تكلمنا عنها ، والتي كانت أبرز صفاتهم ،
فإذا بهم يعيشون في أحياء خاصة بهم ، وكان حتى اليهود دائما قذراً
مظلماً غير صحي يعرف باسم « الغيتو » نسبة الى اليهود في روما ،
وشاع هذا الاسم في غير روما أيضاً ، وكانوا كذلك يعيشون في كل
بلد ، فكانت لهم في القاهرة حارة وفي الاسكندرية حارة تحمل اسمهم .

وكان مجتمع اليهود مصدر الخيانات والمؤامرات ضد كل بلد نزلوا
فيه ، وقد صور كثير من الكتاب انعزالية اليهود وانتهازيتهم وخيانتهم
للبلاد التي نزلوا بها سواء في ذلك إبان تاريخهم القديم ، أو في
التاريخ الحديث ، يقول الدكتور عبد المعز نصر (١) .

لم يكن فرعون يبعثُ بنى اسرائيل جزءاً من قومه ، لأنهم عاشوا في
عزلة عن الشعب ، ولأنهم جاءوا الى مصر ليقيموا ويندمجوا ، بل ليخرجوا
منها بعد أن تتجمع لهم في مصر قوة المال والعدد ، وهذا ما رسمه
لهم « يهوه » ربهم إذ قال مخاطباً اسرائيل : « أنا أنزل معك الى مصر
وأنا أمدك أيضاً » وقد استشر فرعون الربية من ناحية بنى اسرائيل
وتوجس انضمامهم الى الأعداء إن دخلت مصر في حرب ، فعيونهم

(١) الصهيونية في المجال الدولي ص ٤٠ .

متجهة الى الخارج لا الداخل ، ومن الغريب أن ما توقعه فرعون مصر القديمة كان الحقيقة الواقعة التي جرّبها الألمان مع اليهود في الحرب العظمى الأولى خلال القرن العشرين ، وذلك حين تأمرت الصهيونية مع الحلفاء على إثارة اليهود في ألمانيا ضد الوطن الذي آواهم ، فالقى الحلفاء من الجو على مدنها وثيقة بلفور إذاناً لهم بأن يقوموا برسالتهم التاريخية وهي رسالة الغدر الوطني .

وقد عُدّد هتزر خيانات اليهود لألمانيا فذكر منها استنزاف أموال الشعب بالربا الفادح ، وإفساد التعليم ، والسيطرة لصالحهم على المصارف والبورصة والشركات التجارية ، والسيطرة على دور النشر ، والتدخل في سياسة الدولة لغير مصلحة الدولة ، وفي القمة من خياناتهم التجسس ضد ألمانيا الذي احترفه عدد كبير منهم (١) .

ويعدد المؤرخ الدكتور أحمد بدوي بعض ما شاهده من خيانات اليهود لألمانيا بقوله :

أنا أعلم — وأشهد الله على ما أعلم — أن أدولف هتزر لم يكن متجنياً ولا ظالماً عند ما وقف يدفع عدوان اليهود عن وطنه ، بعد أن أكلوا أرزاق هذا الوطن وحاولوا إذلاله ، فقد خرج الشعب الألماني من الحرب العالمية الأولى مغلوباً على أمره ، كسير الجناح ، فانتهمز اليهود فرصة تلك المحنة ، وعملوا على تجويعه وإذلاله والعبث بكرامته وعرض أهله ، فملئوا مدن البلاد بدور الفسق والدعارة ، يتجرون فيها بأخلاق الشبان من الجنسين بغية الكسب والإثراء ، ورموا هناك بذور الخلاف السياسي والاقتصادي حتى مزقوا الألمان أحزاباً مختلفة ، يتعب المدد من حصرها (٢) .

ومثل اليهود هذا الدور أيضاً في روسيا أوضح تمثيل ، فقد كان

(١) My Struggle, Passim .

(٢) في موكب الشمس ج ٢ ص ٨٨٧ — ٨٨٨ .

في روسيا في القرن التاسع عشر أكثر من نصف يهود العالم ، ولكنهم عاشوا طفيليات قذرة ، وكانوا خونة ومردة على القوانين ؛ فالفقراء منهم فتحو الحانات وتاجروا في الخمر ، والأغنياء عملوا في الربا الفاحش ، والتجار اصطنعوا الحيل لتكسب تجارة الاممين ، والعمال عملوا بأرخص الأجور حتى يوقعوا العمال الآخرين في الشطط ، واتفق اليهود جميعا على الهرب من التجنيد بوسائل متعددة ، وصلت الى تشويه الجسم وقطع بعض الأعضاء ، وهكذا أثبت اليهود في البلاد التي سكنوها أنهم في السرّاء لهم أوفى نصيب ، أما في الاتزامات والمكاره فدأبهم الفرار والهرب .

وهكذا كان اليهود في كل بلد عاشوا فيه في الشرق والغرب ، وتعدى خطرهم لدى المسيحيين المال الى الدماء ، ويصور « باركس » صورة اليهود لدى المسيحيين بقوله : لقد كان معتقداً أن اليهودي يطلب دم المسيحي لأغراض الطقوس الدينية ، وأنه يسرق الأطفال المسيحيين ويقتلهم لهذه الأغراض ، وكان معتقداً أنه يسمم الآبار وينشر الأمراض ، وانتشرت الإشاعات دائماً من بلد الى بلد ، بأنه في حلف مسح العرب المسلمين والتتر وجميع أعداء المسيحية ، وقد كان في ذاكرة عامة أوروبا يمثل أكثر من مجرد البلاء الاممصادي ، فقد كان يمثل العدو الخبيث الخطر الذي يسمى أبد الدهر ليحطم كلاء من بدن المسيحي وروحه .

ماذا كانت نتيجة هذه الخيانات ؟

كانت النتيجة أن أنزل بهم العالم ضربات قاصمة ، وعقوبات صارمة ، شملت التنكيل والطرده والسجن ومصادرة الأموال (١) ، ويقرر Hosmer أن كل الأمم المسيحية اشتركت في اضطهاد اليهود وإنزال مختلف العنت بهم ، وكانت القسوة مع اليهود تعدد ماثرة يمتدح

See : The History of the World, Ed. by Re.é scdillot (1)
pp. 82. 158-159.

المسيحيون بعضهم بعضاً عليها ^(١) . ولكن هذا ضاعف حقدهم ،
فارتفعت أصواتهم بالشكوى مما سموه ظلماً واضطهاداً ، ولم يكن
ذلك في الواقع إلا نتيجة لانحرافهم وخيانتهم .

وتكررت هذه الدورة في كل مكان عاش به اليهود ، حقد ومؤامرات
وخيانات من اليهود ، فانتقام منهم وعدوان عليهم ، فصياح وشكوى
وأنين ، وقد نجح صراخ اليهود في أن يبرز للعالم ما نزل بهم من ضيم ،
وربما استطاعوا أن يصورا أنفسهم في صورة المظلوم المعتدى عليه ،
وأن يستندوا بذلك أحيانا عطف الناس الذين خدعهم الأنين .

ونجح اليهود في أن يصوروا للعالم أن إنصافهم يكمن في تجمعهم
في وطن قومي ، يكونون هم سادته ورعيته ، ووجد كثير من الناس في
هذا الحل وسيلة للتخلص من اليهود وشرورهم ، فأيدوهم فيه حتى
ينزاحوا عن بلادهم ، فكان ذلك من أسباب ما لا قوة من تأييد في اغتصابهم
فلسطين في العصر الحديث .

ونعود لنضع في الميزان ما نزل باليهود من عسف واضطهاد ،
فنقرر أنه نزل بالعرب أضعاف هذا العدوان ، أنزله بهم ظلماً الصليبيون
والمغول والعثمانيون والفرنسيون والانجليز والطليان ، ولكن العرب
لم يعرفوا الصراخ ولم يتخذوه وسيلة لاستدرار العطف ، فبدأ اليهود
للناس منكوبين يستحقون العون ، وثنؤسى ما نزل بالعرب من نكبات
وبلايا .

في الطريق إلى العودة :

أوضحنا أن وضع اليهود في البلاد التي نزلوا بها كان وضماً
قلقاً ، إذ كانوا يكونون طبقة خاصة منعزلة عن باقي الطبقات ومعادية

لها . ومع هذا فقد أتيح للكثيرين منهم ثراء عريض بسبب تعاونهم مع بعضهم البعض وانتيازهم الفرص وبراعتهم في الشؤون الاقتصادية ، حتى سماهم René sciffel : ملوك المال وسادة البنوك في العالم الذين لم يخضعوا قط للقانون في شؤون الربا وشؤون التجارة (١) . وترتب على هذا الثراء أن انصرف بعضهم عن التفكير في فلسطين والعودة إليها . ولكن البعض الآخر وجد في فلسطين الملجأ الذي يحويه من الاضطهاد والقلق ، فأصبحت فلسطين لهؤلاء أغنية يتغنون بها وأملا يتطلعون اليه ، ومن هؤلاء لورد بيرون الذي خلد تشريد بني اسرائيل في أغانيه العبرية إذ قال : إن للحمامة البيضاء عشاً صغيراً ، وللثعلب وكراً ، ولكل إنسان وطنه ، ولا وطن لليهود . وجاء دزرائيلي فحشد على قضية اليهود في روايته دافيد أكروا ، وجعل بطلها يقول : تسأليني عن أعز أمنية عندي ، وجوابي : هي أرض الميعاد . وتسأليني عما يداعب أحلامي . فأقول : أورشليم . وتسأليني عما يستهوي فؤادي فأقول : إنه الكتيس (٢) .

وهناك شاعر يهودي آخر ووصف في المهود المتأخرة ذكرى القافلة البائسة التي كان نبوخذ نصر قد ساقها الى بابل في أغنية رائعة جاء فيها :

لئن نسيتك يا أورشليم فلتنسَ يميني حذقها
وليلتصق لساني بسقف حلقى إن لم أذكرك يا أورشليم
وإن لم تكوني لـديّ خيراً من أفراسي (٣)

ومن أناشيد الشاعر اليهودي ن . أمير ننقل الفقرة الآتية :
مثل قصف الرعد الذي يشق لهيب السحب نصفين
يدوي في آذاننا صوت صادر من صهيون

(١) The History of the World p. ١75 .

(٢) نقلا عن « هذه الصهيونية » لاسرائيل كوهين ص ٣٠ .

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ١ ص ٢٥٨ .

ويناديننا قائلًا : يجب أن تظل نفوسكم
تواقةً الى الأبد لأرض آبائكم وأجدادكم
حتى ننقذ من يد الأعداء نهرنا المقدس
ونعود الى ضفاف الأردن (١)

وبينما كان اليهود يعيشون في هذا التردد بين التردد مع المال .
أو المغامرة من جديد لاستعادة فلسطين ، ظهرت جهة أخرى يعينها
أمر فلسطين ، تلك الجهة هي الاستعمار الذي أخذ يتحالف مع اليهود
لتحقيق الغرض المشترك وهو القضاء على عروبة فلسطين ونقلها لليهود
على أن تكون تابعة للمستعمر وسائرة في ركابه .

ومن جهة اليهود ليس هناك وفاء أو صلوات خاصة تدفعهم لاختيار
سيدهم الجديد الذي يمنحهم فلسطين ويمنحونه السيادة ، فاليهود
لا يعرفون الوفاء ، ومن أجل هذا تم اتفاق بينهم وبين نابليون بونابرت
على هذه الصفة ، ليضرب بها مصالح انجلترا في الشرق ، ولكن نابليون
سرعان ما هزم وعاد الى بلاده ، فراح اليهود يبحثون عن سيد جديد .

وفي آخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ظهر زعيم يهودي كبير
هو تيودور هرتزل ، وكان صحفياً نمساوياً . وقد شهد بباريس -
كمراسل صحفى - محاكمة الضابط الفرنسي اليهودي (دريفوس) ، ولكنه
أحس في المحاكمة - كما يقول - بروح العداة للسامية لليهود ، فكتب
كتابه « الدولة اليهودية » سنة ١٨٩٥ يعلن فيه ضرورة قيام دولة لليهود
يحتمون بها من هذا العنت ، ولم يعين هرتزل مكاناً لهذه الدولة ، ثم
بذل جهداً هائلاً لجمع كلمة اليهود وتوجيه نشاطهم . فعقد مؤتمر بال
سنة ١٨٩٧ وقد حدد هرتزل أهدافه بقوله « إننا اجتمعنا هنا لكي
نضع حجر الأساس للمبادئ التي تجمع الشعب اليهودي » وسرعان

(١) من الفكر اليهودي ص ١٢٩ .

ما سيطر شعور اليهود الشرقيين (الروس بوجه خاص) على هذا المؤتمر ، وكان هؤلاء ، يتمسكون بأن يكون مأوى اليهود في أرض فلسطين ، فاتخذ المؤتمر القرار التالي :

إن أمانى الصهيونية هي إنشاء وطن للشعب اليهودي يُعْتَرَف به من الناحيتين الرسمية والقانونية ، ويصبح الشعب اليهودي بإنشائه في مأمن من الاضطهاد ، على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين (١) .

وتوالت المؤتمرات ، وكانت خلاصة نتائجها تدور حول : كيف يمكن لليهود استعادة فلسطين ؟ فاتفقوا على أن هذا يستلزم جهدين : جهداً داخلياً يرمى الصهيونيون من ورائه الى تنظيم أنفسهم وإعدادها لاستعادة فلسطين . وجهداً خارجياً يرمى الى البحث عن دولة تساندتهم ، وتحقق لهم ما تصبو اليه نفوسهم .

أما من الناحية الأولى فقد أنشئوا جهازاً إدارياً دقيقاً لجمع المال ، وظهرت « جمعية عشاق صهيون » لنشر اللغة العبرية ، وللدعوة الى تكوين مستعمرات زراعية في فلسطين ، وذلك بشراء الأرض من العرب مهما بلغ سعرها ، ودفع أكبر عدد من اليهود للهجرة الى فلسطين بحيث يصبحون أكثرية بأسرع ما يمكن ، واشترك أثرياء اليهود بمسءاء في تمويل هذه المشروعات وبخاصة المليونير روتشيلد الذي فتح خزائنه لهذا الغرض دون حساب .

وأما من الناحية الثانية فقد درسوا أحوال القوى الاستعمارية المتحاررة لئيتجازوا للمسكر الذي يتفق مع أغراضهم ، ووجدوا في إنجلترا خير حليف لهم ، فأعلن زعيمهم الجديد وايزمان ارتباط مصالح اليهود بمصالح إنجلترا ، وانضم صراحة الى معسكرهم .

هذا هو جانب اليهود في الموضوع حتى قبل إعلان تصريح بلغور ، فماذا كان جانب الاستعمار ؟

في سنة ١٩٠٧ تولى « كامبل بنرمان » رئاسة الوزارة في بريطانيا . وقد قلم رئيس الوزراء بتشكيل لجنة مكونة من بعض علماء التاريخ ورجال القانون والسياسة ليس من بريطانيا وحدها وإنما من عدة دول أخرى . ووجه « بنرمان » خطاباً الى تلك اللجنة حدد فيها ديمتها وجاء فيه :

« إن الامبراطوريات تتكون وتتسع وتبقى ، ثم تستقر الى حد ما ، ثم تنحل رويداً رويداً ، وتزول ، والتاريخ مليء بمثل هذه الأمثلة ، وهي لا تتغير بالنسبة لأية امبراطورية أو أمة ، فهناك امبراطوريات روما وأثينا والهند والصين . وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها . فهل يمكن الحصول على أسباب أو وسائل تحول دون سقوط الاستعمار الأوربي وانهاره أو تؤخر مصيره المظلم بعد أن بلغ الآن الذروة ، وبعد أن أصبحت أوروبا قارة قديمة استنفدت مواردها ، وشاخت معالمها ، بينما العالم الآخر لا يزال في شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية ؟ » .

وقد ظل هؤلاء العلماء يبحثون ويتدارسون طيلة سبعة شهور ، ثم قدموا نتيجة أبحاثهم في هيئة تقرير سري خاص الى وزارة الخارجية البريطانية وهاك مقتطفات منه :

« إن الخطر ضد الاستعمار في آسيا وفي افريقية ضئيل ، ولكن الخطر الضخم يكمن في البحر المتوسط ، وهذا البحر همزة الوصل بين الغرب والشرق . . . وحوضه مهد الأديان والحضارة ، ويعيش في شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ ، والدين واللسان ، وكل مقومات التجمع والترابط ، هذا فضلاً عن نزعاته الثورية وثرواته الطيبة .

فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل الحديثة
وامكانيات الثورة الصناعية الأوروبية ، وانتشر التعليم بها ، وارتقت
الثقافة ؟

إذا حدث ما سلف فيقبل الضربة القاضية حتما بالاستعمار
العربي ، وبناءً على ذلك فإنه يمكن معالجة الموقف على النحو التالي :

١ - على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار
تجزؤ هذه المنطقة .. وتأخرها ، وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك
وتأخر وجهل .

٢ - ضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقي في هذه المنطقة
عن الجزء الآسيوي . ونقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشري قوى ،
وغريب . يحتل الجسر البري الذي يربط آسيا بإفريقية ، بحيث يشكل
في هذه المنطقة ، وعلى مقربة من قناة السويس ، قوة صديقة
للاستعمار ، وعدوة لسكان المنطقة .

وإتماماً لهذه الدراسة التي ظهرت في وثيقة بنرمان نضيف مجموعة
من الحقائق المهمة مستقاة من أبحاث كبار المؤرخين الغربيين الذين عونا
بشئون الشرق الأوسط أمثال سديو وكارل بروكلمان ، وهذه الحقائق هي :

أولاً : إن موقع الدول العربية بالشرق الأوسط وبخاصة مصر
وقناة السويس يشكل نقطة حيوية في التخطيط الاستعماري ، فعن
طريق هذه المنطقة يتم اتصال إنجلترا بمستعمراتها في الهند والشرق
الأقصى وبأستراليا ، ويتم اتصال فرنسا بالهند الصينية . والبرتغال
بجوا ، وهولندا باندونيسيا ، ومن هنا كانت مصر تمثل باب هذه
المستعمرات .

ثانياً : انضمت أمريكا وكندا الى هذا الاتجاه ، فأما أمريكا

فقد دفعتها الصهيونية التي كانت ذات نفوذ كبير في البيت الأبيض ولدى السلطات الحاكمة ، فأعلنت أمريكا أن عزلتها انتحار بطيء لها . ولا بد من ارتباط وثيق يربطها بأوروبا ضد الخطر الشيوعي الذي يهدد الجميع . وانها لذلك تسند مستقبل أوروبا وتؤازر مخططاتها وتحمل أعباءها . وأما كندا فقد كانت أكثر احساساً بمشكلات الغرب وتفاعلاً بها بسبب ارتباطها الوثيق بانجلترا .

ثالثاً : يقول كارل بروكلمان إن الخبراء الانجليز أكدوا النظرية التي طالما برهن التاريخ على صوابها وهي أن التحكم في مصر لا يتم إلا من قاعدة سورية . ومن هنا أصبحت فلسطين - وهي في الأصل جزء من سوريا - ضرورية للسياسة الغربية .

رابعاً : إن الاستعمار أو الانتداب أو الاحتلال أو غيرها من الاصطلاحات لا تفي بالمطلوب بالنسبة لهذا الموقع بالذات ، فحركات التحرر به لا تهدأ ، عرفها الفرنسيون إبان حملة نابليون ، وعرفها الإنجليز إبان حملتهم على رشيد ، ومنذ وضعوا أقدامهم في القل الكبير ، ومن أجل هذا اتجهت الجهود الى شيء آخر غير الاستعمار والاحتلال والانتداب بالنسبة لفلسطين ، ذلك هو استعمار الإبادة أو تحويل فلسطين من بلد عربي الى عربي على نحو ما تم في استراليا ونيوزيلندا وأمريكا ، وعلى نحو ما يجري الآن في جنوبي افريقية على أن يتخذ الاستعمار والانتداب والاحتلال وسيلة لهذه الغاية .

وبدا خبراء السياسة الغربيون ومعهم خبراء علم النفس وعلم الاجتماع يبحثون عن الوسيلة لذلك ، وسرعان ما اهتمدى هؤلاء الخبراء الى استغلال الدين لتحقيق هذا الغرض ، ولعل المسيحية خطرت على بالهم ، ففي فلسطين ولد المسيح وتربى ودعا قومه ، وبيت المقدس مزار المسيحيين منذ ذلك العهد ، ولكن هذه الفكرة لم تكن ضئيلة العمر إذ رثى أن الأخذ بها سيكون عودة الى الحروب الصليبية ، وسيحمل في طياته أسباب الفشل .

واتجهت الأنظار الى اليهود ، وفلسطين بالنسبة لهم مكان مقدس أيضاً ، ثم هم يعانون ألواناً من الاضطهادات والتعذيب والتشرد ، وهم باحثون عن المال . والشرق الأوسط فيه غنى ، وفيه تخلف صناعات مما يهيء سوقاً رائجة لأية دولة صناعية تجارية تقوم به . ولليهود بفلسطين الصلة التاريخية التي المنها بها . والتي انقضت منذ عشرين أو خمسة وعشرين قرناً . ولكن الخبراء اتخذوهم وسيلتهم على كل حال . على أن يعطوهم اتجاههم باسم الإنسانية والرحمة لهؤلاء المعذبين المرشدين .

ويصرح ألفرد مونت في كتابه « الجار » بقوله :

إننى أتطلع بلهفة الى ذلك اليوم الذى تصبح فيه فلسطين وشرق الأردن وحدة ضمن الإمبراطورية البريطانية ، وتشغل مركزاً مهماً فى جسم تلك الإمبراطورية . وتدافع عن هذه الوحدة عدة ملايين من اليهود الذين تربطنا بهم رابطة الود والإخلاص والمدنية .

وكانت فلسطين فى أكثر فترات التاريخ وبخاصة فى العهد الإسلامى تتبع مصر ، فلما جاء العثمانيون حرصوا على عزل فلسطين عن مصر وضموها الى الشام الذى أحيوا له الاسم القديم (سورية) وكان هذا لإضعاف الجبهة المصرية التى كانت تمثل مركزاً قوياً دعا العثمانيين أن يحسبوا حسابها ، وظلت فلسطين جزءاً من سورية حتى سقطت الإمبراطورية العثمانية ، فاستولت فرنسا على الجزء الشمالى من سوريا وجعلت منه سوريا ولبنان ، واستولت بريطانيا على الجزء الجنوبى وجعلت منه إمارة شرق الأردن وفلسطين .

والتقت حول فلسطين مصالح الصهيونيين مع مصالح الاستعمار الإنجليزى ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فكانت فرصة ذهبية للصهيونيين ، وأصبح انتصار الإنجليز على الأتراك نقطة الأمل عند الصهاينة ، وبينما كان الإنجليز يستعدون عطف العرب . ويقدمون لهم العهد والميثاق

لتحقيق استقلالهم كاملاً بعد الحرب . كانت المؤامرة الدينية تنسج خيوطها بين اليهود والإنجليز . وفي الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ أعلن وعد بلفور المشؤم ونصه :

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي . وسوف تبذل أقصى جهودها لتسهيل هذه الغاية . على أن يفهم جيداً أنه لا يجوز عمل شيء قد يضر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية في فلسطين . ولا الحقوق ولا المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد غيرها .

ويعترف وايزمان في مذكراته أنه هو الذي كتب بيده هذه الوثيقة بناء على طلب اللورد بلفور (١) .

واتجهت إنجلترا بكل قواها الى أن يتم لها الانتداب على فلسطين لتنفيذ ما وعدت به ، ولم يكن ذلك عسيراً عليها . فإن القوى الغربية بعصبة الأمم كانت تشارك إنجلترا نفس الشعور . لأنها كانت واقعة تحت تأثير اليهود ، وما يسيطرون عليه من مناصب حساسة بالدول الكبرى ، وبخاصة في أمريكا ، ثم بما يملكون من ذهب وإغراء ومناخ . ولذلك يقول وايزمان في مذكراته بصلف وكبرياء : نحن اليهود الصهيونيين كنا نسعى لإقامة دولة لنا بفلسطين ، وقد انتدبنا الانجليز لحكمها ، واستعنا في هذا بعصبة الأمم ، فنحن الذين سامنا فلسطين للانجليز مؤقتاً ، وليس الانجليز هم الذين وهبوا لنا بعد ذلك (٢) .

وكان مدلول الانتداب أنه أمانة ينتهي أجلها عندما يصبح السكان قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم . وقد برهن الشعب العربي بعد فترة قصيرة على هذه الحلاية فاستعاد بعض حقوقه السياسية بسوريا

(١) مذكرات وايزمان ص ٢٧ .

مذكرات وايزمان ص ١٨ و ٢١ و ٢٤ .

ومصر والعراق متمثلة في الحكم الذاتي ، وطالبت فلسطين بمثل هذا الحق ، وذكر المتحدثون باسم فلسطين أنها ليست أقل تطوراً من البلدان العربية الأخرى . وقد أجاب تشرشل على هذا بقوله في صراحة : إن المسألة ليست هي أن الشعب العربي في فلسطين أقل تقدماً من جيرانه . ولكن تشكيل حكومة وطنية بفلسطين سيحول دون تنفيذ العهد الذي قطعتة الحكومة البريطانية للشعب اليهودي بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

ويقول الدكتور وايزمان في مذكراته :

لقد احتضنت بريطانيا حركة الصهيونية منذ نشأتها ، وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب لليهود في سنة ١٩٣٤ ولولا الثورات المتعاقبة التي قام بها عرب فلسطين لتم إنجاز هذا الاتفاق في الموعد المذكور (١) .

وعقب الانتداب اختارت بريطانيا السير هربرت صموئيل اليهودي ليكون أول مندوب سامي لها في فلسطين ، وأطلقت يده لاتخاذ ما يراه من إجراءات في البلاد ، ويعترف وايزمان في مذكراته بأنه هو الذي اقترح على الحكومة البريطانية تعيين هربرت صموئيل ، وقد باذر هربرت بأن أسس الإدارة المدنية بفلسطين من اليهود أو من أنصاف اليهود ، واعتبر اللغة العبرية لغة رسمية بالإضافة الى اللغة الانجليزية والعربية ، وسلم اليهود جميع وسائل الصناعة ، وجعلهم مشرفين على التربية ، ومهد لخلق إمارة شرق الأردن في مارس سنة ١٩٢١ ، بالاجتماع الذي رتبته بين الأمير عبد الله والمستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك حين زار القدس . وكان الهدف من خلق هذه الامارة هو إيجاد حاجز

(١) مذكرات وايزمان ص ٢٥ .

من الموالين لبريطانيا يحمون الوطن القومي اليهودى من هجمات الثوار العرب (١) .

وعمل هيربرت على اغراق البلاد بالمهاجرين اليهود ، وبسرت الإدارة البريطانية لهم سبل الحياة ، ومنحتهم أرض « المرى » وأقامت لهم الدور والمناجى ، وألحقتهم بحيشها ليقم تدريبهم على استعمال أحدث الأسلحة . وفى سنة ١٩٤٤ كونت فى جيشها فرقة يهودية أسمتها The Jewish Brigade وأمدتها بالسلاح والذخيرة . فكانت جيشاً يهودياً رسمياً أصبح فيما بعد ثواة جيش إسرائيل ، وفى نفس الوقت أثقلت كاهل العرب بالضرائب . وسلبت منهم أرضهم بطريق أو بآخر ، وقصرت فى مد أرضهم بما تحتاج اليه من المياه ، ودفعت ملاك الأرض غير الفلسطينيين لبيعوا أملاكهم لليهود ، وحرمت على العرب المهاجرين العودة الى فلسطين ، وحرمت على العرب حمل السلاح أو امتلاكه .

ويشرح وايزمان فى مذكراته نقطة خطيرة هى اجتماعه بالأمير فيصل بن الملك حسين سنة ١٩١٨ وتأثيره فيه ، ويقول وايزمان : شرحت للأمير أن البلاد تتسع للعرب واليهود جميعاً ، وبينت له حاجتنا الى مساعدته الأدبية ، فأعرب عن رغبته فى أن يرى العرب واليهود يتعاونان فى مؤتمر السلام ، وقال إن مستقبل الشعبين مرتبط بالشرق الأوسط ، وأن واجب الشعبين الاستعانة بصداقة الدول الكبرى ، وقد استمر حديثنا ساعتين ، واقترح الأمير فى نهاية الحديث أن تؤخذ لنا صورة معاً ، وقد وضعت هذه المقابلة حجر الأساس لصداقة متينة بينى وبين الأمير دامت طوال حياته (٢) .

وفى ٣ يناير ١٩١٩ حصل وايزمان على اتفاق مع فيصل يعترف فيه بوعد بلفور ، ويهد بأحسن العلاقات بين الدول العربية التى ستنشأ

(١) عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية ص ٢٦٣ .

(٢) مذكرات وايزمان ص ٤٥ .

في الشرق وبين فلسطين ، وبعد شهرين عزز فيصل موقفه بخطاب أكد فيه هذا المعنى وأرسله الى القاضي الصهيوني « فيليكس فرانكفورتز » عضو الوفد الصهيوني الى مؤتمر فرانساي بفرنسا ، ولكن الشعب العربي كله رفض الاتفاقية رفضاً باتاً (١) .

ونقطة أخرى خطيرة كالسابقة يشرحها وايزمان متصلة بشخصية لورانس الذي تظاهر بمداقة العرب وخذع بعضهم ، وهو في الحقيقة عريق الصلة بالصهيونية ، يقول وايزمان : ويقضى على الواجب وأنا أبحث تاريخ العلاقات بين العرب واليهود ، أن أثنى أعظم ثناء على الخدمات التي قدّمها « لورانس » للقضية اليهودية ، لقد عرفت لورانس وقابلته مرات عديدة في مصر ، وقد كان يتردد بعد ذلك على منزلي في لندن من غير رسميات ولا كلفة ، وكان موقف لورانس من الصهيونية موقفاً ايجابياً ، لا شك فيه ، وكان من الخطأ البالغ أن الكثيرين كانوا يتصورون أن لورانس عدو الصهيونية بحكم أنه كان صديقاً للعرب (٢) .

وسرعان ما ارتفع رقم اليهود بفلسطين ارتفاعاً كبيراً عما كان عليه عند احتلال بريطانيا لفلسطين حتى ناقس عدد العرب ، وقد جاء في تقرير اللجنة الملكية البريطانية سنة ١٩٣٧ ما يلي : « وما جاءت سنة ١٩٣٦ حتى كان الوطن القومي اليهودي قد نما وأصبح شيئاً يتسبه حكومة داخل الحكومة ، فالطائفة اليهودية قد بلغت أربعمئة ألف شخص [وكانت خمسة وأربعين ألفاً سنة ١٩١٨] ولها عاصمتها « تل أبيب » وعلمها الوطني ، ونشيدها القومي ، ونظامها الثقافي ، ولها شبكة من المصالح الاجتماعية والاقتصادية ، وترتبط هذه الطائفة باليهودية العالمية بواسطة الوكالة اليهودية ، بينما تدار شؤون الجماعة الداخلية بواسطة

(١) مذكرات بن جوريون ص ٣٤ .

(٢) مذكرات وايزمان ص ٤٥ — ٤٦ .

مجمع وطنى أو مجلس ملئى . ومجلس ربائىين . وإنما نرى أن الدولة المنتدبة قد قامت حتى الآن خير قيام بإنشاء الوطن القومى لليهود بفلسطين (١) .

ويبدو أن النشاط الإنجليزى لخدمة الصهاينة توائى أحياناً بسبب الضغط الذى كانت بريطانيا تتعرض له من العرب والمسلمين وهن الضمير العالمى ، ولكن اليهود لم يغفروا للإنجليز هذا التوائى ، بل ثاروا عليهم كلما ظهر منهم التوائى فى خدمتهم ، فأوقع الإرهاب الصهيونى بالانجليز ألواناً من البلاء ، فدمروا منشآتهم ونسفوا دورهم وقاطراتهم ، وقتلوا كل من تحوم حوله شبهة التوائى فى خدمة الصهيونية ، وبلغ استهانتهم بالسيد الذى رباهم وآواهم أن شنقوا رجال البوليس على قارعة الطرق ، وأعلن بن جوربون أن الوكالة اليهودية بفلسطين لن تستطيع أن تساعد فى وقف هذا الإرهاب . واضطر الانجليز أن يحنوا الرأس وأن يعودوا لمساعدة اليهود ومساعدتهم .

وإذا كان الانجليز قد أصابهم هذا البلاء ، فإن العرب قاسوا من الانجليز ومن اليهود ألواناً من التنكيل تقشعر لها الأبدان ، وقد تعاونت « الهاجانا » (أى منظمة الدفاع عن النفس) اليهودية مع الانجليز فى قمع ثورات العرب كما تعاون الانجليز مع جماعة « إرجوم زفاى ليومى » (أى المنظمة الحربية القومية) « وجماعة « شتيرن » (٢) للتنكيل بالعرب والإيقاع بهم غدرأ وليست مذبحه دير ياسين ومذبحه قرية ناصر الدين بالقرب من طبرية إلا نماذج لكثير من أمثالها ، وكانت المحاكم الإنجليزية تحكم بالسجن على المعتدين اليهود ، ثم يُفْرَج عنهم خلسة ليستأنفوا نشاطهم العدوانى الأثيم .

(١) تقرير اللجنة الملكية .

(٢) جماعة تنسب الى ابرهه شتيرن الذى كان له صلة بحكومة ايطاليا الفاشية ، وكانت هذه الجماعة تستعمل للتدمير والتعذيب للانجليز والعرب جميعاً .

دور الكنيسة الانجليزية في خدمة اليهود :

إن دور الكنيسة في خدمة اليهود يذكره وايزمان بصراحة في العبارة التالية : وللقارىء أن يسأل ما هي أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود وثدة عطفهم على أمانى اليهود في فلسطين ؟ والجواب على ذلك أن الإنجليز - لا سيما من كان منهم من المدرسة القديمة - هم أشد الناس تأثراً بالتوراة ، وتديثنُ الإنجليز هو الذى ساعدنا في تحقيق آمالنا ، لأن الإنجليز المتدينين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود الى فلسطين . وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات (١) .

قيام إسرائيل :

ووصلت انجلترا الى الخطوة النهائية لتهود فلسطين ، فاخترت فكرة التقسيم وأيدته ؛ واستعملت هي وحليفاتها كل نفوذهم المادى بهيئة الأمم المتحدة حتى حصلوا على الأغلبية العددية بالنسبة للذين أعطوا أصواتهم ، وأعلنت بريطانيا أنها ستسحب من فلسطين في الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٨ ، وفي هذا الموعد سلمت بريطانيا البلاد لليهود بعد أن اطمانت الى أنهم قوة يمكن أن تستولى على الحكم ، وتمددت الدول العربية للدفاع عن عربية فلسطين ، وخاضت من أجل ذلك حرباً ضد اليهود ، ورجحت كفة العرب في الجولة الأولى ، فتدخل النفوذ الاستعماري وأرغم العرب على إيقاف القتال مدة محدودة ، وفي خلال هذه المدة انهالت الأسلحة الغربية على اليهود ، كما انهال المتطوعون الغربيون ، مما ضمن لليهود النصر في الجولة الثانية ، وكان من الأخطاء العربية الجسيمة أن شركت القيادة العامة لجيش الأردن الذى كان قائده « جلوب باشا » إنجليزيا يخدم أهداف بلاده قبل كل شئ .

وقامت دولة إسرائيل . وأسرت أمريكا فاعترفت بها . واعترفت بها روسيا ودول الغرب ، وأخرجت إسرائيل العرب من دورهم ، وسلبت ممتلكاتهم . وألقت بهم لاجئين خارج وطنهم ، يعيشون في خيام . أو يفتلون صخر اليبدين بالبلاد العربية . ورفضت إسرائيل أن تصيخ لقرارات هيئة الأمم المتحدة بإنصاف اللاجئين . وراحت توفى للاستعمار بوعودها . فقامت مع إنجلترا وفرنسا للعدوان على مصر سنة ١٩٥٩ .

ولكن هذه الجولة الخاسرة كانته مطلع النور بالنسبة للبلاد العربية . فقد هبت من سباتها . وأدركت مليراد بها . وعرفت الخطر المحقق بمستقبلها ، فراحت تبني نفسها بعزم وإصرار . وعلا صوتها في المحيط العالمي فغطى على صوت إسرائيل وأنصارها . وكانت حرب العاشر من رمضان أول معركة نبدأها بإرادتنا ، فعبينا الى النصر بعد الهزيمة وحققنا الكرامة والمجد . وقد جاء في التقرير السنوى لمعهد الدراسات الاستراتيجية الدولية في لندن أن حرب أكتوبر بسلاحها العسكرى والتبرولى جعلت من العرب قوة ستادسة في العالم بعد أمريكا وروسيا والصين واليابان وكتلة أوروبا . ويقول أيضا إن حرب أكتوبر جعلت بقاء إسرائيل في أى أرض عربية ترفسا باهظ الثمن لن تقدر عليه بعد اليوم أبدا (١) .

اليهود في فلسطين وخارجها

في الحديث عن قيام دولة اليهود بفلسطين يتحتم على الباحث أن يحتوى ثلاث نقاط مهمة هي :

- الأولى : الزراعة وسيلة اليهود لاستعمار فلسطين .
- الثانية : علاقة اليهود خارج فلسطين بدولة اليهود .
- الثالثة : الى أى مدى استطاعت الصهيونية أن تكون دولة على أساس الدين وحده ؟

وللإجابة عن النقطة الأولى نلجأ الى مؤرخ صهيونى هو « روفائيل ماهر » الذى وضع دراسة عميقة عن وضع اليهود الاقتصادى فى البلاد المختلفة رأسمالية وشيوعية واشتراكية ، ويقرر هذا المؤرخ أن اليهود يتجنبون مهنة الزراعة ، وأنه ليس بينهم فلاحون قط ، فيما عدا مناطق صغيرة نائية فى بولندا وروسيا القيصرية ، وكما تجنب اليهود الزراعة فإنهم كذلك تجنبوا الصناعة ، فليس لهم فى المناجم عامل واحد ، وليس لهم أى دور فى النشاط الصناعى . أما الأعمال التى تخصصوا فيها فهى التجارة والمال والمهن الحرة كالطب والحاماة والمحافة .

ويقرر المؤرخ الصهيونى أن هذا الوضع يثير الناس ضد اليهود لأنهم لا يسهمون فى عمليات الانتاج ، ولا يحملون عبء العمل مع المناضلين ، ويروى المؤرخ أنه طالما سمع فى بولندا من العمال هذا السؤال : لماذا لا نجد من اليهود أى عامل صناعى مثلنا ، لماذا لا نراهم فى هذه الأعمال المجهدة ؟ ويروى أنه قرأ أخيراً أن الاتحاد السوفيتى قرر أنه ليس من حق أية قومية من قوميات الاتحاد السوفيتى أن يكون لها نسبة بين طلبة الجامعات أكثر مما لها من نسبة بين عمال المناجم ، ويعقب المؤرخ على هذا بقوله : إنه لا يوجد عامل مناجم يهودى واحد لا فى روسيا ولا فى أمريكا (١) .

ويشرح لنا Hosmer (٢) السبب فى عدم إقبال اليهود على الزراعة والصناعة فيقول : إن اليهود فى خلال عصور التشرذ لم يكن يسمح لهم بشراء الأرض ، إذ لم يكن يسمح لهم بالاستقرار فى البلاد التى نزلوا بها ، ومن ثم لم يتجهوا للزراعة ، كما أن اليهود لم يكن يسمح لهم بدخول المصانع والمناجم ، إذ كان يخشى أن يكونوا بها عوامل تخريب واضطراب ، وبذلك اتجهوا الى المهن الفردية ، كالطب والحاماة والكتابة ،

(١) نقلا عن اسرئيليات للاستاذ احمد بهاء الدين من ٦٨ - ٦٩ .

(٢) The Jews p. 136

والتجارة ، على أن ميولهم للتجارة كانت أوسع لأنهم يربحون خلالها دون أن يقدموا للمجتمع الذي يعيشون فيه أية خدمات .

ولكن الحركة الصهيونية أدركت منذ وقت مبكر أن الزراعة هي التي تمنح الشعب استقراره وتغرس جذوره في الأرض . ولذلك كان من أول اتجاهاتها خلق الفلاح اليهودي والمزرعة اليهودية ، فخلق المزرعة اليهودية كان قراراً سياسياً وليس قراراً اقتصادياً ، ومن أجل هذا حرص اليهود بفلسطين على توسيع مزارعهم . وللوصول لهذا الهدف حاولوا اغتصاب مساء الأردن بتحويل مجراه .

واتجه اليهود بالمزرعة لتكون وحدة زراعية وعسكرية في نفس الوقت . فرجالها يعنون بالزراعة ويدافعون عن المستعمرة دفاعاً عسكرياً . حتى إذا قامت إسرائيل بحرب أصبحت المزارع المتجاورة بمثابة حصون دفاعية يسكنها الفلاح الجندي . وتمتد هذه على طول الحدود بين إسرائيل والبلاد العربية (١) .

ويتصل بهذه الخطة ما شرحه وايزمان زعيم إسرائيل بقوله : إن رأيي هو أن الوطن القومي له سبيل واحد لتحقيقه ، وذلك السبيل هو ضم دونم الى دونم وبقرة الى بقرة ، ومزرعة الى مزرعة (٢) وبهذا كانت الزراعة هي السبيل الذي ارتآه اليهود طريقاً لتحقيق أهدافهم الصهيونية .



وللاجابة عن النقطة الثانية نذكر أن وعد بلفور تنبأ بخطر العلاقة بين اليهود خارج فلسطين وبين دولة اليهود ، فلمن يكون ولاء اليهود الذين يعيشون في غير فلسطين ؟ هل سيكون ولاؤهم للبلد الذي ينتمون اليه

(١) انظر اسرئيليات للاستاذ احمد بهاء الدين ص ٦٨ وما بعدها .

(٢) تذكرات وايزمان ص ٧٣ .

سياسياً ؛ أو للبلد الذي ينتمون إليه روحياً ؛ وشمل وعد بلفور نصاً يقرر أن الوطن القومي لليهود في فلسطين لا يتناقى مع الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في غير فلسطين .

وعلى هذا فاليهود في غير إسرائيل مواطنون ، ولاؤهم - نظرياً - للبلاد التي يعيشون فيها ويحملون جنسيتها ، ولكن العلاقة بين إسرائيل وبين اليهود خارجها لم تسر على هذه النظرية واتخذت من الناحية العملية الاتجاهات التي تحملها الأفكار التالية :

- أعلنت الصهيونية أن اليهود المقيمين خارج إسرائيل طوائف مشتتة تعيش في المنفى ، وأنهم مواطنون إسرائيليون قبل كل شيء ، ويتحتم عليهم الولاء المطلق لهذه الدولة الجديدة مهما تكن جنسيتهم الرسمية التي يسبقونها على أنفسهم (١) . وتقول جولدا مائير عن هذا : إن اليهودي الانجليزي الذي ينشد بحكم انجليزيتته نشيد (حفظ الله الملكة) لا يمكن أن يكون في نفس الوقت صهيونياً (٢) .

- تقول الصهيونية إنه إذا كان اليهود لا يتعرضون للاضطهاد في العهد الحاضر كما تعرضوا من قبل في روسيا القيصرية ، وفي ألمانيا النازية ، فإن تعرضهم للاضطهاد محتمل ، فهم ساميون ، وهم شعب مختار ممتاز ، وسيظل العالم لهذا يصطنع الوسائل لاضطهادهم .

- أما (أري تاناكودار) أستاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية فيضع الأمر بحيث لا يحتمل شكاً ، ويُلزِم اليهود أن يحسوا بالاضطهاد ولو لم يكن هناك احتمال له ، وهو يقول في ذلك ؛ إن اليهودي حقاً هو من يشعر بأن هناك (مشكلة يهودية) حتى لو عاش بمفرده في جزيرة نائية .

(١) محمد على علوية : فلسطين والضمير العالمي ص ١٢٨ .

(٢) محاضرة منشورة عن اليهود واسرائيل .

ويطلق الأستاذ أحمد بهاء الدين على هذا بقوله : إن اليهودى فى رأيه هو الذى يشعر باضطهاد حتى ولو لم يوجد - من يضطهده (١) .

- رعت الحركة الصهيونية فوق رأس اليهود خارج إسرائيل سلاح التهديد ، ولم يكن التخلص من هذا السلاح ممكناً إلا بكتابة شيك على أحد البنوك تبرعاً لإسرائيل (٢) .

- ويقول سيسيل روث المؤرخ اليهودى الإنجليزى : إن اليهود الإنجليز كان من السهل عليهم مثلاً أن يؤيدوا إسرائيل خلال حربها ضد مصر سنة ١٩٥٦ لأن إنجلترا كانت ضد مصر ، ولكن ماذا يكون الحال لو جد ما يجعل إسرائيل - كدولة - تقف فى لحظة ما ضد مصالح إنجلترا الأساسية بصورة أو بأخرى (٣) .

ومن أجل هذا كان كثير من المفكرين اليهود يعارضون قيام دولة إسرائيل إيماناً منهم بأن قيامها قد يكون سبباً فى اضطهاد اليهود من الدول الأخرى فى المستقبل ، لأن إسرائيل كدولة لابد أن تكون لها مع الزمن مواقفها المؤيدة والمعادية لدولة أخرى ، وفى حالات العداوة سوف يكون اليهود بهذه الدولة فى وضع لا يحسدون عليه ، ولكن هذه الأصوات خفتت بعد قيام إسرائيل ، وإن بقى أصحابها يضمون أيديهم على قلوبهم (٤) .



وعن النقطة الثالثة نذكر أن علماء الاجتماع قرروا أن مقومات التجانس تشمل ثمانية أسس ، هى اللغة والدين والأرض والتاريخ

(١) إسرائيليات : ص ٦٤ .
(٢) من ملاحظات المؤرخ اليهودى الإنجليزى سيسيل روث .
(٣) المرجع السابق .
(٤) أحمد بهاء الدين : إسرائيليات ص ٥٨ .

والاقتصاد والآمال والجنس والأمن الداخلي والخارجي ، وقد أقام اليهود دولتهم على أساس الدين فقط ، وواضح أن الفشل لا بد أن يكون نصيب مثل هذا المجتمع لما بين معتنقي هذا الدين من تفاوت واسع ، وقد دلّ تعداد إسرائيل الذي أجرى سنة ١٩٥٦ على أن اليهود بإسرائيل يبلغون ١٠٤٥٥٠٠٠ ١٠٦٦٧ منهم ١٠٨٨١٠ غير معروفى الأصل ، وأما الباقون فمنهم ٣١٥٪ من أبناء إفريقية و ٤٣٣٪ من أبناء أوربا و ١٠٪ من أبناء أمريكا ، فما العلاقة بين هؤلاء اليهود وبعضهم والبعض الآخر ؟ .

إن كل المعلومات والأبناء تؤكد أن الصهيونيين الغربيين يحتقرون الصهيونيين الإفريقيين والأسيويين ، ولا يحتاج ذلك الى دليل (١) ، فالمسيحيون الأوروبيون ينكرون بالمسيحيين الإفريقيين في إفريقية ، ويعتقد اليهود الغربيون أنهم هم الذين أقاموا دولة إسرائيل ، وأن يهود الشرق عسالة عليهم ، ولذلك لا تتقطع الاضطرابات والثورات بينهم ، كما أن حوادث فرار اليهود الشرقيين مستمرة ، ولا تسوى الدولة في معاملاتها بين هؤلاء وأولئك . ومن الأحداث التي دونت في العالم العربي حادث بلدة « وادي صليب » حيث شب نزاع مسلح بين يهود إفريقية ويهود رومانيا الذين يسكنون هذه البلدة ، وقد استمرت المعركة أربعة وعشرين ساعة ، ورددت الصحف الفرنسية والإنجليزية خبر هذه المعركة وقد نشرت صحيفة جويش كرونكل الإنجليزية أن مستر روبين عضو حزب ماباي للعمال قد صرح بأن معظم الذين يعملون في الأعمال الحقيرة هم من اليهود الشرقيين ، وأن هذا يؤدي الى إحساسهم بالظلم الواقع عليهم ، وصرح الدكتور موشين من كبار اليهود الشرقيين بأن الاضهاد العنصرى ضد اليهود الشرقيين اضطهاد حقيقى وليس مختلفاً (٢) .

ويتضح من دراسة المؤلف الحافل الذى وضعه Hosmer عن اليهود

(١) اعترف ابراهام كاتريز رئيس دولة إسرائيل في اغسطس ١٩٧٤ بالفوارق الاجتماعية الضخمة بين يهود الغرب ويهود الشرق داخل إسرائيل ، كما اعترف بالتناسل التي يمانها اليهود الملونون في إسرائيل .

(٢) انظر نهاية إسرائيل لصبرى ابو المجد ص ٤٨ - ٤٩ .

أن ما يعانیه المجتمع اليهودی الآن من فرقة وتشتب ، عمیق الجذور ،
یرجع أصله الى عهد العودة من سجن بابل ، ویقرر Hosmer
أن المجتمع اليهودی عقب العودة من هذا السجن كان منقسماً الى قسمین
بینهما حاجز حاد ، وكان أحدهما یركز الطبقة العلیا ویكون الثانی
الطبقة السفلی ، وكان القسم الأول یصف نفسه بأنه القسم المقدس
أو « البذور المقدسة » التي لم تختلط بدم أجنبي وعادت من بابل لتعيد
بناء الهيكل ، ومن هذا القسم یختار كبار القسس وكبار الرجال بالمدن ،
أما القسم الثانی فیشتمل أولئك الذین قیل إن دماءهم اختلطت بدماء
أجنبية ، ویحتتم أن یقنع هؤلاء بالمهن الحقیرة فی القرى ، ولا ینافسون
أفراد القسم الأول فی امتیازاتهم ولا فی القيادة التي هی حق من
حقوقهم (١) .

وقد عقد الطلاب الفلسطينيين ندوة عالمية فی أواخر مارس وأوائل
أبریل سنة ١٩٦٥ دعی إليها كثير من الكتاب والمفكرین من شتى أنحاء
العالم ، وتدارس المجتمعون قضية فلسطين وعروبيتها والطغیان الصهيونی
بها ، وما یلقاه من تأیید الاستعمار وعونه المادی والأدبی ، وفی هذا
المؤتمر تحدث المدعوون وظهرت آراء لهم ، یجدر بنا هنا أن نشیر الى
بعضها ، فهي وثيقة الصلة بتلك النقطة التي نشرحها .

فمن بین المجتمعین قس أمريكي ، هو الدكتور « هومر أوجل » الذي
زار إسرائيل ورأى هناك یهود الشرق ویهود الغرب ، وشاهد ما بین
الطائفتین من خلاف ، فأعلن قوله : وجدت فی إسرائيل أقواما مختلفین ،
نجحوا فی إقامة مزارع ومدن ، وفشلوا فی إقامة وطن موحد ، ولم یکن
هذا هو الشيء الوحيد الذي مزّه فی إسرائيل وإنما مزّه أيضاً اختلاف
القیم والمبادئ والأخلاق ، مما جعله یقرر أن استمرار هذه الدولة فیها
تضارها علی نفسها .

ومن بينهم الكاتب البريطاني « نيفل باربو » الذي قال : إسرائيل لن يمكنها الاستمرار كدولة أوروبية ، تعيش فوق أرض عربية . . . إن هذا استثمار صريح .

أما « أنتوني ناتنج » الوزير البريطاني السابق ، فقد كان رأيه مشروحاً وطويلاً ، وذلك نتيجة لعمق صلته بالمشكلة ، ومتابعة تطوراتها ، فقد زار إسرائيل ، وزار البلاد العربية ، وله اتصالات لم تنقطع بمنظمات اللاجئين ومن هنا كان رأيه جديراً بالدراسة والتفكير .

ورأى « أنتوني ناتنج » يتلخص في أن الجنس الأوربي من اليهود غير مستقر في إسرائيل ، وأن هؤلاء الأوربيين لم يجدوا مطلقاً أماكنهم هناك ، ولم ولن يشعروا بأى استقرار بالرغم من كونهم الجنس الحاكم أو المسيطر .

ويعلل هو ذلك بالأوضاع التي فرضت عليهم الهجرة ، وتغير هذه الأوضاع الآن ، فقد هاجروا من أوروبا تطاردهم ذكرى معسكرات الاعتقال ومآسى الحرب والحطام . . . الى إسرائيل الموعودة حيث « أرض الأحلام » وحيث الفرص المديدة ، والمستقبل الجديد ، بالإضافة الى الحماية والأمان . ويقول أنتوني ناتنج إن معظم هؤلاء قد أصيبوا بخيبة أمل شديدة ، فإنهم لم يجدوا الفرص التي توقعوها ، ولا المستقبل الأفضل ، معظمهم كان من أصحاب المهن ، ولكن لم تستوعبهم مجالات العمل في إسرائيل ، فتحولوا على الرغم منهم الى الزراعة وفلاحة الأرض في المستعمرات التعاونية . وتمر سنوات وسنوات ثم يتأكدون تماماً أن الجنة الموعودة لم تكن إلا سراباً ، وأن معظمهم لا يحتل مكانه الصحيح ، وفوق ذلك إحساس مرير بالعربة . وبعدم الاستقرار ، وبالتفكك وفي نفس الوقت تنتعش أوروبا من جديد وتتسع فيها مجالات العمل .

ويؤكد أنتوني ناتنج أن الرغبة في العودة الى أوروبا قد تحركت ، وأن هناك أفولجاً قد عادت الى أوروبا بالفعل ، وهو يدلل بهذا الرأي

على أن تجربة دولة بأجناس مختلفة تجربة فاشلة ، وقد سبق فشلها في التاريخ عند ما غزا الصليبيون الشرق وعاشوا فيه وأقاموا دولة استمرت مائتى عام ، وانتهت بعودتهم الى أوطانهم من جديد .

وعلى هذه الأسباب السابقة يبنى « أنتونى ناتنج » نظريته التى تتنبأ بتقلص الجنس الأوروبى من ناحية ، وامتصاص الجنس العربى لما بقى فى فلسطين من أجانب من ناحية أخرى فى تطور تاريخى ، ويقرر أن من الطبيعى أو من المحتم أن تستوعب فلسطين أبناءها المشردين خارجها . وأن تلفظ الأجانب الذين لا ينماعون فى الحياة الجديدة ، ثم تنشأ دولة فلسطين من حكومة عربية إقليمية مزدوجة العنصر ، يعيش فيها العرب واليهود جنباً الى جنب (١) .

اليهودية والصهيونية

تحدثنا من قبل عن اليهود واليهودية ، ونريد هنا أن نبين العلاقة بين اليهودية وبين الصهيونية ، فهذه العلاقة من النقاط المهمة التى لم نتضح تماماً لدى كثير من الباحثين والكتاب .

والصهيونية (Zionism) نسبة الى جبل صهيون الذى يقع فى الجنوب من بيت المقدس ، وقد اقتحمه داود إبان ملكه ، واستولى عليه من اليبوسيين الذين كانوا يقطنونه « وأخذ داود حصن صهيون ، ٥٥٥ » .

وأقام داود فى الحصن وسمّاه « مدينة داود » (٢) وأصبح صهيون مكاناً مقدساً لاعتقاد اليهود بأن الرب يسكن فيه ، فقد ورد فى المزامير :
رغموا للرب الساكن فى صهيون (٣) .

(١) صحيفة اخبار اليوم فى ٣/٤/١٩٦٥ .

(٢) سموتيل الثانى ٥ : ٧ - ٩ .

(٣) مزامير ٩ : ١١ .

وعلى هذا فالصهيونية في أبسط تعاريفها هي استقرار بنى إسرائيل في فلسطين أى جبل صهيون وما حوله ، وهي كذلك تأييد ذلك بالقول أو بالمساعدة المالية أو الأدبية ، فالصهيونى هو اليهودى الذى يؤثر أن يعيش في فلسطين ، وهو كذلك من يساعد اليهود مادياً وأدبياً ليستوطنوا فلسطين .

ويرى اليهود أن موسى كان أول قائد للصهيونية ، وأول من شيد صرحها ووطد دعائمها ، فهو الذى قاد بنى إسرائيل ليدخل بهم فلسطين عقب خروجهم من مصر (١) ، ولم يدخل موسى أرض الميعاد ولكن حلفاءه دخلوها كما شرحنا من قبل . وهبت أعاصير ضدهم حين أقحموا أنفسهم في هذه البلاد ، وأُخْرِجُوا منها عدة مرات ، وفي كل مرة كان فريق منهم يتطلع للعودة لأرض الهيكل والحياة في صهيون كما ذكرنا من قبل ، وهؤلاء هم الصهيونيون .

ويُعدُّ خروجهم سنة ١٣٥ م اجتثاثاً لدابرهم وتدميراً لجذورهم حتى أن الفتح العربى عند ما جاء بعد ذلك بخمسة قرون (٦٣٦) لم يكن بإيادى (بيت المقدس) يهودى واحد ، إذ كانت الأطماع في الاستقرار بفلسطين قد زالت ، فارتضى اليهود الحياة في مواطن الهجرة ، وبخاصة في البلاد الإسلامية حيث تمتعوا بما يكفله الإسلام لغير أتباعه في المحتمات الإسلامية من حقوق (٢) ، وتوقفت بذلك حركة الصهيونية .

ومر الزمن ولم يبدِ اليهود قط أى لون من ألوان الولاء للبلاد التى عاشوا بها ، واشتركوا في مؤامرات ضدها كما ذكرنا من قبل ، فتعرضوا لحركة اضطهاد عنيفة في أكثر البلاد التى نزلوا بها ، وكان من أشدها قسوة المذبحة التى نزلت بهم في روسيا سنة ١٨٨٢ (٣) ، وعلى إثرها بدأت

(١) ايلى ليفى أبو عسل : يقظة العالم اليهودى ص ١٦ .
(٢) المجتمع الإسلامى للمؤلف ص ١٤٦ - ١٥٤ وانظر ما دونه Hosmer
عن تسامح المسلمين مع اليهود في كتابه The Jews ص ١٣٨ .
(٣) عن هذه المذبحة انظر

حركة الصهيونية من جديد ، وأدرك اليهود مرة أخرى أنه ليس ثمة عيش لهم إلا في أرض أسلافهم ، أرض الميعاد . وكان باعث الحركة الصهيونية الجديدة يهودياً يدعى « سيمحا بينكر » الذي أخذ يدعو في روسيا لهذه الحركة ، وقد تألفت على إثر دعوته جمعية سميت « جمعية عشاق صهيون » ، ويقول وايزمان في مذكراته إن الحركة الصهيونية في حقيقتها وجوهرها نشأت في روسيا ، وإن يهود روسيا كانوا العمود الفقري للكيان اليهودي في فلسطين منذ قيام الحركة (١) . وأخذ اليهود يتسللون من روسيا ، واتجه أكثرهم الى الولايات المتحدة ، وأراد بعضهم الاتجاه الى فلسطين ولكن الحكومة التركية أصدرت قانوناً يحرم على اليهود دخول فلسطين ، وفي الوقت نفسه منعت حكومة القيصر بروسيا الدعوة للهجرة ، وعلى الرغم من كل ذلك استطاع نفر قليل من الشبان أن يصلوا الى فلسطين سنة ١٨٨٢ حيث أنشأوا أولى المستعمرات الزراعية بالقرب من يافا ، وأطلقوا عليها اسم (ريشون ليزيون) أى الأولون في صهيون ، ويسمى بن جوريون « الهجرة الأولى » أما الهجرة الثانية فكانت نتيجة الثورة الروسية التي قامت سنة ١٩٠٥ ، وقد تمكن القيصر من القضاء عليها ، ويقول بن جوريون إن هذه الثورة لو نجحت لأدت الى رفع الاضطهاد عن اليهود وبالتالي لاستقر يهود روسيا بها ، ولكن فشلها دفع اليهود الى ما يسميه بن جوريون بالهجرة الثانية ، وكان بن جوريون من مهاجري هذه الموجة (٢) وتلا ذلك هجرات من الدول المختلفة بأوروبا وبخاصة رومانيا ، حيث كان اليهود يعدّون أعداداً للخارجين على القانون . وتبعاً لهذه الهجرات أنشئت عدة مستعمرات في مناطق جودا والخليل والسامرة ، وقد تعرضت المستعمرات الصهيونية الى كثير من الكساد وأوشكت على الانهيار لولا المساعدات الضخمة التي قدمها أثرياء اليهود وبخاصة البارون آدمون دي روتشيلد (٣) .

(١) مذكرات وايزمان ص ١٤ .

(٢) بن جوريون : اسرائيل وسنوات التصدي .

(٣) اسرائيل كوهين : هذه هي الصهيونية ص ٢٢ وما بعدها .

وألفت في بعض بلاد أوربا جمعيات مماثلة لجمعية عشاق صهيون التي ألفت في روسيا ، ثم جاء هرتزل الصحفي النمساوي الذي يعتبر أباً للصهيونية الحديثة وتنسب له خطوتان مهمتان ، أولاهما تتمثل في كتابه (الدولة اليهودية) الذي نشره عام ١٨٩٥ يدعو فيه الى تجميع اليهود في مكان ما في العالم ، وعن ذلك يقول : يكفى أن يعطونا أية قطعة من الأرض تتناسب وحاجات شعبنا وتكون لنا السيادة عليها ، فإن هدفنا ليس هو الأرض المقدسة بل أية قطعة من الأرض تخصص لنا (١) ، أما الخطوة الثانية فهي الدعوة لمؤتمر يهودي عام يعقد لبحث نظرية (الدولة الجديدة) ، وقد عقد هذا المؤتمر في مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ حيث تبنى هذه النظرية على أن تكون الدولة الجديدة في فلسطين ، ومن هنا سميت هذه الحركة التي تعمل على جمع اليهود في فلسطين ، حول جبل صهيون ، بالحركة الصهيونية ، فأصبحت تجديدا للفكر الصهيوني القديم الذي بدأ في روسيا والذي ذكرناه آنفاً (٢) .

ولن نستمر في حديثنا عن مراحل تكوين إسرائيل ، فقد وفيينا ذلك الموضوع بحثاً في دراستنا السابقة ، ولكننا هنا نواصل كلامنا عن مراحل التطور المتصل بالصهيونية .

وأول ما يلاحظه الباحث في هذا المجال أن الصهيونية عقب إعلانها في حركة « عشاق صهيون » أو في « الحركة الصهيونية » اتخذت لها مفهوماً أو مفاهيم محددة ، ومن أهمها إحياء اللغة العبرية وجعلها اللغة الرسمية للجماعة الصهيونية ، فكل من اعتنق فكرة الصهيونية كان عليه أن يبادر بتعلم اللغة العبرية دون إبطاء ، ويقول شختر في بيان ضرورة اللغة العبرية لليهود : « اللغة العبرية هي الخزانة التي أودعنا فيها كل نفيس من حياة بني إسرائيل الروحية ، ولولاها لفصلنا من الشجرة

(١) هرتزل : الدولة اليهودية ص ٤٠ .

(٢) انظر

الكبرى التى هى بمثابة الحياة لملتصين بها . إن اليهود الإغريقيين هى الطائفة الوحيدة المعروفة فى التاريخ بمحاولتها هذه التجربة للتخلص من اللغة العبرية ، وقد خاب فألها وانتهت الى الهلاك . وسارت فى طريق الأضمحلال . وأخيرا ارتدت جملة عن الدين اليهودى ، فلتنجذب مغالطة انفسنا . ليس هناك أى مستقبل لليهود الذين يقاومون اللغة العبرية » (١) .

كما اتخذت الصهيونية فكرة التعصب العنصرى والدينى ، وفكرة تقوية الشعور القومى لدى اليهود ، وإحياء التاريخ اليهودى . وتقاليد اليهود وعاداتهم ، واتخاذ القهر ضمن الوسائل المباحة للوصول الى غايتهم . وهكذا أصبح للحركة الصهيونية « إيديولوجية » خاصة اذا استبحنا لأنفسنا استعمال هذا التعبير وكانت الجامعة العبرية من نتائج هذا الاتجاه ، إذ قصد بها أن تكون المعهد الذى يعمل لإحياء اللغة العبرية . ويتبنى تنمية الشعور القومى وفكرة التعصب العنصرى وقد وضع النورد ألبنى أساسها سنة ١٩١٨ ، وافتتحها بلفور سنة ١٩٢٥ (٢) .

وخطوة ثانية خطتها الحركة الصهيونية ، هى اتخاذ مختلف الحيل والاسبب للتقليل من استعمال كلمة فلسطين ليسدل عليها النسيان ، وذلك باستعمال تعبيرات أخرى للدلالة على هذه المنطقة ، بعضها له صلة بصهيون وبعضها له صلة بماضى اليهود بهذه البلاد ، ومن أبرز التعبيرات التى استعملت تعبيران هما : « أرض صهيون » و « إسرائيل » وقد رجح التعبير الثانى عند قيام الدولة اليهودية ، لأن الصهيونية بفلسطين عرفت بالعنف وحركات القسوة والتدمير ، فاقتضت السياسة اليهودية أن تتحاشى استمرار استعمال هذا التعبير خداعا للناس ، وإيهاماً لهم بأن الدولة الجديدة لن تتخذ أساليب الصهيونيين ، والحقيقة أنه ليس هناك أدنى فرق بين الدولة الجديدة وبين الصهيونية .

وخطوة ثالثة خطتها الحركة الصهيونية ، وبرزت بعد قيام دولة

(١) فى الفكر اليهودى ص ١٧ .

(٢) مذكرات ويزمان (٦) ، ص ٦٦٠ .

إسرائيل وكان بن جوربون رائدها ، هي أنه ضيق حدود الصهيونية . إذ أعلن أنه لا يعد صهيونياً إلا اليهودي الذي يسارع الى جبل صهيون مضحياً بكل شيء مؤثراً الحياة بفلسطين على كل حياة ، وإلا اليهودي الذي يحس وهو في أي بلد آخر غير إسرائيل أنه في المنفى ، وأنه آن الأوان لانتهاء عصر النقي والتشرد . ويقول بن جوربون أما أولئك اليهود الذين يعتبرون أنفسهم جزءاً من الشعب الأمريكي أو الإنجليزي أو الفرنسي ، أولئك اليهود الذين لا يشعرون أنهم يعيشون في منفى ، أولئك اليهود الذين لا يرون أن مستقبلهم ومستقبل أولادهم وأحفادهم لا يمكن أن يوجد إلا في إسرائيل ، هؤلاء اليهود جميعاً إنما يذوبون تدريجياً في حضارة غير يهودية ، ولغة غير يهودية ، إن هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم كذباً لقب الصهيونيين بحكم انتمائهم الى منظمات تحمل هذا الاسم ، هم في الحقيقة خطر على مستقبل اليهودية .

ويرى بن جوربون أن ما يربط بين اليهود ليس الدين اليهودي بدليل أن الحركة الصهيونية فيها يهود متدينون ويهود لا دينيون ، أي لا يؤمنون بوجود الله ، وليس العنصر فإن نقاء العنصر بعد هذا التشرد الطويل ليس ممكناً ، وليس اللغة لأن اللغة العبرية قد اختلفت تقريباً ويتكلم اليهود لغات متعددة ، وإنما يربط بين اليهود رباط لا يتخالف هو رؤيا العودة ، هو الإيمان بأن الخلاص هو في العودة الى جبل صهيون ، حيث أقام داود معبده الأول (١)

وتتخذ جولدا مائير نفس الاتجاه ، فهي تقول في محاضرة مطبوعة :

« بعد قيام صهيون لا يمكن أن يُعَدَّ صهيونياً إلا ذلك الذي يحمل
حقائبه ويأتي على الفور »

(١) بن جوربون : دراسات ومحاضرات مطبوعة نقلت عن « اسرائيليات »
للأستاذ أحمد بهاء الدين من ٥٢ - ٥٤ .

« جميل جداً أن يعطينا اليهود في الغرب تأييد عم وحماسهم وأموالهم ، ولكن هذا لا يكفي ، فمن بعيد لا يمكن أن تتم زراعة النقب ، وبقاء إسرائيل يتوقف على ما اذا كان ممكناً أن تزرع صحراء النقب وجبال الجليل ، إنني لا أستطيع أن أفصل أمن إسرائيل عن تعمير النقب والجليل . إنني كلما سمعت أغاني إسرائيل يرددوها اليهود في نيويورك ولوس انجلوس وشيكاغو رقص قلبي طرباً . ولكن ترديد الأغاني عن النقب في نيويورك أو بوسطن لا يعمّر النقب إنما تعمرها الأغاني اذا كانت تقنع الشباب اليهودي بالهجرة الى النقب ، وإلا فسوف يبقى اليهود يعيشون في أمريكا وينحون عن النقب في أمريكا ، ولكن النقب سوف يبقى خاليا مهجورا » (١) .

* * *

ومع مطلع الحركة الصهيونية بدأ التدبير الواسع الذي يرمى لسيطرة اليهود على العالم ، فقد كان قرارهم حول فلسطين هو القرار العلني لمؤتمرهم في بال ، أما القرارات السرية لهم فتتمثل في « بروتوكولات حكماء صهيون » وسنتكلم عنها عند الكلام عن « مصادر الفكر اليهودي » . ولكن فحواها أن يتمكن اليهود من الاستئثار بحكم العالم ، وأن تكون فلسطين مركزاً للحكومة اليهودية التي تسيطر على الشرق والغرب ، فاليهود صفوة الخلق ، ولهم زعامة الجنس البشري ، وليس للناس إلا السمع والطاعة لكل ما يشاء اليهود .

وبمرور الزمن وخلال حيل اليهود المختلفة استطاع هؤلاء أن يضموا الى صفوفهم كثيراً من قادة العالم من غير اليهود . فقد قدموا المال للمعسر وعابده المال ، وقدموا الجمال لهواة الجمال ، ولعبوا بأصواتهم في الانتخابات الأمريكية ، وخذعوا الغرب فأوعموه أنهم سيكونون في خدمته . . . فاستجاب لهم كثير من القادة وأولى الأمر من أمثال تشرشل

وإيدن وترومان وأيزنهاور ، وكثيرا ما كان تشرشل يقول إنه صهيوني عريق وإنه يفخر بذلك •

ولا زال موكب الصهيونية يسير ، ولكن القوى العربية والإسلامية قصرت خطواته ، وهي تعمل جاهدة لتعيد هذا الموكب القهقري ، وتضع مكانه العرب الذين يحملون رسالة الحب والسلام •

* * *

البَابُ الثَّانِي
أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَقِيدَتُهُمْ
مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أنبياء بنى إسرائيل

كما صورهم القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن أنبياء بنى إسرائيل أو أكثرهم ، غصورهم ، في صورة كريمة ، وأبرزهم ينطبق عليهم القانون الإلهي في اختيار الرسل . ذلك القانون الذي عبرت عنه الآية الكريمة « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » (١) فأنبياء بنى إسرائيل ككل الأنبياء صفوة اختيار ، وعندما تحدث الفكر الإسلامي عن صفات الرسل أثبت لهم جميعاً علو الفطرة ، وصحة العقول ، والصدق في القول ، والأمانة في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه ، والعصمة من كل ما يشوه السيرة النبوية . والزم أن يعتقد الناس أن الرسل ممدودة أرواحهم بمدد من الجلال الإلهي لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليهم سطوة روحانية (٢) .

وعلى هذا فالحديث عن أنبياء بنى إسرائيل مستقى من القرآن الكريم ومن تفاسيره وشروحه التي دونتها المسلمون ، يبرز هؤلاء في إطار من الفضائل والصفاء .

وعلى عكس ذلك ما سيبدو لنا فيما بعد عند ما نتحدث عن أنبياء بنى إسرائيل معتمدين على مصادر أخرى غير القرآن الكريم ، وبخاصة المصادر اليهودية ، فسنرى أن بنى إسرائيل لم يراعوا عند الحديث عن أنبيائهم إلاه ولا ذمة ، ولم يراعوا في حديثهم أى تقديس لهم أو إجلال ، فنسبوا الى هؤلاء الأنبياء ولأسرهم ما يدنس تاريخهم وما ينبو عن الخوق .

والفرق بين القرآن الكريم وبين المصادر اليهودية في الموضوع يبدو

(١) سورة الحج الآية : ٧٥ .

(٢) الأستاذ الأمل الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد ص ٧٩ - ٨٠ .
(م ٩ - اليهودية)

أكثر وضوحاً عند عرض مسائل محددة غير عادية ، حدثت من بعض هؤلاء الأنبياء أو اتصلت بسيرتهم ، فقد عالجهما الفكر الإسلامي بتؤدة وتقدير ، واتجه في بحثها الى تأويل لا يخدش سمعة هؤلاء الأنبياء ولا يمس كرامتهم ، ولكن المراجع اليهودية ذكرتها متبنية جانب السوء والشر ، ف نسبت لهؤلاء الأنبياء ما لا يمكن أن ينسب لامثالهم ، وستأتى هذه الموضوعات في سيرنا التاريخي مع هؤلاء الأنبياء .

وتاريخ بنى اسرائيل الصاخب يبدأ من موسى ، ويمكن أن نبدا حديثنا عنده ، ولكن من الأفضل أن نذهب الى ما قبل موسى ، ليس فقط لنبدأ حديثنا عن يعقوب (إسرائيل) الذي ينسب له بنو إسرائيل ، بل لنبدأ بأصل هذه الشجرة ومطلع هذه الأرومة وهو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل ، فذلك فيما أرى أتم وأوفى .

وعلى هذا فالأنبياء الذين سنتكلم عنهم في هذا الفصل هم :

إبراهيم - إسماعيل - إسحق - يعقوب - يوسف - موسى - هرون - داود - سليمان ، وعن كل من هؤلاء الأنبياء سنورد آيات القرآن التي تصور اتجاهاته الفكرية والخلقية ، ثم نشغفها ببعض التعليقات والدراسات :

إبراهيم :

يقول الله تعالى في سورة الشعراء :

واتل عليهم نبأ إبراهيم نبياً قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا : نعبد أصناماً فنظال لها عاكفين ، قال : هل يسمعونكم إذ تدعون ؟ أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ، قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ؟ فإنهم عدواً لى إله رب العالمين ، الذي خلقنى فهو يهدين ، والذي هو يطعمنى ويسقنى ، وإذا

مرصت فهو يشغين ، والذى يميتنى ثم يحيين . والذى اطمع ان يغفر لى
خطيئتى يوم الدين ، رب هب لى حكما والحقنى بالمالحين . واجعل لى
لسان صدق فى الاخرين واجعلنى من ورثة جنه النعيم . واغفر لآبى
إنه كان من الضالين ، ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال
ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم (١) .

ويقول فى سورة مريم :

واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ، اذ قال لأبيه يا أبت
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يعنى عنك شيئاً ، يا أبت إنى قد
جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً ، يا أبت
لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً (٢) .

ويقول فى سورة إبراهيم :

وإذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا البلد آمناً ، واجنبنى وبنى أن
نعبد الأصنام (٣) .

وهكذا يصف القرآن الكريم إبراهيم أجمل وصف ، ويضعه فى
مكانة سامية بين الأنبياء ، ويعلق الباحثون المسلمون على مواقف إبراهيم
تعليقات كلها إجلال وتقدير ، فهم يرون « أن العقيدة الحقة تغلغلت فى
نفسه ، واستولت على فكره ، واستغرقت كل خطوات قلبه ، وملكته عليه
مشاعره ووجدانه ، فهو يستهين بالنار يلقي فيها ، ويتقبل كل عذاب
دون أن يتراجع أو يتقهقر ، وقد كانت ثورته على الأصنام كلامية
وعملية ، وكان دفاعه عن عقيدته قوياً دون أن يهاب سطوة ملك أو تجمهر

(١) سورة الشعراء الآيات ٦٠ - ٨٦ .

(٢) سورة مريم الآيات ٤١ - ٤٤ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ٣٥ .

جماهير ، وهو مع هذا كان رقيق القلب يحاول أن يستغفر لأبيه مع علمه بضلاله (١) .

ومن المسائل الشائكة التي تتصل بإبراهيم وتختلف فيها وجهه النظر الإسلامية مع وجهة النظر الإسرائيلية مسألة موقف إبراهيم من سارة زوجته عندما وفد بها الى مصر ، واحس بأنها ستكون مطمعا للحكام والسادة ، وسنورد الآن وجهة النظر الإسلامية عن هذه المسألة كما ذكرها رجال من أدق الباحثين المسلمين (٢) .

رحل إبراهيم الى مصر عندما ضاقت به سبل العيش في الشام ، ونزل ومعه زوجته سارة في المنطقة المصرية التي كان يسيطر عليها آنذاك ملك من العماليق الهكسوس ، وكانت سارة ذات جمال باهر ، فوشى بها أحد بطانة السوء الى الملك وأغراه بجمالها ، وزين له حسنها ، وجبب إليه الاستحواذ عليها ، فصادفت هذه المقاتلة رغبة في نفسه ، فدعا إبراهيم إليه ، وسأله عما يربطهما من سبب ، وما يصل بينهما من قرابة . ففطن إبراهيم الى مأربه ، وعرف مقصده ، وخاف إن أخبره أنها زوجته أن يبيت الشر له ، ويعمل على الإيقاع به لتخلص له من دونه ، وليستأثر بها من بعده ، فقال إبراهيم له : هي أختي (يقصد أختي في الدين واللغة والإنسانية) .

فهم الملك أنها ليست بذات بعل ، فأمر أن يذهبوا بها الى قصره ، ويسوقوها الى مخدعه ، ورجع إبراهيم الى زوجته ، فأخبرها بقصته ، وطلب اليها أن تكون مصدقة لقوله ، مؤكدة لخبره ، ثم أسلمها لعين الله ترعاها وتحفظها .

أدخلت سارة الى قصر الملك ، وزيّنت* بفاخر الثياب وثمان

(١) الأستاذ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) الأستاذ محمد جاد المولى وآخرون : قصص القرآن ص ٤٦ - ٥١ .

الخطى ، ولكنها لم تعبا بهذا الزخرف البراق ، ولا بذاك البذخ الخلاب ، ولم تُعْن بما أحيطت به من نعمة ، وما رأت من سعة السلطان وبسطة النيس ، ولم ينسها كل ذلك الوفاء لزوجها والاستمساك بدينها ، وجلست مكتئبة حزينة ، بل انتبذت مكاناً قصياً .

ولما أقبل الملك عليها ورأى ما بها من لوعة وأسى ، حاول أن يخفف من حزنها ويؤنس وحشتها ، ويزيل اكتئابها فجفلت ، وأحس الملك اضطراباً في نفسه ووجيباً في قلبه فابتعد عنها حتى تمالك قواه ، ثم أراد أن يعيد الكرة فعاد اضطرابه وخوفه ، فتركها وأوى الى فراشه واستسلم للنوم ، ورأى في نومه رؤيا استبان بها الحق ما وعرف أن لها زوجاً ، وأحسّ بلزوم أن يعيدها له دون أن يمسه بسوء . فلما أفاق من نومه أطلق سراحها ووهبها « هاجر » خادمة لها ، كما وهبها بعض المال والماشية .

فهل ترى محنة أشد وفتنة أعظم من ذلك ؟ رجل غريب يفسد الى بلد سعيماً وراء الرزق فتسلب منه زوجته : ويفرق بينه وبين أهله ، ولكن الذى نجى إبراهيم من حر النار وسعيرها ، حفظه من وصمة العار ونجّاه من العدوان .

ذلك هو الفكر الإسلامى تجاه هذه القصة ، فماذا يقول عنها اليهود ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال سترد في الباب الثالث من هذا الكتاب .

اسماعيل واسحاق :

ابنا إبراهيم ، وقد رزق بهما بعد أن بلغ من الكبر عتياً ، فقد كانت سارة عقيماً لا تلد ، وكان يحزنهما أن ترى بعلمها الوفى يتطلع الى النسل ، وقد أصبحت هى على حال لا يرجى منه الولد بسبب تقدم سنّها ، فأشارت على زوجها أن يدخل بأمّتها (هاجر) التى قدمها لها حاكم مصر ، وتمت سارة أن تتجب (هاجر) طفلاً تقر به عين أبيه وتشرح له نفس سارة ، فانصاع إبراهيم لرأيها ودخل بهاجر .

أنجبت هاجر غلاما زكيا هو إسماعيل ، فانتعشت له نفس إبراهيم ، ولعل سارة قد شاركت إبراهيم في سروره حينها ، وشايعته زمنا في بهجته ، ولكن الغيرة لم تلبث أن دبت الى قلبها ، وعقدت عليها الكآبة سحابة مطبقة ، فأصبحت لا تطيق النظر الى الغلام . ولا تحتمل رؤية هاجر ، وطلبت من إبراهيم أن يبعد عنها الغلام وأمه بحيث لا يصل صوتهما الى سمعها ، ولا تقع عليهما عينها .

أذعن إبراهيم لإرادتها وكان الله أوحى إليه أن يطيع أمرها . فركب دابته واصطحب الغلام وأمه ، وسار ، وطال به السير ، وأمتد به الطريق ، حتى وقف عند مكان البيت الحرام ، فانزل هاجر وابنها في غذا المكان البلقع ، وتركهما في تلك البقعة الجرداء ، وترك لهما — كما جاء في رواية البخارى — جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم اتجه إبراهيم عائداً ، فنادته هاجر : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادى ؟ فلم يلتفت لها إبراهيم . فسألته الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذا لن يضيّعنا . وكان إسماعيل وأمه بذرة العمران الذى شمل هذه المنطقة فيما بعد على ما فصلته كتب التاريخ (١) .

ولم ينس إبراهيم ابنه فكان يفسد إليه لماماً ويזורه من حين الى حين ، فلما شبَّ إسماعيل وأطاق السعى والعمل ، رأى إبراهيم في نومه أنه يؤمر بذبح ولده ، ورؤيا الأنبياء تعد بمثابة الوحي والأمر المباشر ، فارتحل إبراهيم حتى لقي ابنه ، ولنلجأ الى القرآن الكريم لنستكمل هذه الحادثة .

« قال : يا بنى إني أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال : يا أبت ، افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، فلما

(١) انظر صحيح البخارى وموسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية للمؤلف ج ١ ص ١١٢ وما بعدها من الطبعة الحادية عشرة ، وتخصص القرآن للأستاذ محمد جاد المولى وآخرين ص ٥٢ - ٥٣ .

أسما وتله للجبين وناديناها أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا هو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه في الآخرين ، سلام على إبراهيم ، كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق » (١) .

وهكذا نجا إسماعيل من الذبح ، ومن الواضح أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحق كما تذكر التوراة ، فبالنسبة للاستدلال بالقرآن نجد أن البشري بإسحاق جاءت بعد قصة الذبيح ، أى أن إسحاق لم يكن قد وُلِدَ بَعْدُ عندما حدثت هذه القصة ، وهذا يؤكد أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق ، ويؤكد ذلك نسق الآيات التي وردت مبشّرة بمولد إسحاق ، فقد ارتبطت بشارة المولد بأن الوليد سيكون نبياً وبأنه سيكبر ويتزوج ويولد له ولد يسمى يعقوب ، قال تعالى :

— وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين (٢) .

— فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (٣) .

ومن التناقض أن يكلف الله إبراهيم بذبح غلام وعد الله أنه سيكون نبياً وأنه سيتزوج ويعقب .

وبالنسبة للتوراة يلحظ الباحث المدقق أن ما ورد بها عن تحديد الذبيح بأنه إسحق عمل مصنوع لم تتقن صنعته ، فقد جاء في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين « إن الله امتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم . فقال : هاأنذا ، فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق . واذهب الى جبل الموريا وأصعده هناك محرقةً على أحد الجبال الذي

(١) سورة الصافات الآيات ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) سورة الصافات الآية ١١٢ .

(٣) سورة هود الآية ٧١ .

اقول لك ... (١) « ووضع الاسم ، « اسحق » مع كلمة « وحيدك »
نناقض ظاهر لأن اسحق لم يكن وحيداً لإبراهيم في يوم من الأيام - فقد
وُلِدَ وعمرُ اسماعيل أربع عشرة سنة كما نصت التوراة - وبقي اسماعيل
واسحق معاً حتى مات إبراهيم ودفناه معاً في مدينة حبرويه (الخليل) (٢) .
ودليل آخر نسوقه على كون الذبيح اسماعيل لا اسحق ، ذلك هو أن
كاتبى التوراة من اليهود دأبوا على محاولة إسناد الفضائل الى أجدادهم ،
فاذا كان في قصة الذبح طاعة وامثال فإنهم ينسبونها لإسحق ، وسفراهم
كذلك يحاولون أن ينقلوا بركة اسحق الى جددهم يعقوب بدلا من أخيه
الأكبر عيسو على ما سيأتى (٣) :

يعقوب ويوسف :

إن ما ذكره القرآن الكريم عن يعقوب يضعه في مكانه سامية من
الحكمة واليقين ، تعال بنا نقتبس من آى الذكر الحكيم ما يبرهن على
هذا الرأي :

— إذ قال يوسف لأبيه : يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا ،
والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين • قال : يا بنى لاتقصص رؤياك على
إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للاتسان عدو مبين (٤) ،

— وجاءوا على قميصه بدم كذب ، قال (يعقوب) بل سولت لكم
أنفسكم أمراً فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون (٥) .

— وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب
متفرقة ، وما أغنى عنكم من الله من شىء ، إن الحكم إلا لله ، عليه توكلت ،

- (١) سفر التكوين الاصحاح البانى والعشرين الفقرات ١ - ٢ .
- (٢) سفر التكوين الاصحاح الخامس والعشرين الفقرات ١ - ٣ .
- (٣) هناك ادلة اخرى على ان الذبيح هو اسماعيل - وقد اوردناها بالجزء
رقم ٣٢ من المكتبة الاسلامية وهو الجزء الخاص بقصة اسماعيل .
- (٤) سورة يوسف الايتان ٤ - ٥ .
- (٥) نفس السورة الآية ٢٨ .

و عليه غليتوكل المتوكلون ، ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان ينبغي
عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها ، وإنه لذو علم
لنا علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١) .

— قال : إنما أشكو بثي وحزني الى الله (٢) .

أما عن يوسف فإن السورة المسماة باسمه تسجل له قدره في
العلم والحكمة والعفة وضبط النفس قال تعالى :

— ولما بلغ أشده آتيناها حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين ،
ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب ، وقالت هيت لك .
قال : معاذ الله ، إنه ربي أحسن مثواي ، إنه لا يفلح الظالمون .

ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (٣) .

— قال : رب ، السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ، وإلا تصرف
عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه
كيدهن إنه هو السميع العليم (٤) .

ومن تعليقات الباحثين المسلمين على يوسف نقتبس العبارة الآتية :
قد تقلب يوسف في هالي البؤس والرفاء وتداولته أيدي ربحين : زرع
ورخاء ، وهو كالذهب الإبريز لا يزيد على الثقلب في النار إلا صفاء ، أو
كالياقوت لا تؤثر فيه النيران ، بينما هو في كنف يثره بالكرامة ويحوطه
بالمحبة ، اذا هو في يد إخوة يسومونه الإهانة والمذلة ، ويلقونه في غيابة

(١) نفس السورة الايتان ٦٧ — ٦٨ .

(٢) نفس السورة الآية ٨٦ .

(٣) سورة يوسف الايات ٢٢ — ٢٤ .

(٤) نفس السورة الايتان ٢٣ — ٢٤ .

الجب ظالمين ، ثم يشم ريح الحياة من جديد ولكنها حياة رق وعبودية .
ثم ينتقل منها الى عزيز مصر حيث يرى الترف والخير والغنى ولكن مع
الغواية ودوافع الخطيئة ، بيد أنه ينتصر على نفسه ، ويتخذ العفة ملجأه
وإن دفعت به الى السجن ... (١) .

موسى وهرون :

تكررت قصة موسى وهرون في القرآن كما لم تتكرر قصة أخرى .
وقد بيّن الله في القرآن الكريم كيف رعى موسى منذ طفولته المبكرة ،
ونشأه أطيب تنشئة ، واصطفاه لرسالته ، وشد أزره بأخيه هرون عند ما طلب
موسى ذلك ، وأيده بأقوى المعجزات ، وفي خلال القصة يجيء فيض من
الثناء على موسى وهرون ووصف لموسى بأنه مناضل في الحق ، دعوب .
لا يخاف في الله لومة لائم : فاذا أخطأ موسى غفر الله له خطيئته وحرسه
من عواقبها ، ولنقتبس من آي الذكر الحكيم بعض آيات بينات تتصل
بموسى وهرون :

— وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه غالقيه في
اليم . ولا تخافي ، ولا تحزني ، إنا رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين (٢) .

— ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، فوجد فيها رجلين
يقتتلان ، هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذي من شيعته
على الذي من عدوه ، فوكره موسى ففضى عليه ، قال : هذا من عمل
الشیطان ، إنه عدو مضل مبين ، قال : رب ، إني ظلمت نفسي فاغفر لي .
فغفر له ، إنه هو الغفور الرحيم (٣) .

(١) الأستاذ عبد الوهاب النجار : تخصص الأنبياء ص ١٨٠ بتصرف .
(٢) سورة القصص الآية السابعة : وانظر تطبيق البلغاء العرب على
هذه الآية في « المجتمع الاسلامي » للمؤلف ص ٢٠٩ - ٢١٠ من الطبعة السابعة .
(٣) سورة القصص الآتان ١٥ - ١٦ .

— قال : رب اشرح لي صدري ، ويسّر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، هرون أخى ، اشدد به أزرى ، وأشركه في أمري ، كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً ، قال : قد أوتيت سؤلك يا موسى (١) .

— قال : يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء (٢) .

وتعرض موسى لإيذاء بنى إسرائيل ؛ فقبل إنه دُبِّرت ضده مؤامرة ليرمى بالزنا فى حفل من الناس ، وقيل إنه اتَّهم بقيلة مائة أو غيرها من العيوب الجسمانية ، وقيل إنه اتهم بقتل هرون أخيه ، وقد تصدى القرآن الكريم للدفاع وإثبات براءته .

قال تعالى :

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً (٣) .

داود :

اجتمع لداود النبوة والملك ، وحباه الله من النعم أشرفها ، ومن الفضل والتوفيق أكثره وأعظمه ، وقد تحدث القرآن عن ذلك فى آيات عدة نقتبس هنا بعضها :

— وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء (٤) .

(١) سورة طه الآيات ٢٤ - ٢٦ .

(٢) سورة الاعراف الآيات ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣) سورة الاحزاب الآية ٦٩ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٠ .

— ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوّبي معه ، والطير ، وألكتنا له الحديد ، أن أعمل سابغات وقدّر في السرد ، واعملوا صالحاً بنى بما تعملون بصير (١) .

واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ، إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ، والطير محشورة كل له أواب ، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب (٢) .

وهناك قصة تتصل بداود وواحد من رعاياه واسمه « أوريا » وامرأة اسمها « سابغ » وسنرى فيما بعد أن بنى إسرائيل يصورون اتصال داود بسابغ في صورة الزنا ، كما يصورون داود مدبراً للمؤامرات ليتخلص من زوجها ، ولكن الفكر الإسلامى الذى يسمو بالأنبياء عن الرذائل والنقائص صور هذه المسألة في صورة تنأى عن الكبائر ، ولم يرها إلا هفوة استحققت نوعاً من العتاب والتعليم من الله ، لنبيه ومصطفاه .

وقصة ذلك — في نظر المسلمين — أن أوريا كان قد خطب سابغ لتكون زوجة له ، ولكنه استُدّعى للحرب قبل أن يتم عقد الزواج ، وطالت غيبته عن خطيبته وأهلها ، فرآها داود في هذه الأثناء ، فأعجب بها ، فخطبها من أهلها فاستجابوا له ، وتم الزواج بينهما ، وهى أم سليمان .

هل كان من اللائق أن يتزوج داود امرأة ارتبطت بغيره برباط ما ، مع أن عنده من الزوجات والسراى عدداً كبيراً ؟ ذلك ما عوتب عليه داود بطريق غير مباشر حيث هبط عليه ملكان في صورة رجلين يشكو أحدهما الثانى بأنه له تسع وتسعون نعجة ومع ذلك يطمع فى نعجة واحدة يمتلكها الشاكى ، ويستغل الطامع نفوذه وفصاحته لينال مآربه ، ويحرم أخاه من

(١) سورة سبأ الآيتان ١٠ — ١١ .

(٢) سورة يس الآيات ١٢ — ٢٠ .

نعجته الوحيدة ، وحكم داود بأن هذا ظلم لابد أن يقاوم ، وابتسم الملكان ابتسامة لها معنى ، واختفيا وهناك صوت ينبعث : لماذا إذا ضمنت « سابع » الى عشرات النساء عندك وحرمت منها أوريا ؟ وأدرك داود أنه زل ، فانكب يستغفر الله ويرجو عفوه ، فغفر الله له ، وقص القرآن هذه القصة . وبها مزيج من العتاب والتربية والاستغفار والعفو ، قال تعالى :

وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففرع منهم • قالوا : لا تخف • خصمان بغى بعضنا على بعض : فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وأهدنا الى سواء الصراط ، إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ، فقال : أكفلنيتها • وعزنى فى الخطاب ، قال : لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه • وإن كثيراً من الخطاء ليعنى بعضهم على بعض ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم • وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه ، وخرّ راکعاً وأناب ، فغفرنا له ذلك ، وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (١) •

سليمان :

ورث سليمان ملك أبيه ، ومنحه الله من أفضله ونعمه ألواناً تدعو للدهشة والعجب • وقد ذكر القرآن الكريم صور هذه المنح العظيمة ، وفيما يلي قبس من هذا الفيض الربانى الزاخر نقتسه من الذكر الحكيم :

— وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نقشت فيه غنم القوم ، وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا حكماً وعلماً ، وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ، وعلمانا صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ، ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين ، ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين (٢) •

(١) سورة ص الآيات ٢١ — ٢٥ •

(٢) سورة الانبياء ٧٨ — ٨٢ •

ويقول المفسرون عن حكم داود وسليمان في الحرث إن زرعاً ناضجاً أكلته ليلاً غنم لغير أصحابه ، فشكا أصحابُ الزرعِ غرماءهم إلى داود وعنده سليمان فحكم داود بالغنم لأصحاب الزرع عوضاً عن التلف .
قال سليمان : غير هذا أرفق : فسئل : ماذا يرى ؟ فقال تدفع الغنم لصاحب الزرع عاماً ينتفع بالبانها وأشعارها وأولادها ، وفي خلال هذا العام تدفع الأرض لصاحب الغنم ليعيد زرعها وتتميتها . وبعد العام يسترد كلُّ ماله .
وأخذ داود بذلك .

— وورث سليمان داود ، وقال : يا أيها الناس علّمنا منطق الطير ، وأوتينا من كل شيء ، إن هذا لهو الفضل المبين ، وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون (١) .

ولسليمان الريح غدوؤها شهراً ورؤاؤها شهراً ، وأسكننا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، اعملوا آل داود شكراً ، وقليل من عبادي الشكور (٢) .



وبعد ، هؤلاء هم أنبياء بني إسرائيل في آيات القرآن ، رسل مصطفىون ، وقادة صالحون ، جاءوا ليكافحوا الشر في قومهم ، وليقودوهم سواء السبيل ، ولكن بني إسرائيل كانوا غلف القلوب فما انتفعوا بالإرشاد ، ولا اتبعوا الهدى ، بل ضلوا سواء السبيل ، وملأوا الدنيا تمرداً وشرواً ، كما رأينا وكما سنرى فيما بعد .

(١) سورة النمل الآيتان ١٦ — ١٧ .

(٢) سورة سبأ الآيتان ١٢ — ١٣ .

عقيدة بنى إسرائيل

كما صورها القرآن الكريم

ويجىء الآن دور الحديث عن عقيدة بنى إسرائيل ،وكما أعطى القرآن الكريم صورة طيبة لأنبياء بنى إسرائيل ، فإنه كذلك تحدث عن العقيدة التي كلّفوا بها فصورها سليمة صادقة صافية ، لا تختلف عن عقيدة المسلمين ، قال تعالى : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط (١) » . فالعقيدة الأصلية لبنى إسرائيل كانت الإيمان بالله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، إله الناس جميعاً ، خالقهم وراعاهم ، العالم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، والإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر ، وما يتصل بذلك من الحساب والثواب أو العقاب .

ونسوق فيما يلى من آى الذكر الحكيم ما يوضح هذه الصورة ، قال تعالى على لسان إبراهيم :

— إبنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، وحاجته قومه ، قال أتحتاجونى فى الله وقد هدانر ، ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربهى شيئاً ، وسع ربهى كل شىء علماً ، أفلا تتذكرون ؟ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ، الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ، وتلك حججتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ، ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي

(١) سورة النساء الآية : ١٦٣ .

المحسنين ، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين (١) .

وتوضّح هذه الآيات إيمان إبراهيم بالله الذي فطر السموات والأرض ، ومقاومته لقومه عند ما حاجّوه في ذلك ، وتأكيديه أن الله وسع كل شيء ، علماً ، كما توضّح أن أبناءه الأنبياء نالوا من الهدى والرشاد ما نال أبوهم إبراهيم « كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان ... » .

وهناك مجموعة أخرى أو مجموعات من آيات القرآن تشهد لإبراهيم وبنيه أنهم آمنوا بالإله الواحد القهار ، ونسوق منها قوله تعالى :

— ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه : أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب : يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون (٢) .

ومن العقائد التي كان على بنى إسرائيل أن يتبعوها ، إيمانهم بالبعث متبعين في ذلك سنة أبيهم إبراهيم ، قال تعالى : وإذ قال إبراهيم : رب ، أرني كيف تحيي الموتى ، قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي . قال : فخذ أربعة من الطير فصرهنَّ إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً : ثم ادعهن يأتينك سعيًا ، واعلم أن الله عزيز حكيم (٣) .

(١) سورة الأنعام آيات ٧٦ - ٨٦ .

(٢) سورة البقرة آيات ١٢٠ - ١٢٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٠ :

ويشرح الأستاذ محمد جاد المولى وزملاؤه هذه العقيدة بقولهم (١) :
قد كان ابراهيم مفعم القلب بالإيمان بربه ، ممتلئاً بالثقة واليقين بقدرته
خالقه ، ومؤمناً بما أوحى إليه من بعث الناس بعد موتهم ، وحسابهم في
حياة أخرى على أعمالهم ، ولكنه أراد أن يزداد بصيرة وإيماناً ، وثقة
ويقيناً ، وتطلع إلى أن يلمس البرهان المبين على البعث . ويرى الحجة
الواضحة على النشور ، فسأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى بعد
موتهم ؟ ويبعثهم بعد فناء أجسامهم ، فقال الله له : أو لم تؤمن ؟ قال :
بلى . قد أوحيت إليّ وأمنت وصدقت ، ولكن تاقت نفسي إلى المشاهدة
ليطمئن قلبي ويزداد يقيني . فاستجاب الله دعاءه وآتاه سؤله ، وأمره أن
ياخذ أربعة من الطير فيقطعها إرباً ويفرق أشلاءها بأن يجعل على كل
جبل منهن جزءاً ، ثم يدعوهم فيأتينه سعيماً بإذن الله .

وفعل ابراهيم ذلك وعادت الأشلاء تتجمع ، وسعت إليه الطيور
الأربعة ، وزاد يقين ابراهيم ، وامتلأ قلبه اطمئناناً .

وتكررت عقيدة التوحيد والإيمان باليوم الآخر منسوية إلى غير
ابراهيم من أنبياء بنى إسرائيل والصالحين منهم ؟ قال تعالى على لسان
يوسف : إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ،
واتبعت ملة آبائي ابراهيم وإسحق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من
شئ ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ،
يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون
من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها سلطان ، إن
الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس
لا يعلمون (٢) .

(١) نصوص القرآن ص ٢٣ .

(٢) سورة يوسف الآيات ٢٧ - ٤٠ .

وعن التوحيد واليوم الآخر والحساب يقول الله تعالى مخاطباً موسى :
« إني أنا الله لا إله إلا أنا فاتبعني وأقم الصلاة لذكري ، إن الساعة
آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن
بها واتبع هواه فتردي » (١) ويقول الله تعالى على لسان موسى واصفاً
الله جل وعلا بأنه خالق كل شيء ومانحه الهدى « ربنا الذي أعطى كل
شيء خلقه ثم هدى » (٢) . وعن علم الله سبحانه وتعالى يقول القرآن
الكريم على لسان موسى « إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل
شيء علماً » (٣) .

وعن الحياة الدنيا ومتاعها ، والحياة الآخرة وما بها من جزاء يقول
الله تعالى على لسان موسى : « يا قوم ، إنما هذه الحياة الدنيا متاع ،
وإن الآخرة هي دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها ، ومن
عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب » (٤) .

وهكذا كانت العقيدة التي نادى بها أنبياء بنى اسرائيل متفقة تماماً
مع عقيدة المسلمين ، تهتم بوحداية الله إله الكون ، وإسناد الصفات
المقدسة إليه سبحانه ، كما تهتم باليوم الآخر والحساب وغيرها من
المعتقدات .



هذه فكرة واضحة عن أنبياء بنى اسرائيل وعقيدتهم من وجهة
النظر الإسلامية ، ولكن بنى اسرائيل ثاروا في وجه أنبيائهم ، ورفضوا
الاستجابة لهم ، واطرحوا العقيدة التي جاء بها هؤلاء الأنبياء ، ثم هاجموا
الأنبياء ، وقتلوهم أحياناً ، واستبد بهم الفلال والجحود ، فعبدوا غير

(١) سورة طه الآيات ١٤ - ١٦ .

(٢) سورة طه الآية ٥٠ .

(٣) نفس السورة الآية رقم ٩٨ .

(٤) سورة غافر الآيتان ٣٩ - ٤٠ .

الله وأنكروا البعث ، ونسبوا لأنبيائهم ما لا يمكن أن يصدر من أنبياء .
ويجدر بنا ونحن لا نزال مع القرآن أن نستعرضه لنقتبس منه بعض الآيات
التي تحدثت عن بني إسرائيل ووصفت أخلاقهم وصفاتهم ، قال تعالى :

- ... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباعوا بعض من الله ، ذلك
بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون (١) .

- ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة (٢) .

- أفتمؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل
ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد
العذاب وما الله بغافل عما تعملون (٣) .

- أفكلما جاءكم رسول رسولا بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا
كذبتم وفريقا تقتلون (٤) .

- يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم
تعملون (٥) .

- ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ،
وباعوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٦) .

- من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا

-
- (١) سورة البقرة الآية ٦١ .
 - (٢) سورة البقرة الآية ٧٤ .
 - (٣) سورة البقرة الآية ٨٥ .
 - (٤) سورة البقرة الآية ٨٧ .
 - (٥) سورة آل عمران الآية ٧١ .
 - (٦) سورة آل عمران الآية ٢١٢ .

وعصينا واسمع غير مُسْمَعٍ ؛ وراعنا ، لئلا بالسنتهم وطعنا في الدين ؛ ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم . ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً (١) .

— فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً (٢) .

— فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية . يجرغون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظاً مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم ... (٣) .

— وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلّت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ، ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين (٤) .

— لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فطوره لبئس ما كانوا يفعلون (٥) .

— واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار . ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً ؛ اتخذوه وكانوا ظالمين (٦) .

(١) سورة النساء الآية ٤٦ .

(٢) سورة النساء الآية ١٥٥ .

(٣) سورة المائدة الآية ١٣ .

(٤) سورة المائدة الآية ٦٤ .

(٥) سورة المائدة الأيتان ٧٨ — ٧٩ .

(٦) سورة الاعراف الآية ١٤٨ .

— إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المفترين (١) .

— اقتتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يَحْتَلُّ لكم وجه أبيكم (٢) .

* * *

وسنرى في الفصل التالى تفاصيل الانحراف الذى انحدر إليه بنو اسرائيل عند كلامهم عن أنبيائهم وعقيدتهم .

(١) سورة الاعراف الآية ١٥٢ .

(٢) سورة يوسف الآية ٤٠ .

الباب الثالث
أنبياء بني إسرائيل وعقيدتهم
من غير القرآن الكريم

أنبياء بنى اسرائيل من غير القرآن الكريم

يتحتم علينا أن نخصص مكاناً في مطلع هذا البحث لنذكر فيه مقدمة ضرورية له ، فنحن المسلمين نجلّ كل الأنبياء ونعظمهم ، بيد أنا في دراستنا العلمية نجد عن بعضهم آراء لا تتفق مع عقيدتنا عنهم ، ولكننا مع هذا نلتزم بذكرها لنتمكن من إعطاء صورة متكاملة عن كل منهم تمثل كل الجوانب وألوان التفكير ، فما ذكره المستشرقون من غمزات عن نبينا محمد صلوات الله عليه في تعدد زوجاته وموقفه من القبلة ، ومن اليهود .. ذكرناه وناقشناه ^(١) ، وفي كتابي عن « المسيحية » تحدثت عن المسيح في رأى المسلمين ، ثم عن المسيح في رأى المسيحيين ، فصورته في الأولى كما صورته القرآن بشراً رسولا .. وفي الثانية أوردت أقوال المسيحيين عنه التي تصوّره ابن الله نزل الى الأرض وضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر ..

وأنبياء بنى اسرائيل صوّرهم القرآن تلك الصورة الطيبة التي سبق أن أوردناها ، ولكن البحث لا تكتمل عناصره حتى نورد عنهم ما ذكرته التوراة وما ذكرته المراجع الأخرى ، على نمط ما فعلنا مع محمد ومع عيسى ، ولن نحتاج في العرض الذي سنقوم به الى مناقشة ما سنورده من آراء ، لأن الرأى الإسلامى قد أوردناه يادى ذى بدء وهو الذى نرتضيه ، فنحن فى هذا الباب الذى نأخذ فيه ، نسرده آراء الآخرين حتى لا يكون البحث مبتوراً ، وبخاصة أن أكثر ما سنورده مقتبس من الكتبه المقدس لدى اليهود ، والمسلمون يرون أنه محرف ، وليت شعرى لقد حرّفه اليهود ^(٢) لا ليرفعوا من مكانة أنبيائهم وعقيدتهم ، بل ليطنعوا

(١) اقرأ الجزء الاول من « موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلاميه » وقرأ كذلك كتاب « الإسلام » من سلسلة مقارنة الأديان للمؤلف .
(٢) أو وضعوه كما سنرى عند الكلام عن العهد القديم .

الأنبياء وينحطوا بالعقيدة ، وهذا هو الذي دعا كثيرين من الباحثين إلى الأخذ بما ورد في التوراة متبعين المبدأ العام الذي يرى أن التحريف يكون لصالح من حرّف ولا يكون لإدانتهم . فإذا كان رجل مديناً لرجل بعشرة جنيهات وحرّف الدائن صكّه الديّن فإن الطبيعي أن يزيد الديّن وليس طبيعياً أن يحرّفه بالنقص ليجلب الخسارة على نفسه .

على أي حال فإن هذا البحث به صورتان متناقضتان . إحداهما مقتبسة من الذكر الحكيم تمثل رأى المسلمين وقد سبق إيرادها . والأخرى مقتبسة من التوراة ومن المراجع الأخرى نذكرها على مسؤولية كتابها استكمالاً لعناصر الدراسة دون أن نؤيدها أو نوافق عليها ، وحسبنا هذا التقديم الضروري عن هذا الباب بوجه خاص وعن المواقف المماثلة بالكتاب كله بوجه عام (١) .

* * *

وقبل أن نأخذ في هذا ، ينبغي لنا أن نوضح أن تاريخ العبريين يذكر عدداً من الأنبياء قاموا بين الناس بدور الوعاظ وظهروا بعد انقسام مملكة سليمان ، وكان ظهور هؤلاء رد فعل للنظام الطبقي الذي اتسع مداه بين اليهود ، فقد كانت هناك جماعة تنعم بالغنى الفاحش ، وكان آخرون يتساقطون جوعاً ، وكان كذلك رد فعل لانشغال الكهنة بالمال والتقاليد والمظاهر عن الروح الدينية الحقيقية ، ومن أجل هذا كثر في هذا العصر من أطلقوا على أنفسهم أنبياء وكان هؤلاء - كما يقول (٢) - ينتمون إلى أصول وطبقات متباينة ، فكان حزقيال مثلاً من طائفة الكهنة ، وكان ذا عواطف كهنوتية ، وكان عاموس راعياً ، على

(١) يلاحظ القارىء مزيداً من العبيطة والنحرز حول هذه الدراسة . ولكن مما يخفف الحرج أن ما سنقتبسه هنا مأخوذ من الكتاب المقدس . وهو مطبوع ومتداول بين أديتنا . وماخوذ كذلك من مراجع مطبوعة ومتداولة بيننا . وسرد فكرها مع كل اقتباس .

The Outline of History p. 294. (٢)

أنهم يشتركون في كونهم ييثون في الحياة قوة دينية خارج نطاق القرابين والشكليات المرعية لدى الكهانات والمعبد فظلوا بعيداً عن الخطبة الدينية الرسمية ، ولم يبرح الكهان يتبرمون بالأنبياء تبرماً يتفاوت قدره ، إذ أنهم أصبحوا الناصحين غير الرسميين للناس في الشؤون العامة ، والناعين عليهم الخطايا والتصرفات الغريبة ، وهم قوم « نصبوا أنفسهم بأنفسهم » ولم يكن لهم من سند يستندون إليه إلا ما يحسون من نور باطنى ، وفي الكتاب المقدس صيغة ثابتة هي : وعند ذلك جاءت كلمة الرب الى ، ويروى عن عاموس في محاربة الكهنة والأغنياء قوله : إنكم تدوسون المسكين وتأخذون منه هدية قمح ، بنيتم بيوتاً من حجارة منحوتة ولا تسكنون فيها ، وغرستم كروماً شهية ولا تشربون خمرها ، لأنى علمت أن ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة ، أيها المضايقون البار ، الآخذون الرثوة ، الصادقون البائسين خلف الباب ، لذلك يصمت العاقل في ذلك الزمان لأنه زمان ردىء (١) .

على أن هؤلاء الذين يطلق عليهم « الأنبياء » لم يكونوا كلهم يستحقون الاحترام ، فقد كان بعضهم من المتنبئين الذين يحاولون قراءة قلوب الناس ومعرفة ماضيهم ومستقبلهم ، ويتقاضون نظير ذلك بعض الأجور . وكان منهم متعصبون متهوسون يستثيرون مشاعر الناس بالأصوات الموسيقية الغريبة أو المشروبات القوية أو الرقص ، وينطقون في أثناء غيبوبتهم بعبارات يراها أصحابهم وحياً أوحى إليهم ، وكان بعضهم لذلك يسفر من بعض (٢) ، وعن هؤلاء يصيح حزقيال : قل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب ، هكذا قال الرب : ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ، ولم يروا شيئاً ، أنبياءك يا اسرائيل صاروا كالشمع في الخرب رأوا باطلاً وعرافة كاذبة ، القائلون وحى الرب ، والرب لم يرسلهم (٣) .

(١) عاموس الإصحاح الخامس ١١ — ١٣ .

(٢) سليمان مظهر : قصة العقائد ص ٣٢١ — ٣٢٢ .

(٣) حزقيال ١٢ : ٢ — ٦ .

وإذا ضربنا صفحاً عن المتنبيين والمتهوسين ، فإننا يجدر بنا أن نذكر كلمة عن أربعة قيل عنهم إنهم الأنبياء الكبار في هذا العهد ، وهم :

أشعيا (القرن الثامن ق م) : كان من مستشاري الملك حزقيا ملك يهوذا (٧٢٩ — ٦٨٨ ق م) الذي حاصر سنحريب ملك آشور أورشليم في عهده ، ولأشعيا نبوءة امتازت بشدة لهجتها ، فقد كان يحمل على من يتظاهرون بالورع ، مع جمع الأموال والسيطرة على الأتوات وحرمان الفقراء .

وعن أشعيا يقول W. A. : كان أشعيا من سكان أورشليم ، وهو ينتمي الى الطبقات العليا بين السكان ويحتمل انتسابه للأسرة المالكة ، وقد بدأ نبوءته بالرؤيا التي قصها في السفر المنسوب إليه ، ومن نبوءاته التي تحققت سقوط السامرة ، وهجوم سنحريب على أورشليم ، وهو أول من وضح أن يهوه إله عالمي وأن الممالك كلها أدوات في يده ، وهو يدفع إحداهما لقتص من الأخرى على ذنب وقعت فيه ، وأشعيا أول من تنبأ بمجيء المسيح (١) .

أرميا (٦٥٠ — ٥٨٠ ق م) : تنبأ بسقوط أورشليم ، ونادى بالخضوع للوك بابل ، فاضطهده ملوك اليهود واعتدوا عليه ، وكان أرميا شديد الحقد على قومه يدافع عن بابل ويعلن في الملا أنها سوط عذاب في يد الله ، ويتهم حكام يهوذا بأنهم بلهاء معاندون ، وينصحهم بأن يسلموا أمرهم كله الى نبوخذ نصر ، حتى ليكاد من يقرأ أقواله في تلك الأيام أن يتهمه بالخيانة الوطنية ، وأن يظن أنه من صنائع بابل المأجورين (٢) . استمع إليه يقول على لسان ربه : إني أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الذي على وجه الأرض بقوتي العظيمة ، وبذراعي

Civilization of the Near East p 69 (١)

(٢) ول ديورانت قصة الحضارة ج ٢ ص ٢٥٨ .

المدودة ، وأعطيتها لمن حَسُنَ في عيني ، والآن وقد دفعت كل هذه الأراضي ليد نبوخذ نصر ملك بابل عبيدي ، وأعطيته أيضاً حيوان الحقل ليخدمه ، وتخدمه كل الشعوب ٠٠٠ والامة أو المملكة التي لا تخدم نبوخذ نصر ملك بابل ، والتي لا تجعل عنقها تحت نيره إني أعاقب تلك الامة بالسيف والجوع والوباء ، يقول الرب : حتى أفنيها بيده ، فلا تسموا أنتم لأنبيائكم وعرافيتكم وحالميتكم وعائيتكم وسحرتكم الذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل ، لأنهم إنما يتنبئون لكم بالكذب (١) .
وكلام أرميا أبلغ وصف لأنبياء هذا العهد .

ويقول Weech (٢) عن أرميا إنه كان رجلاً مثقفاً فصيحاً ، شديد التأثير بما كتبه هوشع ، وقد ندد بأخطاء قومه ، وأنذرهم بالعقوبة ، وقال أرميا بأن الدين مسألة عقيدة ، وليست مسألة طقوس ، وخلال حصار أورشليم صاح بأنه لا أمل ، ودعا للاستسلام ، وعندما سقطت المدينة أخذ أسيراً ولكن سرعان ما أطلق أسروه حرية وأعادوه الى أورشليم ، ليستغلوا فيه اتجاهه لتهدئة قومه ، ودعوتهم لهم بالخضوع للفتاحين الجدد ، ثم هاجر الى مصر مع من هاجروا إليها وهناك لم يسمع له ذكر بعد ذلك .

حزقيال (القرن السادس ق م) : عاصر فترة سقوط مملكة يهوذا ، وكان يشجع قومه على احتمال المتاعب والمحن ، ويعلمهم أن ما نزل بهم إنما هو من القصاص العادل الذي أوقعه الرب عليهم ، وكان يحذرهم من مخاطر رخاء العيش وعبادة الأوثان في البلدان التي ساروا إليها بعد سقوط بلادهم .

وكان حزقيال من رجال الدين ، وقد أبعده الى بابل بعد استسلام أورشليم ويبدو أنه هناك منحه قدرأ كبيراً من الحرية ، وكان يلجأ له كثير

(١) أرميا ٢٧ : ٥ - ١٠ .

(٢) Civilization of the Near-East p. 90

من الناس ليعرفوا منه أمر المستقبل ، إذ كان شائعا أنه يوحى إليه وأن نبوءاته صحيحة ، وكانت تنبؤاته كثيرة توحى بالتشاؤم من المستقبل ، ولم يهتم الناس بها في بادىء أمره ولكن سرعان ما تحققت نبوءته عن تدمير أورشليم ، فالتف حوله الناس وآمنوا بما يقول ، وأصبح حزقيال بينيم وكأنه يتمتع بما يمكن أن يسمى الحاسة السادسة ، وكثيراً ما كان يسقط في غيبوبة أو يشمله الذهول ، وينسب له أنه نقل الفكر اليهودى من عهد يهوه الى ما هو عليه الآن ، ورفض القول بأن الأبناء يؤخذون بذنوب آباءهم ، وأعلن أن كل إنسان يؤخذ بذنبه فقط ، واهتم حزقيال بالطقوس الدينية ، وقال بالبعث والحساب وبالمسيح الذى سيجىء من نسل داود ويصبح ملكاً لليهود (١) .

دانيال : ويشتهر سفَرُهُ بالمنامات والرؤى الرمزية التى أعلنت مستقبل الشعب الإسرائيلى ، لا سيما من الضربات الحالكة عليهم ، ووعدهم بالخلاص على يد المسيح .

ولنعد بعد هذا الى الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم . لنروى عنهم بعض الأحداث التى وردت فى غير القرآن الكريم منسوبة لهم :

إبراهيم :

عن قصة فرعون وإبراهيم وسارة التى سبق أن أوردنا عنها وجهة النظر الإسلامية جاء فى سفر التكوين ما يلى : وحدث جوع فى الأرض فانحدر أبرام الى مصر ليتعرب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديداً ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته : إبنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون اذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته ، فيقتلوننى ويستبقونك ، قولى إنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا

نفسى من أجلك ، وحدث لما دخل أبرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً فمدحوها لدى فرعون فأخذت الى بيت فرعون فصنع الى أبرام خيراً بسببها وصار له غنم ويقر وحمير وعبيد وإماء وأذن وجمال ، ف ضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ما رأى امرأة أبرام ، فدعا فرعون أبرام وقال ما هذا الذى صنعت بى ؟ لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك ؟ لماذا قلت إنها أختى حتى أخذتها لتكون لى زوجة ؟ والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب (١) .

وعن إله إبراهيم يتكلم المؤرخ Weech فيرى أن الفكر الدينى كان بدائياً فى عهد إبراهيم ، وأن الإله الذى دعا له إبراهيم كان من نوع الآلهة التى كان يعبدها أبوه ، وأنه هو يهوه الذى اعتبر إله بنى اسرائيل فيما بعد (٢) .

ميراث ابراهيم وميراث اسحق :

حرص واضعو التوراة على أن يسجلوا على ابراهيم أنه حابى ابنه إسحق وأعطاه كل ما كان له ، وأما بنو السرارى اللواتى كن لإبراهيم فأعطاهم ابراهيم عطايا وصرقهم عن إسحاق ابنه شرقاً الى أرض المشرق وهو بعد حتى (٣) ، وإذا كان واضعو التوراة قد حرصوا على إبعاد اسماعيل فيمن أبعدهوا ، فقد نسوا ذلك وعادوا فذكروا ما يدل على أن اسماعيل ظل بجوار أبيه حتى موته ، واثترك هو وإسحاق فى دقته (٤) .

وحدث مثل ذلك أيضاً بالنسبة ليعقوب وأخيه عيسو ولدَى إسحق ، فتروى التوراة أن إسحق تزوج من امرأة اسمها رفقة فحملت منه ، وتراحم فى بطنها توأمان فمضت لتسأل الرب فقال لها الرب : فى بطنك

(١) تكوين : ١٢ : ١٠ - ١٩ .

(٢) Civilization of the Near East p 83.

(٣) تكوين : ٢٥ : ٥ - ٦ .

(٤) نفس الاصحاح : الفقرة التاسعة .

امّتان ومن أحشائك يفترق شعبان : شعب يقوى على شعب . وكبير
يُسْتَعْبَد للصغير ، فلما كملت أيامها لتلد اذا في بطنها توأمان فخرج
الأول أحمر كله ككَفْرُوَّةٍ شمر فدعوا اسمه عيسو ، وأصبح بكر أبيه :
وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعى اسمه يعقوب .
وطالما حاول يعقوب أن يخلّ محلّ أخيه في البكورية . وتقول التوراة إن
يعقوب طبخ طبيخاً فأتى عيسو من الحقل وقد أعيا فقال ليعقوب :
أطعمني لأنى قد أعيتت . فقال يعقوب : بمعنى اليوم بكوريتك ، فقال
عيسو : أنا ماض الى الموت فلماذا لى بكورية ؟ فقال يعقوب : اخلّف لى
اليوم . فخلّف له ، فباع بكوريته ليعقوب ، فأعطى يعقوب عيسو خبزاً
وطبيخ عدس فأكل وشرب وقام ومضى ، واحتقر عيسو البكورية (١) .

ويستمر سفر التكوين فى وصف المحاولات التى قام بها يعقوب
لينال ميراث أبيه دون أخيه عيسو ، ويصف سفر التكوين أعمال يعقوب
بالشطط والكذب لينال ما ليس له ، وفيما يلى عبارة سفر التكوين :
وحدث لما شاخ إسحق وكثت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر
وقال له : يا بنى . فقال : هأنذا . فقال إسحق : إننى قد شخت ولست
أعرف يوم وفاتى فالآن خذ عدتك ، جمعيتك وقوسك ، واخرج الى
البرية ، وتصيد لى صيداً ، واصنع لى أطعمة كما أحب وأتتى بها لآكل ،
حتى تبارك نفسى قبل أن أموت ، وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحق مع
عيسو ابنه ، فذهب عيسو الى البرية كى يصطاد صيداً ، وأما رفقة
فنقلت ذلك ليعقوب ابنها وقالت له : إذهب الى الغنم وأحضر لى جديين
جديين فأصنهما أطعمة لأبيك كما يحب ، وتحضرها الى أبيك ويباركك .
فقال يعقوب لأمه : هو ذا عيسو أخى رجل أشعر وأنا أملس ، وربما
يجسنى أبى فأكون فى عينيه كمتهاون ، وأجلب على نفسى لعنة لا بركة ،
فقال له أمه : لَعْنَتِكَ عَلَىَّ يا بنى اسمع لقولى فقط ، فذهب وأحضر

الجديين وصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب . وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبستها ليعقوب ابنها الأصغر وألبست يديه وملاسة عنقه جلود الجديين ، وأعطت الأطعمة والخبز الى يعقوب .

فدخل الى أبيه وقال يا أبى ، فأجاب هانذا من أنت يا بنى ! فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرى ، قد فعلت كما كلمتني . قم اجلس وكل من صيدى لكي تباركنى نفسك ، فقال إسحق لابنه ما هذا الذى أسرعت لتجد ! فقال : إن الرب إلهك قد يسر لى ، فقال إسحق ليعقوب تقدم لأجسك أنت هو ابنى عيسو أم لا فتقدم يعقوب الى إسحق أبيه فجسه وقال : الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو ، ولم يعرفه لأن يديه كانتا مُشعرتين كيدي عيسو ، فقال له هل أنت هو ابنى عيسو ؟ فقال : أنا هو . فأكل إسحق وشرب وقال لابنه تقدم وقبلنى ففعل فشم رائحة ثيابه واعتقد منها أنه عيسو ، فدعا له وباركه قائلاً : فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة وخبز ، لتستعبد لك الشعوب وتسجد لك قبائل ، كن سيداً لإخوتك وليسجد لك بنو أمك ليكون لاعدوك ملعونين ، ومباركوك مباركين (١) .

ويستطرد سفر التكوين فيذكر أن عيسو عاد وصنع طعاماً وجاء الى أبيه فعرف ما حدث وطلب من أبيه أن يباركه وصرخ وبكى فقال له إسحق : هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك ، وبلا ندى السماء من فوق ، وبسيفك تعيش ولأخيك تستعبد (٢) .

خال يعقوب يخدعه :

وحقد عيسو على يعقوب وحاول قتله فعرفت أمه ذلك فأوصت ابنها بالهرب الى بيت خاله لابان ، وهناك خطب يعقوب ابنة خاله الصغرى

(١) الاصحاح ٢٧ : ١ - ٢٩ .

(٢) نفس المرجع : ٢٩ - ٤٠ .

« راحيل » ، ودفع مهرها سبع سنين عملاً لأبيها ، ولما أتمها طلب زوجته فأدخله أبوها على ابنته الكبرى « ليئة » وكانت عيناها ضعيفتين ، ولما غضب يعقوب لذلك التزوير طلب منه خاله أن يعمل سبع سنين أخرى ليزوجه ابنته الصغرى ففعل ، وحدث أن يعقوب وهو عائد الى فلسطين أن قابله أخوه عيسو فتخوف يعقوب منه ، لما يعرف من سابق حقه عليه ، ولكن عيسو كان كريماً معه ، فركض للقائه وعانقه (١) .

ويعلق J.W.D. Smith على تصرفات يعقوب هذه بقوله : ولا نجد بحال من الأحوال وسيلة لقبول تصرفات يعقوب ، فقد كان واضحاً أنها غير عادلة وكان يسلك مختلف السبل وينتهاز كل الفرص لينال حقوق أخيه ، كان مستعداً أن يستعمل أساليب المكر والختل والحيل ليحقق أهدافه ، فيعقوب بهذا يعتبر نموذجاً حقيقياً لأخلاق اليهود ، وعلى هذا تَعْتَبَرُ تسميتهم باسمه ميراثاً دقيقاً ، فقد ورثوا عنه أكثر مما ورثوا عن ابراهيم الذي كان رجل عقيدة وإيمان أكثر منه رجل ختل ودنيا (٢) .

الحياة في بيت يعقوب :

وآل الأمر الى يعقوب بعد كل هذه الحيل ، وقارئ التوراة يجد أحداثاً عجيبة يدعش الإنسان أن تجرى في بيت رسول ، ومن هذه الأحداث أن زوجة يعقوب (راحيل) كانت وثنية ، حتى بعد أن مضت عدة سنوات على زواجها منه ، وقد بلغ من وثنيتها وأخلاقها أنها سرقت أصنام أبيها وفرعت بها هاربة من بيت أبيها مع زوجها الى فلسطين (٣) ، ومن هذه الأحداث أن رأوبين ابن يعقوب البكر زنى ببيلة زوجة أبيه

(١) تكوين : ٢٢ و ٢٣ .

(٢) God and Man in Early Israel pp. 15-17.

(٣) تكوين : ٣١ : ١٩ .

وأُم أخويه دان ونفتالي . وساع هذا الخبر حتى سمعه يعقوب (١) . ومن هذه الأحداث واقعة زنا وغدر يقصها سفر التكوين كما يلي : وخرجت دينة ابنة لئئة التي ولدتها ليعقوب لتتنظر بنات الأرض ، فرآها شكيم بن حمور رئيس الأرض فأخذها وزنى بها وتعقلت نفسه بها فكلم أباه أن يطلبها زوجة له ، فخرج حمور الى يعقوب ليطلب ابنته ، ولما علم أبناء يعقوب بما جرى لأختهم غضبوا من شكيم لأنه صنع قباحة في اسرائيل وأسروا غضبهم ، فلما طلبها حمور زوجة لابنه وأبدى استعداده لدفع ما يطلبون مهراً . أجاب بنو يعقوب بمكر قائلين : لا نستطيع أن نعطي أختنا لرجل أغلف ، لأنه عار لنا ، فاذا اختتنتم أعطيناكم بناتنا وأخذنا بناتكم ونصير شعباً واحداً ، فقبل شكيم ذلك ، وكان أكرم بيت أبيه ودعا قومه للاختتان فقبلوا ، واختتن كل ذكر ، وحدث في اليوم الثالث إذ كان الجميع متوجعين أن هجم أبناء يعقوب على محلة شكيم فقتلوه وقتلوا أباه وأهله ونهبوا المدينة ، غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه ، وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت (٢) .

ومن الأحداث التي وقعت في بيت يعقوب مسألة حقد إخوة يوسف عليه ، والتآمر للتخلص منه بالقتل أولاً ثم بالمدول عن القتل إلى إلقاءه في البئر وقد سبق أن أشرنا الى هذه القصة وهي لا تختلف في التوراة عما سبق أن أوردناه (٣) .

موسى وهرون :

يرسم المؤرخ العالمي Weech صورة لموسى ننقلها فيما يلي :
ظهر موسى بين بنى اسرائيل وهم يعيشون غرباء مضطهدين في المجتمع

-
- (١) تكوين : ٣٥ : ٥٢٢ .
(٢) تكوين : الاصحاح الرابع والثلاثون .
(٣) تكوين : الاصحاح السابع والثلاثون .

المحرى ، فقادهم موسى وخرج بهم من مصر ، وكان لهم قائداً ومشرعاً وإماماً ، ويرجع اليه ما عرف لبني اسرائيل من ألواح وكتب ، وتجوّل بهم موسى في التيه حيث عاشوا من جديد حياة البدو الرحل (١) : ودعاهم موسى الى التوحيد ، وكانت عقيدة التوحيد قد ظهرت في العالم قبل ذلك على يد أخناتون في مصر ، ويبدو أن موسى — وقد أمضى طفولته وصباه وشبابه في مصر — عرف هذه العقيدة وتأثر بها ودعا لها (٢) .

ويقرر Hosmer أن مكانة موسى جاءت من كفاءته التي استطاع بها أن يقود بني اسرائيل ويخرجهم من مصر . ثم من مقدرته على إملاء التوراة التي كانت قانون هذه الجماعة بعد أن لم يكن لها قانون ، كما كانت القاعدة التي قام عليها بناء الدولة من الناحية السياسية (٣) .

ومن أبرز الأحداث التي تتصل بموسى وبربه وشعبه — على ما تذكره التوراة — مسألة سرقة اسرائيل حليّ المصريين تنفيذاً لوصية الرب التي أوصى بها موسى وبلغها هذا الى قومه فعملوا بها ، وفيما يلي كلمات التوراة : وأعطى — أى أنا الله — نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين ، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جاريتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين (٤) ، وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى ، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم ، فسلبوا المصريين (٥) .

ويعلق الأستاذ محمد عزة دروزة على هذا النص بقوله : ومهما كان

Civilization of the Near East p. 53. (١)

Ibid p. 88. (٢)

James Hosmer : the Jews p. 14. (٣)

(٤) خروج : ٣ : ٢١ — ٢٢ .

(٥) خروج : ١٢ : ٣٥ — ٣٦ .

من أمر فإن تسجيل هذا الخبر بهذا الأسلوب يدل على ما كان وظل يتحكم في نفوس بني اسرائيل من فكرة استحلال أموال الغير وسلبها بأية وسيلة ، ولو لم تكن حالة حرب ودفاع عن النفس . كما أنه كان ذا أثر شديد دون ريب في رسوخ هذا الخلق العجيب في ذرايعهم ثم من دخل في دينهم من غير جنسهم (١) .

أما هرون فإنه - بناء على ما ورد في التوراة - استجاب لقومه حينما استبطأوا موسى وطلبوا منه أن يقيم لهم إلهاً يعبدونه ، وفيما يلي نص التوراة : ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هرون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى ، الرجل الذي أصدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هرون : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم وأتوني بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم ، وأتوا بها إلى هرون ، فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوره بالإزميل ، وصنعه عجلاً مسبوكاً ، وقال : هذه آلهتكم يا اسرائيل التي أصدتكم من أرض مصر ، وبني مذبحاً أمامه ، ونادى هرون وقال غداً عيد للرب . فبكرؤا في الغد ، وأصدعوا محرقات ، وقدموا ذبائح سلامة ، وجلس الشعب للأكل والشرب ، ثم قاموا للعب (٢) .

داود :

أول شيء يمكن أن نقبسه من الكتاب المقدس عن داود أن نسبه ليس اسرائيليا خالصاً ، وسفر راعوث يحكي لنا قصة هذا النسب ، واسم السفر مقتبس من اسم امرأة من مؤاب اسمها راعوث ، وخالصة هذا السفر أن اسرائيليا من بيت لحم ومن سبط يهوذا نزع إلى مؤاب مع زوجته وولديه تحت ضغط الجوع ، ثم مات الرجل ، وبعد فترة تزوج

(١) تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ج ١١ ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) خروج ٣٢ : ١ - ٦ .

الولدان من فقتاتين من مؤاب إحداهما اسمها عرّفة والثانية اسمها راعوث .
ثم مات الولدان ، وأرادت أمهما العودة الى بيت لحم فحاولت أرملتا ابنيها
العودة معها ، ولكن المرأة نصحتهما بالذهاب الى أهلها . فقبلت عرّفة
ورفضت راعوث ، وأصرت على أن تصحب حماتها ، وفي بيت لحم تزوجت
راعوث رجلا من أقارب حماتها اسمه بوغز ، فولدت له ولداً سمي عوبيد .
وكبر هذا وتزوج ووُلِدَ له ولد سمي يسيى وهو والد داود (١) .

وأهمية هذا النسب خطيرة بالنسبة للفكر الذي حدده اليهود مع قيام
دولتهم . فاليهودية الجديدة تَعْتَبِرُ السلالة من ناحية الأم هي السلالة التي
يعتمد عليها في نقاء الدم اليهودي ، ويعتبر « غير نظيف » عند اليهود من
اختلط دمه ، ويُعْتَبِرُ غير يهودي من كانت أمه غير يهودية (٢) .

ويعتبر عهد داود وسليمان عهد الاستقرار النَّسَبِي لِبَنِي إِسْرَائِيل ،
وقد كان كل منهما ملكاً على مملكة العبريين ، ومن أجل هذا كتب عنهما
المؤرخون أكثر مما كتبوا عن سبوقهم من قادة بني إسرائيل ، وتبعاً لذلك
ستكون اقتباساتنا عنهما ليست من الكتاب المقدس فحسب بل مما كتبه
المؤرخون كذلك .

ويصف ول ديورانت داود بقوله : وقد استطاع الأدب في هذا
العصر البعيد أن يرسم له صورة كاملة ، صورة واقعية فيها كل ما في
النفس الحية من عواطف وانفعالات متعارضة : فهو قاس غليظ القلب
كما كان الناس في وقته وكما كانت قبيلته ، وكما كانت المسافات التي قطعها

(١) نظر سفر راعوث .

(٢) نشرت جريدة النيويورك تايمز الامريكية في عددها الصادر بتاريخ ١٩
يناير سنة ١٩٦٠ قصة امرأة تدعى ريتا كان أبوها يهوديا . وشنت في ألمانيا
يهودية ، وعانت الاضطهاد لانها يهودية ، واعتقلها الانجليز في قبرص لانها
يهودية ، وجاءت الى اسرائيل كيهودية . وعاشت في أحد المسكرات اليهودية ،
وتزوجت يهوديا وعاشت تمارس الشعائر اليهودية ، ثم - فجأة - اعلنت وزارة
داخلية اسرائيل أن ريتا غير يهودية ، لان الوزارة عرفت ما يدل على أن أمها
ليست يهودية (أنظر اسرائليات للاستاذ أحمد بياء اللدن ص ١٩٨) .

على إلهه ، ولكنه مع هذا كان مستعداً لأن يعفو عن أعدائه ، كما كان يعفو عنهم قيصر والمسيح ، وكان يقتل الأسرى جملة كأنه ملك من ملوك الآشوريين ، ويأمر ابنه سليمان بالقتل ويشجعه عليه ، ويأخذ امرأة أوريا لنفسه من غير حياء ، ويرسل زوجها الى الصف الأول في ميدان القتال ليتخلص منه (١) .

وبمناسبة الحديث عن زوجة أوريا يجدر بنا ان نعود الى الكتاب المقدس لنقتبس القصة كاملة ، ففيها - بناء على رواية الكتاب المقدس - أحداث موهلة في القسوة وبعيدة عن العفة ، وفيما يلي كلمات الكتاب المقدس : أرسل داود قائده يؤاب وجنوده ومن بينهم جندي اسمه أوريا ، فحربوا بني عمون وحاصروا ريبه ، وأما داود فأقام في أورشليم ، وفي المساء قام داود عن سريريه وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم للطهارة من طمئها وكانت جميلة المنظر جداً ، فأرسل لها داود وأخذها ودخل بها ، وعند ما جاء موعد الطمث لم تحض ، فأدركت أنها حملت من داود إذ كان زوجها بعيداً في المعركة ، فأرسلت الى داود وقالت إني حبلى ، فأرسل داود الى يؤاب يقول أرسل الى أوريا ، فأرسله ، فسأله داود عن سلامة يؤاب وسلامة الشعب وبخاخ الحرب . وقال داود له : انزل الى بيتك واغسل رجلك ، ولكن أورياً لم يذهب الى بيته ونام على باب الملك مع عبيد سيده ، ولما عرف داود ذلك سأله عن السبب فأجاب أوريا : إن التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام ، وسيدى يؤاب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتى الى بيتى لأكل وأشرب واضطجع مع امرأتى ؟ وحياتك لا أفعل هذا الأمر . فقال داود لأوريا : أقم هنا اليوم أيضاً وغداً أطلقك ، وفي الصباح كتب داود مكتوباً الى يؤاب وأرسله مع أوريا ، وفي هذا المكتوب يقول داود : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت ،

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٢٣١ .

فغفل يؤاب ، ودفع أوريا وجماعة معه حتى دنوا من سور المدينة ثم تقهقر
يؤاب عنهم فماتوا جميعاً ، وأرسل بذلك الى داود ، وقال يؤاب للرسول :
إن غضب الملك لأننا دنونا من المدينة وتعرض رجالنا لمقذوفات السكان
من خلف الأسوار ؟ فقل له : إن أوريا قد مات . فلما سمعت امرأة أوريا
أن بعلها قد مات ندبت ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها الى بيته
وصارت له امرأة وولدت له ابناً [هو سليمان] ويختتم الإصحاح بقوله :
وأما الأمر الذي فعله داود ففُتِّح في عيني الرب (١) .

ويتحدث العهد القديم عن حادثة مدبرة وقعت في بيت داود . وهاك
كلمات هذا الكتاب : كان لأبشالوم بن داود شقيقة جميلة اسمها تامار ،
وقد أحبها وتتيم بها أخ لها من أبيها اسمه أمنون . وحدث أن أمنون
مرض وطلب من أبيه أن تحضر أخته لتمد له طعاماً وتطعمه ، ولما حضرت
أخته أخلى المكان وزنا بها على الرغم منها ، وخرجت تامار حارخة باكية ،
ولما عرف أبشالوم شقيقها هذا الأمر دبر في نفسه مكيده لينتقم من
أمنون ، فدعاه هو وإخوته الى الطعام ، وأوصى عبده أن يثقلوا الطعام
والشراب لأمنون حتى يسكر ثم يقتلوه ... (٢) .

سليمان :

نال سليمان من عناية الباحثين والمؤرخين نصيباً كبيراً ، فقد كانت
دولة اليهود في أول عهده في أقصى قوتها ، هذا من جهة ، ومن جهة
أخرى فإن عصر سليمان اتجه الى الملاذ والترف أكثر من اتجاهه الى خدمة
الدين والمبادئ ، وبين أيدينا مجموعة زاخرة من المعلومات عن هذا العصر
ترويهها من الكتاب المقدس ومما كتبه المؤرخون والباحثون :

لما آل الملك الى سليمان ، قتل جميع منافسيه ليستريح من متاعبهم ،

(١) صيونيل الثاني : الإصحاح الحادي مفرز .

(٢) صيونيل الثاني : الإصحاح الثالث عشر .

والذي عمله هذا لم يغضب يهوه إلهه الذي أحب الملك الشاب ووهبه حكمه
لم يهبها أحداً من قبله ولا من بعده (١) . ويذكر سفر الملوك الأول أنه
قتل أخاه أدونياً ، وقتل يواب قائد جيشه وهو ممسك بقرون المذبح
مستجيراً ، وقتل شمعى أحد كبار الرجال في مملكة أبيه (٢) .

ويصف غوستاف لوبون سليمان بقوله : وقد عاش سليمان حاكماً
شرقياً حقيقياً بكثرة آلهته ، وبدائرته حريمه المستمتلة على مئات النساء ،
وبثيابه الزاهية ، وبقصوره ، وحرسه الأجنبي ، وهو الذي شاد الهيكل
عن زهور لا عن زهد ، وذلك تقليداً لأبهة ملوك مصر وآشور واستتساحاً
لطرزهما البنائية ، وانهمك سليمان فيما لا عهد لأسباط بني إسرائيل به
من ضروب الملاذ الآسيوية ، فلم يفكر في غير التمتع بعمل داود تمتع
ذي أثره ، فأثقل كاهل الشعب بالضرائب ، ايقوم بنفقات شهواته ، مُعدياً
بذلك مُقبِلِ الفتن (٣) .

وقد تحدث ول ديورانت عن سليمان حديثاً طويلاً ، وفيما يلي
مقتبسات قصيرة مما قاله عنه : استخدم سليمان ثروة بلاده في ملاذه
الشخصية ، وأخص ما استخدمها فيه ، إثباع شهواته في جمع السراري ؛
وإن كان المؤرخون يُنقِصون زوجاته السبعمئة الى ستين أو سراريه
الثلاثمئة الى ثمانين ، وقسم بلاده الى اثني عشر قسماً إدارياً ، وتعهد أن
تكون حدودها متفقة مع حدود منازل الأسباط الإثني عشر ، وكان يروجو
من وراء ذلك أن يتضع النزعة الانفصالية بينهم ، وأن يؤلف منهم شعباً
واحداً ، ولكنه أفلس في هذا وأفلست بلاد اليهود معه ، ورجبة في جمع
الأموال فرض سليمان الإتاوات على جميع القوافل المارة بفلسطين ؛ كما

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة : ج ٢ ص ٣٢٢ ، واقرأ الملوك الأول
الإصحاح الثالث : ١٢ .
(٢) الملوك الأول : ٢ : ٢٨ .
(٣) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٢٩ وانظر .
Weech : Civilization of the Near East p. 86.

غرض جزية الرؤوس على رعاياه ، وطالب كل قسم من أقسام دولته بتقدر من المال ، وأعاد للدولة اختكارها القديم لبعض صنوف التجارة (١) .

وفي الحديث عن الحياة الاجتماعية في عاصمة بنى اسرائيل وبخاصة في عهد سليمان يقول ول ديورانت : كان على الفتاة أن تثبت ليلة عرسها أنها عذراء وإلا رُجمت حتى تموت ، ولكن الزنا كان على رغم هذا منتشرأ بين اليهود . ويلوح أن اللواط لم ينقطع بعد تدمير سدوم وعمورة ، ولما كان القانون لم يحرم الاتصال بالعامرات الأجنبية ، فإن المؤامبات والمدنيّيات وغيرهن انتشرن في الطرق العامة ، حيث كن يعشن في مواخير وخيام ، ويجمعن بين الدعارة وبيع مختلف السلع الصغيرة ، ولما كان سليمان لا يتشدد كثيراً في هذه الأمور فإنه قد تساهل في تطبيق القانون الذى كان يحرم على هؤلاء النساء السكنى في أورشليم ، وسرعان ما تضاعف عددهن حتى كان الهيكل نفسه مأخوذة للزنا والفجور ، كما وصفه مصلح غضوب (٣) .

وينسب الكتاب المقدس انحرافات دينية لسليمان ، ومن هذا الكتاب نقتبس بعض عبارات عن ذلك :

جاء في الإصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول ما يلى ، وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، مؤامبات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكان له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السرارى ، فأمالت نساؤه قلبه ، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمكن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه

(١) قصة الحضارة : ج ٢ : ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة : ج ٢ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه ، فذهب سليمان وراء عشتورث آلهة الصيدونيين ؛ وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر في عينى الرب ، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعاً لموَلِّك رجس بنى عمثون . وهكذا فعل لجميع نساءه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن ، فغضب الرب على سليمان ، لأن قلبه مال عن الرب إله اسرائيل الذى تراءى له مرتين ، وأوصاه في هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب (١) .

ويعلق Wells على عبارة الكتاب المقدس بقوله إن إقامة سليمان هيكل اورشليم ورؤياه لربه ومحادثته له في مستهل حكمه ، لم تحل دون ابتداعه في أواخر أيامه ضرباً من العبث بالأمر الدينية فإنه أكثر من الزواج وأخذ يرفه عن زوجاته الكثيرات بتقديم الضحايا لآلهتهن القومية ، فهو يقدم القربان لربة صيدا (عشتورت) ، ولرب مؤاب (شموس) (٢) وغيرهما ، والواقع أن وصف الكتاب المقدس لسليمان يصوره لنا ملكاً متقلباً كغيره من الملوك ، لا يَفْضَلُ البتة أياً منهم في موضوع تمسكه بالدين ، كما يصور لنا قومه شعباً معتقداً بالخرافات ، وذا عقلية مبليلة (٣) .

ويتفق ول ديورانت مع ما اقتبسناه آنفاً من الكتاب المقدس عن انحرافات سليمان فيقول : ولما فرغ سليمان من إقامة ملكه شرع يستمتع به ، وأخذت عنايته بالدين تقل على مر الأيام ، كما أخذ يتردد على حريمه أكثر مما يتردد على الهيكل ، ولشدة ما يلومه ككتاب أسفار التوراة على شهامته ، إذ أقام مذابح للآلهة الخارجية التى كانت تعبدتها زوجاته الأجنبية (٤) .

(١) الملوك الاول : ١١ : ١ - ١٠ .

(٢) يلاحظ أننا قد فكرنا أكثر من اله لصيدا ولؤاب وعمون وليس ذلك سهواً فنعدد الآلهة كانت طبيعة العصر .

(٣) معالم تاريخ الانسانية : ج ٢ : ص ٢٨٥ .

(٤) قصة الحضارة : ج ٢ ص ٢٢٧ .

بقى أن نشير هنا الى ما سبق أن أوردناه ، عن قسوة سليمان على
بنى اسرائيل ، تلك القسوة التي جعلتهم يقولون لرحبعام ابنه وخلفه على
العرش : إن أباك قمى نيرنا ، وإن عليك أن تخفف من عبودية أبيك
الشاقة ونيره الثقيل الذى وضعه علينا . وذلك واضح الدلالة على أن
عهد سليمان كان شديد الوطأة على بنى اسرائيل وأن مشاريعه قد
حملتهم جهداً عظيماً وتكاليف باهظة ، وقد كان بنو اسرائيل جادين فى
طلبهم من رحبعام فلما رفض رحبعام طلبهم ، ثاروا عليه وانقسمت المملكة
وباع الثائرون يربعام ملكا عليهم كما سبق القول .

وبعد ، فهذه صورة سريعة عن أنبياء بنى اسرائيل من غير
القرآن الكريم ، توضح اتجاه الكتاب والباحثين وبخاصة كتاب الكتاب
المقدس عن هؤلاء الأنبياء .

عقيدة بنى اسرائيل من غير القرآن الكريم

من الناحية الواقعية التاريخية يتضح أن بنى اسرائيل أهملوا المصدر الحقيقى للعقيدة وهو السماء ، وانساقوا خلف مصادر أخرى : فقد مرت ببنى اسرائيل أحداث خطيرة ، عاشوا فى مصر ، ووقعوا بين شقى الرعى فى فلسطين ، ونفوا الى بابل ، وفى فترة الصراع بينهم وبين الدول ، ثم فى فترة التشرذم كتبوا العهد القديم ، ووضعوا التلمود ، وبروتوكولات حكماء صهيون . كما سنرى فيما بعد ، وأصبحت هذه هى المصادر الواقعية للعقائد اليهودية ، وسنبحث فيما يلى أبرز المعالم لهذه العقائد .

الإله

معبودات بنى اسرائيل غير « يهوه » :

لم يستطع بنو اسرائيل فى أى فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذى دعا له الأنبياء ، وكان اتجاههم الى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً فى جميع مراحل تاريخهم وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بإبراهيم إلا أن البدائية الدينية كانت طابعهم ، وتعددت كثرة أنبيائهم دليلاً على تجدد الشرك فيهم ، وبالتالي تجدد الحاجة الى أنبياء يجدّدون الدعوة الى التوحيد ، وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أى حال ، فظهروا للتاريخ بدائين يعبدون الأرواح والأحجار ، وأحياناً مقلّدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التى كانت لها حضارة وفكر قلدهما اليهود . ويقول J. Shot Well (١) إن اليهود كانوا فى مطلع ظهورهم على مسرح التاريخ بدواً رجلاً تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين والاعتقاد فى الأرواح ، وكانوا يعبدون الحجارة

والأغنام والأشجار (١) . ويقول Reinach إن اليهود اتخذوا في بيوتهم أصناماً صغيرة كانوا يعبدونها وينتقلون بها من مكان الى مكان (٢) . وقد ظل بنو اسرائيل على هذا الاعتقاد حتى جاء موسى وخرج بهم من مصر ويقول Foster Kent (٣) إن موسى حاول أن يكون أمة من الجماعات التي تبعته ، وقد وجد ألا مناص من تحديد إله يرعى جموعهم ، وتعبده هذه الجموع . ويتم بينه وبين بنى اسرائيل نوع من المنفعة المتبادلة ، ويرتبط مصيرهما كل بالآخر ارتباطاً دقيقاً . وتبعاً لذلك أعلن موسى « يهوه » إلهاً لبنى اسرائيل ، ويرى المؤرخون الغربيون أن موسى استعار القول بالوحدانية من اخناتون ، وفي ذلك يقول (٤) : إن أوّل من قال بالوحدانية الخالصة هو اخناتون . ومن المحتمل أن يكون موسى قد عرف وهو بمصر تفاصيل هذا الاتجاه الديني فتأثر به في دعوته ومال إليه . وقد سبق أن أشرنا الى هذا الرأي ، ولكن بنى اسرائيل كما يقول ول ديورانت (٥) لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل ، ولم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبى لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر ، وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوى أكل للشعب رمزاً لإلههم . وتقرّر التوراة قصة العجل الذي عمله لهم هرون فعبدوه بعد أن تأخر موسى في العودة إليهم ، وكيف خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب ، وقد أعدم موسى ثلاثة آلاف منهم عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن (٦) . وقد بقيت عبادة العجل تتجدد في حياة بنى اسرائيل من حين الى حين ، فقد عمل يربعام بن سليمان عجلي

الرب اله
ليس
هو السامري
الذي
عبدوه

See also : Weech : Civilization of the Near East p. 86 (1) and p. 88.

Reinach : History of Religion p. 176. (٢)
A History of the Hebrew People p. 42. (٣)
Civilization of the Near East p. 84 and p. 88. (٤)
(٥) قصة الحضارة ج ٢ ص ٢٢٨ .
(٦) خروج ٢٢ : ١٨ - ٢٦ .

ذهب ايعبدهما أتباعه حتى لا يحتاجوا الى الذهاب الى الهيكل ^(١) ، وقد عبد أهاب ملك اسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد ^(٢) وسنرى فيما بعد مزيداً من التفصيل عن معبودات بني اسرائيل .

وقد كانت الحية معجزة موسى كما هو معروف ، ويروى العهد القديم أن موسى عمل حية من نحاس وأن بني اسرائيل عبدوها بعد ذلك ^(٣) ، وكانت الأفعى تُعدُّ حيواناً مقدساً لأنها — عندهم — تمثل الحكمة والدهاء والانسباب ، فضلاً عن أنها تستطيع أن تجعل طرفيها يلتقيان ^(٤) ، وكان من نتيجة معجزة الأفعى التي قدمها موسى ما يرويه ول ديورانت من أن اليهود نظروا الى موسى وهرون على أنهما ساحران ، ومن ثمّ انتشر السحر بينهم الى عهد متأخرة رغم احتجاج الأنبياء والكهنة ^(٥) .

وبعد موسى ، وفي عهد القضاة ، تأثر بنو اسرائيل بمعبودات الكنعانيين تأثراً كبيراً ، ويوضح Kent أن إله الكنعانيين « بعل » أصبح معبوداً لبني اسرائيل في كثير من قراهم ، وفي أحوال كثيرة أصبح للطائفتين معبد واحد به تمثال يهوه وتمثال بعل ، بل أصبح يهوه ينادى بعل ، وقد ظل ذلك الى عهد يوشع ^(٦) .

(١) الملوك الاول ١٢ : ٢٦ — ٢٨ .

(٢) ول ديورانت ج٢ ص ٢٢٨ بالهامش .

(٣) الملوك الثاني ١٨ : ٤ .

(٤) G. Allen : *Evelution of the Idea et God* p. 192. (٤)

(٥) قصة الحضارة ج٢ ص ٢٢٩ ، وقد أصبح اليهود أقطاب السحر فيما بعد ومنظمى الجمعيات التي تعتمد على الطلاسم والرموز والارقام ، وأصبحت الفلسفة وتعليم الروحية والشعوذة والسحر تكون مزيجاً يسمى « الكابالا » ، وكانت الكابالا سوط عذاب أطلقه اليهود ضد المسيحية خلال القرون الوسطى .

(٦) Charles Foster Kent : *A History of the Hebrew People* (٦)

يهوه ومراحل عباداته

يجدر بنا أن نقف وقفة عند « يهوه » الذي شغل دائماً فراغاً
واسعاً عند الكلام عن آلهة بني إسرائيل . وسنتناول الكلام عن يهوه
من عدة نواح :

أ - اشتقاق الاسم « يهوه » :

يقول الأستاذ العقاد^(١) إن اسم « يهوه » لا يعرف اشتقاقه على
التحقيق . فيصح أنه من مادة الحياة . ويصح أنه نداء لضمير الغائب
أى « يا هو » لأن موسى علم بني إسرائيل أن يتقوا ذكراه توقيراً له .
وأن يكتفوا بالإشارة إليه . وهذا الاتجاه هو ما ذهب إليه Smith . ويضيف
هذا احتمالاً لاتجاه آخر . هو أن الكلمة العبرانية الماثلة لكلمة
(لورد Lord) هى يهوا وكانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علة
حتى سنة ٥٥٠ م ثم دخلت هذه الحروف ، فأصبحت كلمة يهوا :
ياهوفا Jehovah . وبذلك فكلمة (يهوا) أو (ياهوفا) معناها
سيد وإله^(٢) .

ب - صفات يهوه :

للإله أسماء تختلف - بطبيعة الحال - باختلاف اللغات ، ففي اللغة
العربية يُسَمَّى الواحد الأحد « الله » وفي اللغة الإنجليزية يسمى
« God » وفي اللغة الإندونيسية يسمى « Tuhan » وهكذا . فهل
« يهوه » هو اسم الإله عند اليهود أو فى اللغة العبرانية ؟ .

إن الإجابة على هذا السؤال تجيء بالنفى القاطع . لأن الصفات
التي ذكرها اليهود ليهوه تُبْعِدُهُ كل البعد عما يتصف به الإله عند أى

(١) الله ص ١١٢ .

(٢) Smith : God and Man in Early Israel p. 35.

جماعة من جماعات المتدينين ، وتجعله هذه الصفات لا مرشداً وهادياً ، وإنما تجمله يمثل انعكاساً لصفاتهم واتجاهاتهم ، ويقول ول ديورانت : (يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا الى احدى آلهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها ، وجعلوا منه إلهاً ، ويؤيد ذلك أن من بين الآثا رالتي وجدت في كنعان سنة ١٩٣١ قطعاً من الخزف من بقايا البرنز (٣٠٠٠ ق م) عليها اسم إله كنعانى يسمى « ياه أو ياهو » (١) ، فيهوه ليس خالقاً لهم ، وإنما هو مخلوق لهم ، وهو لا يأمرهم ، بل يسير على هواهم وكثيراً ما يأتمر بأمرهم ، وفي يهوه صفاتهم الحربية إن هم حاربوا ، وصفات التدمير لأنهم مدمرون ، وهو يأمرهم بالسرقة اذا أرادوا أن يسرقوا ، ويعلم منهم ما يريدونه أن يعلم ، ولنعد الى المراجع التي بين أيدينا لنقتبس منها مجموعة من هذه الصفات :

وأولى هذه الصفات هو اضطراب الفكرة التي ترسمها الأسفار عن الإله ، فالوصية الثانية من الوصايا العشر تسمو بالإله عن الإحاطة والحصر ، إذ تنص على الآتى : « لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت ٠٠٠ » (٢) ولكن على الرغم من ذلك ترسم أسفار التوراة الخمسة صورة بشرية محضه للإله (٣) ، وستتضح هذه الصورة من فيض الأوصاف التي وصف بها اليهود يهوه ، والتي سنروى بعضها هنا .

فمن الأوصاف الحسية ليهوه أنه كان يسير أمام جماعة بنى اسرائيل فى عمود سحب ٠٠٠٠٠٠ فقد جاء فى سفر الخروج : وارتحلوا من سكوت ، ونزلوا فى إيثام طرف البرية ، وكان الرب يسير أمامهم نهراً فى عمود

(١) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٤٠ وانظر الهامش المنقول عن .
New York Times 3/5/1931.

(٢) خروج : ٢٠ : ٤ .

(٣) ول ديورانت ج ٢ ص ٢٧٢ .

سحاب ليهددهم في الطريق . وليلاً في عمود نار ليضيء لهم (١) ويعطّل Smith . لهذا بأن شبه جزيرة سيناء بركانية يكثر فيها الدخان المنبعث من البراكين ، ومن المحتمل أن يكون عمود السحاب الذي تبعه بنو إسرائيل وظنوا إلههم يسير فيه ، ليس في الحقيقة إلا دخاناً متجمعاً من البراكين دفعته الرياح الى الأمام (٢) .

ومن الأوصاف البشرية المحضة ليهوه ما جاء في التوراة :

— ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل . ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة ، ولكنه لم يمد يده الى أشرف بنى إسرائيل (٣) .

— فيصنعون لى مقدساً لأسكن في وسطهم (٤) .

ويهوه لا يدعى أنه عالم ، ويطلب من بنى إسرائيل أن يرشدوه ، فقد قرر حينما كان بنو إسرائيل لا يزالون في مصر ، « أن يجتاز في أرض مصر هذه الليلة ويضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم » (٥) ولكن يهوه لا يريد أن تنزل ضرباته ببنى إسرائيل ، ولذلك فإنه يطلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش المضحاة ، بأن يحملوا الدم على القائمين والعتبة العليا في البيوت (٦) .

ويهوه ليس معصوماً ، وكثيراً ما يقع في الخطأ ، ثم يندم على ما فعل ،

(١) خروج ١٣ : ٢٠ — ٢١ .

(١١) Smith . God and man in Early Israel p. 35.

(٢) خروج ٢٤ : ٩ — ١١ .

(٤) خروج ٢٥ : ٨ .

(٥) خروج ١٢ : ١٢ .

(٦) خروج ١٢ : ٧ .

وفي نص التوراة « فندم الرب على الشر الذي قال إنه يقطه بشعبه » (١)
وفي نص آخر « وكان كلام الرب الى صموئيل قائلاً : ندمت على أنى قد
جئته شاعول ملكا لانه رجع من ورائى ولم يقيم كلامى » (٢) .

والإله يهوه يأمر بتسرقه ، وقد سبق أن أوردنا نص التوراة الذى
أمر فيه يهوه بنى اسرائيل أن « تطلب كل امرأة منهم من جارتها أو من نزيلة
بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم
فتسلبون المصريين » (٣) .

ويهوه إله قاس مدمر متعصب لشعبه لانه ليس إله كل الشعوب
بل إله بنى اسرائيل فقط وهو بهـذا عدو للآلهة الآخرين (٤) كما أن شعبه
عدو للشعوب الأخرى ، وتصوّرهُ المراجع اليهودية كبير الشبه برئيس
عصابة فهو يقول : متى أتى بك الرب إلهك الى الأرض التى أنت داخل
إليها لتملكها ، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك : الحِيثيين والجرجاشيين
والأموريين والكنعانيين والفريزيين والحويين واليبوسيين ، سبع شعوب
أكثر وأعظم منك ، ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم ، فإنك تحرمهم ،
لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق بهم (٥) .

ويقول كذلك : حين تقرب من مدينة لى تحاربها استعدادها الى الصلح
فإن أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك
للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالك بل عملت معك حربا فحاصرها ، واذا
دفعها الرب إلهك الى يديك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء

(١) خروج ٣٢ : ١٤ .

(٢) صموئيل الاول ١٥ : ١٠ .

(٣) خروج ٣ : ٢٢ .

(٤) خروج ١٢ : ١٢ .

(٥) تثنيا ٧ : ١ - ٢ .

والأطفال والبهاائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك . وتأكل غنيمة أعدائك التي أعصاك الرب إلهك ، وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً ، فلا تستبق منها نسمة ما (١) .

ومن صور القسوة والوحشية التي ينسبها العهد القديم ليهوه ذلك الحوار الذي ورد في الإصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول . فقد كان الرب طلب من شاول ملك اسرائيل تدمير العماليق ، بل وتدمير مواشيهم ، وهدم بيوتهم ، والقضاء على كل ذراريهم ، ومشي شاول بجيش كبير حتى حاصرهم في سيناء وانتصر عليهم وقبض على ملكهم واسمه أجاج وأهلك هذا الشعب كله ودمر ممتلكاته ولم يستبق منها إلا جيد الغنم والبقر ليقدم ذبيحة لرب ، ولكن يهوه يغضب من ذلك ويقول : استماع كلام الرب أفضل من الذبيحة ، والطاعة أفضل من شحم الكباش . ويندم شاول على هذا ويقتل أجاج الذي كان أسيراً ، ويهلك ما كان قد احتفظ به من الأنعام (٢) .

وليست قسوة يهوه على أعداء بني اسرائيل وحدهم ، بل إنه يقسو أيضاً على شعبه ويلعنهم ويتوعدهم إن هم خالفوا شيئاً من أوامره ولم يتبعوا كل وصاياه ، ونقل لذلك نصاً من نصوص التوراة في هذا الشأن : إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص على أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم ، تأت عليك جميع اللعنات وتدرلك ، ملعوناً تكون في المدينة ، وملعوناً تكون في الحقل ، ملعوناً تكون سلكتك ومِعْجَنك ، ملعوناً تكون ثمرة بطنك وثمره أرضك ، نتاج بقرك وإناث غنمك ، ملعوناً تكون في دخولك وملعوناً تكون في خروجك ، يرسل عليك الرب اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى

(١) تثنية ٢٠ : ١٠ - ١٦ .

(٢) امرا الإصحاح ١٥ من سفر صموئيل الأول .

تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أعمالك إذ تركتني ، يَلْصِقُ بك الرب
الوباء حتى يبببئك على الأرض التي أنت داخل إليها لكي تملكها ، يضربك الله
بالمسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول حتى
تفنيك يضربك الرب بالقرحة والبواسير والجرب والحكة والجنون
والعمى وحيرة القلب ويكون ذلك فيك وفي نسلك الى الأبد (١) .

وفي بعض الآحايين نفذَ الرب وعيده ، وقص العهد القديم قصة
من ذلك كما يلي من أجل ذلك حمى غضب الرب على شعبه ،
ومد يده عليه ، وضربه حتى ارتعدت لها الجبال ، وصارت جنتهم كالزَّبَل في
الأرقة ، مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد (٢) .

وكان بنو اسرائيل يرون ما ينالونه من نصر على أعدائهم منحة يهوه
إليهم ، كما يرون أن ما يقع عليهم من هزائم ليس إلا انتقاماً من يهوه ينزله
بهم لمخالفتهم أوامره (٣) .

ويقتبس ول ديورانت بعض هذه اللعنات ويطلق عليها بقوله : إن
هذه اللعنات لجديرة بأن تكون نماذج في القدح والسب ، ولطها هي
التي أوحى الى الذين حرقوا الكفرة في محاكم التفتيش الإسبانية ، أو
حكموها على سبينوزا بالحرمان أن يفتلوا ما فتلوا (٤) .

وستان أن نقارن ما يتوعد به هذا الرب شعبه إن أهملوا بعض
ما أوصى به ، بالحساب الذي قرره إله المسلمين الغفور الرحيم ، ذلك
الحساب الذي تحمّل الآيات الآتية اتجاهاته :

(١) تثية ٢٨ : ١٦ وما بعدها .

(٢) سفر اشعيا ٥ : ٢٥ .

(٣) Guignebert : The Jewish World in the time of Jesus

p. 123.

وانظر أيضاً Foster Kent : A History of the Hebrew
people p. 34.

(٤) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٤٢ .

— إن الحسنات يذهبن السيئات (١) .

— فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية (٢) .

— إن الله يغفر الذنوب جميعاً (٣) .

وننتقل الى صفة أخرى من صفات يهوه هي أن التوراة تصور موسى ذا سلطان عليه ، ينصحه فينتصح ، ويتخذ موسى وهو ينصحه موقف المرشد المعلم ، فمن ذلك أن يهوه غضب على بنى اسرائيل ، وقال لموسى : اتركنى ليحمرى غضبى عليهم وأفنيهم فراجعه موسى وقال له : ارجع عن حمؤ غضبك ، واندم على الشر أن توقعه بشعبك ، ماذا يقول عنك الناس اذا سمعوا بفعلتك ؟ ... فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه (٤) .

وقد قلنا فيما سبق إن اليهود استعاروا كثيرا من المعبودات التى كانت معروفة عند جيرانهم ، ويوضح لنا غوستاف لوبون أن اليهود لم يستعبروا من جيرانهم فى الاتجاهات الدينية والاجتماعية إلا أخطأ ما كان عندهم ، يقول غوستاف لوبون : عند ما خرج هؤلاء اليهوديون الذين لا أثر للثقافة فيهم ، من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة من زمن طويل ، فكان أمرهم كأمر جميع الأجناس المتخلفة التى تكون فى أحوال مماثلة ، فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما فى حضارتها ، أى لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها ، ودعاتها وخرافاتنا ، فقرءوا القرابين لجميع آلهة آسيا ، قرءوا العشروت ، ولبعل ، ولولك من القرابين ما هو أكثر جداً مما قربوه لإله قبيلتهم « يهوه » العبوس

(١) سورة هود الآية ١١٤ .

(٢) سورة القارة الآية التاسعة .

(٣) سورة الزمر الآية ٥٣ .

(٤) خروج ٣٢ : ١٠ - ١٤ وعدد ١٣ - ١٨

الحقود الذي لم يثقوا به إلا قليلا من الزمن على الرغم من كل إنذار جاء به أنبيائهم (١) .

ذلك موجز من صفات يهوه اقتبسناه من أدق المراجع ، لعله أعطى صورة واضحة عن إله بني اسرائيل .

د - مراحل عبادة يهوه

عبادة يهوه مرّت بثلاث مراحل رئيسية هي :

١ - عبادته قبل بناء الهيكل .

٢ - عبادته في الهيكل .

٣ - عبادته بعد تدمير الهيكل .

وستتكم عن كل* من هذه المراحل على حدة :

١ - يهوه قبل الهيكل :

تبدأ المرحلة الأولى من عبادة « يهوه » عندما دعاهم موسى إليه ، وكان يهوه عند موسى هو الإله الواحد ، رَمَزَ له باسم « يهوه » على ما سبق أن شرحنا عند الكلام على اشتقاق الكلمة ، ولكن بني اسرائيل لم يستجيبوا لموسى استجابة حقيقية ، وسرعان ما عبدوا العجل في حياة موسى وبعده .

وعبدوا كذلك الحية المقدسة على ما ذكرنا من قبل .

وفي عهد القضاة « عاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب : وعبدوا البعلعيم والعشتاروت وآلهة صيدوم وآلهة مؤاب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه » (٢) .

(١) اليهود في الحضارات الأولى ص ٢٠ .

(٢) قضاة ١٠ : ٦ .

وفي مطلع عهد الملوك يقص الكتاب المقدس أن زوجة داود واسمها ميكال كانت تعبد تماثيل على صور البشر يُرمزُ بها إلى الله ، وقد أخذت الترافيمًا « اسم أحد التماثيل » ووضعت في الفراش لتوهم أعداء داود أن داود نائم في الفراش ، بينما عملت على تهريب داود من رسل شاول الذين كانوا يبحثون عنه ليقتلوه (١) .

٢ - يهوه مع الهيكل :

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة ارتباط يهوه بالهيكل ، فإن داود جاء واتخذ أورشليم عاصمة له ، ثم جاء سليمان وبنى الهيكل بها ، وتركرت عقيدة بنى إسرائيل حول الهيكل . واعتبر الهيكل مقر الإلهم الذي طالما دعاهم له الأنبياء والذي سموه « يهوه أو ياهوفا » . وكان تجديد الهيكل وتجسيمه وزخرفته من دواعي استجابتهم لهذا المعبود الذي طالما نفروا منه . وأصبح الهيكل في الواقع رمزاً لكل ما كان يدور بخلداهم من معبودات ، فهو ليس بعيداً عن الأحجار والأصنام ، وهو مسكن الأرواح ، وبه المذبح حيث رأس العجل الذي ذكرنا من قبل أن قائد سليمان قتل وهو ممسك بقرونه مستجيراً به (٢) .

وهكذا عندما نشأت الوحدة السياسية في أيام داود وسليمان ، وتركرت العبادة في الهيكل في أورشليم فأخذ الدين يردد أصداً التاريخ والسياسة ، وأمسى يهوه إله اليهود الأوحيد الذي يعلو على آلهة غيرهم من البشر (٣) ، ويعتقد الباحثون في تاريخ الأديان أن هذا الهدف الذي قال به اليهود لم يكن لغرض ديني وإنما كان لغرض دنيوي فكان القصد منه توحيد فكر اليهود لتثبيت دولتهم والمحافظة عليها (٤) .

(١) صموئيل الأول : ١٩ : ١٠ - ١٦ .

(٢) الملوك الأول : ٢ : ص ٣٤٣ .

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٤٣ .

(٤) أديان العالم الكبرى : لخصه عن الإنجليزية حبيب سميد ص ٨٩ .

وهكذا ارتبط اليهود بيهوه ، ولكن ما مدى هذا ارتباط ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تستدعى شرحاً طويلاً نوعاً ما . لنقطتين هامتين هما :

(أ) خصّ اليهود أنفسهم بيهوه ولم يسمحوا لغيرهم بعبادته أو الدخول في ديانتته .

(ب) اعترف اليهود لغير اليهود بآلهة يبدونها : بل لم يقنع اليهود في أكثر أحوالهم بيهوه وراحوا يعبدون آلهة هؤلاء ،

وفيما يلي مزيد من الشرح لهاتين النقطتين :

(أ) فعن النقطة الأولى نقرر أن الوصية الأولى من الوصايا العشر تساعد على هذا الفهم ، فيهوه فيها يقول : « أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي » (١) ففي هذه الوصية لم يقل يهوه إنه هو الإله الوحيد في العالم ، بل اكتفى بأن يقول إن بنى اسرائيل يجب ألا يكون لهم آلهة سواه (٢) ، فشعب اسرائيل لم يعرف الإله الواحد ، إله الخلق أجمعين ، لم يعرف هذا الإله ولم يعبدوه ولم يثبت على ميثاقه ، وإنما كان يعبد إلهاً يسميه إله اسرائيل ، ويحسب أن هذا الإله يميزه ويختاره على عامة الخلق لغير طاعة ولا إيمان ، ولا فضيلة ولا إحسان ، ولكنها وثيقة كتبها شعب اسرائيل على إلهه منذ انقادم ، وهذا الإله مسئول عنها كما يسأل المدين عن القرض ورباه لقد كان إلههم إله عشيرة واحدة يسميها عشيرته وشعبه وتسميه هي ربّتها وإلهها دون العالمين (٣) .

وتبعاً لذلك كان ممنوعاً على غير اليهود أن يُقبلوا في الجماعة اليهودية

(١) خروج ٢٠ : ١ - ٢ .

(٢) سليمان مظهر : قصة العقاد ص ٣٢ .

(٣) عباس العقاد ، ما يقال عن الاسلام ص ٣٠٧ .

وأن يدينوا بالولاء لرب بنى اسرائيل ، فقد نصت التوراة على ما يلي :
« لا يدخل عمونى ولا مؤابى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، لا يدخل
منهم أحد فى جماعة الرب الى الأبد » (١) . ويعلق الأستاذ محمد عزة
دروزة على هذا النص بقوله : إن الديانة اليهودية ليست ديناً تبشيراً
ولا إنسانياً عاماً ، وإن بنى اسرائيل كانوا يعتبرون الديانة ديانتهم والإله
خاصاً بهم ، وإن دخول غير اليهود فيها لم يكن تبشيراً بها ، وإنما كان
من باب السماح لمن يريد ... بنفسه وبدون دعوة — أن يدخل فى جماعة الرب
وفى بعض الحالات نرى الكتاب المقدس يسد باب الله ودينه أمام الناس
الى الأبد (٢) .

ديانة عنصرية :

واستكمالاً لهذه النقطة يجدر بنا أن نبيّن الى أى مدى كانت
اليهودية ديانة عنصرية ، فقد ورد فى كتاب « المطالعات فى الأديان العالمية »
أن ديانة اليهود ذات ارتباط بشعب معين ، كما يؤخذ من تسميتها
اليهودية أو العبرية ، وهى لهذا تشبه الهندوكية « ديانة الهنود » فى
أنها ديانة مغلقة أى ليست من ديانات الدعوة ، وليست إلا تعبيراً طبيعياً
لشعب خاص وجزءاً من ثقافة اجتماعية لا تقبل الغرباء (٣) ، والذى يقرأ
الأسفار كلها لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بنى اسرائيل كانوا
مأمورين بدعوة غيرهم الى ديانتهم ، وكل ما فى الأسفار من نص على كون
الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة ، وكون الرب ربهم الخاص (٤) ،
ويميل كثير من المفكرين اليهود الى مزيد من تضيق الدائرة ، فلا يعدّون

(١) تثنية ٢٣ : ٣ ويلاحظ فى النص أنه مرة يقول حتى الجيل العاشر ومرة
يقول الى الأبد .

(٢) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم : ج ١ ص ١٢٦ — ١٢٧ .

(٣) نقلاً عن « ما يقال عن الاسلام » ص ٥١ .

(٤) مجلد عزة دروزة . واسرائيل من أسفارهم ج ١ ص ٧٣ وتاريخ

العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على ج ٦ ص ٣٤٦ .

يهوداً إلا أولئك الذين يعيشون في فلسطين أو يعتبرونها وطنهم وإن بعدوا عنها للضرورة^(١) ، فاليهودية بهذا تتساوى مع الصهيونية التي سبق أن شرحناها في الباب الأول .

وقفل اليهود ديانتهم عليهم ، وأنفتهم من إشراك غيرهم في الانتساب إليها نوع من الأثنية والإحساس بالفضالى والامتياز ، يرفع قدرهم عن باقى البشر ويجعل من سواهم همجاً أو شبه أنعام « جوييم » ، أما أولئك الذين تسربوا الى اليهودية من غير بنى اسرائيل فسرعان ما عدّهم التفكير الاسرائيلى شعباً من بنى اسرائيل وأطلق عليهم لقب « اليهود » ، فكانهم ينحدرون من يهودا ، وبهذا اختلقت عندهم الديانة بالنسب .

وقد عاب العالم على ألمانيا النازية جانبها العنصرى واعتبارها الشعب الألماني أفضل شعوب البشر ، والصهيونية لا تختلف من قريب أو بعيد عن النازية في هذين الاتجاهين إن لم تزد عنها ، ويقول « أرنولد توينبى » إن أشهر الذين يزعمون أنهم شعب مختار هم اليهود ، فالحركات الصهيونية والنازية سواء في ادعاء هذه الصفة العنصرية ، وإن الحركة الصهيونية قد جمعت بين جنبها أسوأ ما في الحضارة الغربية من استعمار وقومية عمياء .

(ب) وعن النقطة الثانية يقول Berry : لم يكن لدى العبرانيين تصور للعالم ، ولهذا لم يصلوا الى تصور إله غير محدود ، ولقد كان عالمهم محدوداً وكان إلههم محدوداً كذلك^(٢) .

وكان الاسرائيليون يؤمنون بأن للشعوب آلهة أخرى ، ويوضح الكتاب المقدس أن بنى اسرائيل عبدوا أنواعاً من هذه الآلهة ، وقد ندد بها أرميا في سفره ، ومنه نقتبس بعض النصوص :

(١) سليمان مظهر : قصة العقائد ص ٢٢١ .

(٢) Religions of the World p. 31 .

— اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكلّ عشائر اسرائيل :
هكذا قال الرب : ماذا وجد فيّ آباؤكم من جورٍ حتى ابتمعدوا عني ،
وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا (١) ؟

— وحين تقولون لماذا صنع الرب إلها كل هذه ؟ أقول لكم :
انكم تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم (٢) .

— يقول الرب أَسْرِقُونَ وتقتلون وترنون وتحلفون كذباً وتُبَخَّرُونَ
البعل وتسيرون وراء آلهة أخرى (٣) ؟

— يقول الرب : إن آباءكم قد تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى .
وعبدوها وسجدوا لها ، وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوها ، وأنتم
أسأتم في عملكم أكثر من آباءكم ، وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد
قلبه الشرير حتى لا تسمعوا لي (٤) .

وعلى هذا فمع وجود الهيكل في عهد سليمان كانت عبادة آلهة
الأجانب منتشرة ، وينسب العهد القديم لسليمان نفسه أنه أقام مذابح
للآلهة الخارجية التي كانت تعبدها زوجاته الأجنبية (٥) ؛ فبنى مذبحاً
لعشتروت رجاسة الصيدنيين ، ولكموش رجاسة المؤابيين ، وملكوم إلهة
بنى عمون (٦) ، وعقب موت سليمان انقسم ملكه بين ابنه يربعام
ورحبعام وهذا التغيير في تاريخ العبرانيين ضحبه تفسير في عقيدتهم ،
فاسرائيل في الشمال كانت دولة غنية حظى سكانها بالاستقرار ، وقبلوا

(١) ارميا : ٢ : ٤ — ٥ .

(٢) ارميا : ٥ : ١٩ — ٢٠ .

(٣) ارميا : ٧ : ٩ — ١٠ .

(٤) ارميا : ١٦ : ١١ — ١٣ .

(٥) ول ديورانت قصة الحضارة ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٦) الملوك الثاني : ٢٣ : ١٢ .

عادات الكنعانيين وعبدوا إلهتهم (بعل) ، أما دولة يهوذا في الجنوب فكانت دولة فقيرة يشتغل سكانها بالزراعة والرعى وظلوا على تبعيتهم لإلههم يهوه ، إله الفقراء ، وإلى هذه الفترة ينسب الأنبياء (١) ، وقد صنع يربعام عجلين من ذهب ووضع أحدهما في بيت إيل وثانيهما في دان ، وبني عندهما مذابح وقال لشعبه : هذه آلهتكم التي أصعدتكم من مصر ، فاذبحوا وعبّدوا عندها ولا تصعدوا إلى أورشليم . فاستجاب له الشعب (٢) .

وقبيل عهد الملك يوثيا كان الهيكل مملوءاً بالمعبودات والأصنام التي تمثل بعل ومولك والشمس والقمر وكل أجناد السماء وكان الشعب يسجد لها ، وقد قام هذا الملك بكثير من الإصلاحات فدمر هذه المذابح وأخرج هذه الآلهة من الهيكل ، وكان يقصد بذلك أن يعيد الشعب إلى عبادة يهوه ولكن قليلاً من استجاب له (٣) .

وعن الملك أخزياً ابن الملك آخاب يقول الكتاب المقدس : وعمل أخزياً الشر في عيني الرب وسار في طريق أبيه وطريق أمه وطريق يربعام ، وعبد البعل وسجد له وأغاظ الرب إله إسرائيل ، حسب كل ما فعل أبوه (٤) .

ونما سلطان الكهنة وانتشرت التربية الدينية ، ولكن ذلك لم يكف لتحرير عقول العبرانيين من الخرافات والأوهام ومن عبادة الأوثان ، بل ظلت قتل القتل والحراج ماوى الآلهة الأجنبية ، ومشهداً للطقوس الخفية ، وظلت جماعات كبيرة من الشعب تسجد للحجارة المقدسة ، أو تعبد

(١) Berry : Religions of the World pp. 32-33.

(٢) الملوك الاول ١٢ : ٢٨ — ٢٩ .

(٣) أقرأ الاسحاح الثالث والعشرين من سفر الملوك الثانى .

(٤) الملوك الاول ٢٢ : ٥١ — ٥٣ .

بعل وعشترت ، أو تتنبأ بالغيب على الطريقة البابلية ، أو تقيم الأنصاب وتحرق لها البخور ، أو تركع أمام الحية النحاسية أو العجل الذهبي ، أو تملأ الهيكل بضجيج الحفلات الوثنية (١) .

٢ - يهوه بعد الهيكل :

هذه هي المرحلة الثالثة من مراحل عبادة يهوه . وقد حأجبت هذه المرحلة الأسر البابلي ، فقد فكر اليهود : أين يهوه الآن بعد أن تحطمت المدينة المقدسة وأحرق الهيكل ؟

لقد بدا لهم أن يهوه كان معهم في الأسر ، ولكن ألا يزال يهوه مع الذين تخلفوا منهم في فلسطين ؟ وآلم يسر يهوه مع من ساروا منهم إلا بلاد أخرى في الشمال والجنوب والشرق والغرب ؟ وكانت إجابتهم على ذلك بعيدة المدى في الفكر اليهودي ، فقد أصبحوا يعتقدون أن يهوه مع كل منهم أنسى كان ، ومعنى هذا أن يهوه في كل مكان (٢) ، وتعد تلك خطوة هامة في تاريخ العقيدة الاسرائيلية ، فإنها رفعت الإله عن أن يكون محدوداً في مكان لا يتعداه ، وتخطت به قيود التجسيم الى حد ما .

نداء الوحدانية عند أشعيا :

تلك هي مراحل الارتباط بين بني اسرائيل وبين إلههم يهوه . وفي خلال الأسر البابلي هب أشعيا بدعوة جديدة كانت تطويراً للمرحلة السابقة ، وتجد في هذه الدعوة ملامح الوحدانية الحقة ، إذ أخذ يتحدث عن إله لا عهد للأسفار به ، إنه الإله الواحد ، إله العالمين ، خالق الكون ورازقه ، المحب العطوف ، الذي لا يهوى التدمير ولا يجب

(١) ول ديورات قصة الحضارة : ج ٢ ص ٢٤٦ .

(٢) سليمان مظهر . تاريخ العقائد ص ٢١٧ .

لأدى ، وتبعاً لذلك هاجم أشعيا الأصنام ، وسفّه عبادتها ، تعال بنا
نورد فيما يلي فقرات من هذا السّفْر لتفصّل لنا هذا الاتجاه الجديد :

— أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض ، أنت صنعت السموات
والأرض ، إن ملوك أشور قد خرّبوا كل الأمم وأرضهم ، ودفَعوا آلهتهم
إلى النار ، لأنهم ليسوا آلهة ، بل صنعة أيدي الناس ، خشب " وحجر " ،
والآن خلّصنا يارب لنعظّم ممالك الأرض أنك أنت الرب وحدك (١) .

— هو الله الجالس على كرة الأرض ، الذي ينشر السموات كسرادق
ويبسّطها كخيمة للسكن ، الذي يجعل العظماء لا شيئاً ، ويمصّر قضاة
الأرض كالباطل ، فبمن تشبّهون الله فيساويه (٢) ؟

— هكذا يقول الرب خالق السموات وناشرها ، باسط الأرض ورازقها ،
معطي الشعب عليها نسمة ، والساكّنين فيها روحاً ... أنا الرب هذا
اسمى ومجدى ، لا أعطيه لآخر (٣) .

— أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري ، وكل شيء أنا أعلم به ...
أنا الرب صانع كل شيء ، ناشر السموات وحدي ، باسط الأرض ، مَنْ
معى ؟ مبطل آيات المخادعين ، ومحمقّ العرّافين ، مرّجع الحكماء إلى
الوراء ومجّهل معرفتهم ، مقيم كلمة عبّده ، ومتمم رأى رسّله (٤) .

— أنا الرب وليس آخر ، لا إله سواي ، أنا الرب وليس آخر ،
مصدر النور وخالق الظلمة ، صانع السلام ... أنا صنعت الأرض
وحققت الإنسان عليها (٥) .

(١) أشعيا ٣٧ : ١٦ — ٢٠ .

(٢) أشعيا ٤٠ : ٢٢ — ٢٥ .

(٣) أشعيا ٤٢ : ٥ — ٨ .

(٤) أشعيا : ص الإصحاح ٤٤ .

(٥) أشعيا الإصحاح ٤٥ .

— أنا الأول وأنا الآخر ، ويدي أسست الأرض ويميني نشرت
السّموات . أنا أدعوهم فيقفن معاً (١) .

وقد سبق أن تحدثنا عن أشعيا ودعوته للمسألة ، وامتداحه لقورش ،
وحشه بنى قومه على الطاعة له (٢) ، وقد اتّهم من أجل هذا بأنه
خائن لوطنه . وهناك بعض المفكرين يربطون بين اتجاه أشعيا السياسى
واتجاهه الدينى ، ومن هؤلاء ول ديورانت الذى يقول (٣) : وهل الذى
أوحى الى هذا النبى فكرة وجود إله واحد للكون كله هو نهضة
الفرس ، وانتشار قوتهم ، وإخضاعهم دول الشرق الأدنى كلها . وجمعها
فى وحدة إمبراطورية أوسع رقعة وأحسن حكماً من أى نظام اجتماعى
عرفه الناس من قبل ؟ وإذا كان بنو اسرائيل سيكونون قطعة من هذا
الملك الواسع فإنه لا يمكن أن يكون لهم إله وحدهم وللحاكمين الفرس
إله سواه . فإذا كانت هناك امبراطورية واحدة فليكن هناك إله واحد .

ولكن دعوة أشعيا للتوحيد على كل حال لم تجد إلا قليلا جداً
من الآذان الصاغية .

اليهود والالوهية عموماً :

على أن مسألة الألوهية كلها ، سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد ،
لم تكن عميقة الجذور فى نفوس بنى اسرائيل ، فقد كانت المادية والتطلع
الى أسلوب نفعى فى الحياة من أكثر ما يشغلهم ، وإذا تخطينا عدة قرون
فإننا نجد الفكر اليهودى الحديث يجعل لليهود رباً جديداً كذلك ،
ذلك هو تربة فلسطين ، وزهر برتقالها ، والذى يقرأ رواية (طوبى للخائفين)
للكاتبة اليهودية يائيل ديان ابنة القائد الصهيونى العسكرى موسى ديان ؛

(١) أشعيا الاصحاح ٤٨ .

(٢) أشعيا ٤٤ : ٢٨ .

(٣) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٦٤ .

يجد أحد أبطالها (إيفرى) ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسة ، وأن يحوّل اهتمامه لإلهه الجديد : تراب فلسطين ، ونقتبس فيما يلي سطوراً من هذه الرواية :

عندما عاد الصبي من المعبد الذى لا يذهب إليه إلا القليلون ، ثار أبوه فى وجهه بحديث له مغزى عميق ، قال له : أيام زمان حين كنا يهوداً فى روسيا وغيرها ، كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ، ونحافظ على ديننا . فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لتعاون وتتعاطف ونزود عنا الردى ، أما الآن فقد أصبح لدينا شىء أهم ، هو الأرض ، أنت الآن اسرائيلى ولست مجرد يهودى ، إبنى قد تركت فى روسيا كل شىء ، ملابسى ومناعى وأقاربى وإلهى ، وعثرت هنا على رب جديد ، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال ، ألا تحس بذلك ؟ وأخذ إيفرى حفنة من تراب الأرض وسكبها فى كف ابنه ، وقال له : امسك هذا التراب ، اقبض عليه ، تحسه ، تذوقه ، هذا هو ربك الوحيد ، إذا أردت أن تصلى للسماء فلا تـصـل لها لكى تسكب الفضيلة فى أرواحنا ، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا ، هذا هو المهم ، إياك أن تذهب مرة أخرى الى المعبد (١) .



وبعد ، فهذه قصة الإله عند اليهود ، وهى واضحة الدلالة على أن اليهود لم يعرفوا الإله الحق فى أكثر تاريخهم ، وهم الآن يتخذون تراب فلسطين إلهاً لهم ، إن تراب فلسطين رمز المادة التى تحكمت فى الفكر اليهودى على مر التاريخ .

(١) يائيل ديان : طوبى للخاتنين .

الآخرة والبعث

تهتم اليهودية بالأعمال ولا تُعنى بالإيمان ، وهي في جوهرها أسلوب حياة لا عقيدة تُعتَقَد ، وهي في هذا تختلف عن المسيحية التي تعنى بالإيمان وتجعله يفوق العمل الصالح ، فالأتجاه الخلقى عند اليهود في التصرفات اليومية أهم من الاعتقاد السليم ^(١) ، وتختلف اليهودية عن المسيحية كذلك في مجال تفكيرها فمجال اليهودية ليس فيما وراء هذا العالم ، ذلك الذي لن يقدر الإنسان العائش هنا على الأرض أن يدركه ، وإنما مجالها الأوحده هو هذا العالم الحاضر ^(٢) ، وفي دائرة المعارف العبرية يقرر كوهلر أن اليهودية ليست عقيدة أو نظاماً من العقائد يتوقف على قبولها الفداء أو الخلاص في المستقبل ، ولكنها نظام للسلوك البشري ، وناموس البر الذي يتحتم على الإنسان اتباعه ^(٣) ، ويقرر الفكر اليهودي بناء على ذلك ، أن الجزء يكون حسب الأعمال لا حسب الاعتقاد « أشهد السموات والأرض على أنه سواء كان المرء يهودياً أم وثنياً ، رجلاً أم امرأة ، حراً أو مقيداً ، فإنه سينعم بالجزاء حسب أعماله دون سواها » ^(٤) .

ولما كانت اليهودية دين أعمال لا دين إيمان ، فمن الواضح تبعاً لذلك ألا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب ، فتلك أمور نتوقف على العقيدة ، ولهذا فقلما يشير اليهود الى حياة أخرى بعد الموت . ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود . وكان الثواب والعقاب يتم في الحياة الدنيا ، ولم تدرّ فكرة البعث في خلد اليهود ، إلا بعد أن فقدوا الرجاء في

Berry : Religions of the World p. 35. (1)

(٢) اديان العالم الكبرى لخصها عن الإنجليزية حبيب سعيد ص ٨٨-٨٩ .

Judism The Jewish Encyclopaedia (٣)

(٤) في الفكر اليهودي ص ٣١ .

أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض . ولعلمهم أخذوا هذه الفكرة عن الفرس ، أو لعلمهم أخذوا شيئاً منها عن المصريين ، ومن هذه الخاتمة الروحية ولدت المسيحية (١) . هذا ليس معنى بردس ، دونه

والدارس للكتب الاسرائيلية يجدها تسير مع الفكر الذي أوضحناه آنفاً ؛ فهي لم يرد فيها شيء عن البعث واليوم الآخر . وإنما ورد بها حديث عن الأرض السفلى والجبّ التي يهوى إليها العصاة ولا يعردون « وإن الذي ينزل الى الهاوية لا يصعد » . ويقول Arthur Hertzberg إن الكتاب المقدس نفسه يحدّد الحياة الدنيا وحدها هي عالم الإنسان ، وليس هناك اعتقاد بعد ذلك في بعث ، وجنة أو نار (٢) .

ومرّ الزمن واحتل الفرس بلاد بابل ودولتي اليهود . ووقع الأسر البابلي ، ثم سمح قورش ملك الفرس لليهود بالعودة الى فلسطين وإعادة بناء معبدهم ، وكانت هذه العلاقة الطيبة بين الفرس وبين اليهود داعية لأن يدرس اليهود الديانة الزرادشتية ديانة الفرس ، ومن تعاليم هذه الديانة اقتبس اليهود الاعتقاد في حياة أخرى بعد الموت ، ولأول مرة عرفوا أيضاً أن هناك جنة ونارا فنقلوا ذلك الاعتقاد الى دينهم (٣) ؛ وفي هذا الجو بدأ أتسعا كلامه الذي يشير الى يوم البعث والى الحساب والجزاء ، كما أخذ دانيال يحذر الناس ويذكرهم بيوم البعث ، ومن قوله في ذلك : « كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء الى الحياة الأبدية وهؤلاء الى العار ، الى الازدراء الأبدى » (٤)

على أن اليهود عندما تكلموا عن الآخرة ، لم يكونوا في أكثر الأحوال يعمنون ما تعنيه الأديان الأخرى من وجود دار للحساب على ما قدم

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٢) Judaism p. 205.

(٣) سليمان مظهر قصة العقائد ص ٢١٨ .

(٤) دانيال : ١٢ : ٢ .

الإنسان في حياته الأولى ، إنما كانوا يعنون بها شيئاً آخر ، فالشعب اليهودي عند الباحثين اليهود قسمان . قسم عاش حياته الدنيا سعيداً حراً وهؤلاء يعدهم الفكر اليهودي قد حصلوا على الجانب المادي من رضا إليهم ، أما القسم الآخر وهم الذين فقدوا هذا الجانب وعاشوا تحت سلطان الجوييم أو عاشوا في المنفى مشردين فهؤلاء يرى الفكر اليهودي أن من حقهم أن يعودوا للحياة مرة أخرى لينالوا نصيبهم من المتعة أو النعيم (١) .

وعلى العموم فإن فكرة البعث لم تجد لها أرضاً خصبة في عالم اليهود ، وقد حاول بعض طائفة الفرّيسين القول بها ، ولكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة ، أما باقى الفرق اليهودية فلم تعرف عنها شيئاً (٢) .

Guignebert : The Jewish World in the Time of Jesus (1)
p. 117.

Ibid p. 120. (2)

التابوت الهيكل

إن دراسة التوراة يمكن أن تعطينا صورة واضحة عن التابوت والهيكل ، لعل أهم حديث نبدأ به عن التابوت هو ما ورد في سفر الخروج ونصه : « وقال الرب لموسى اصعد إلىّ ، إلى الجبل وكن هناك ، فأعطيك لَوْحَى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليم بني اسرائيل ... » (١) ، فصعد موسى إلى الجبل ، وهناك تلقى من الإله أوصافا للتابوت ، ويذكرها سفر الخروج مفصلة نجترى، منها ما يلي :
إنعرّف بهذا التابوت وصفته : « فيصنعون تابوتا من خشب السنط ، طوله ذراعان ونصف ، وعرضه ذراع ونصف ، وارتفاعه ذراع ونصف ، وتغشيه بذهب نقي ، من داخل ومن خارج ، وتضع عليه إكليلا من ذهب حوالبه : وتَسْبِكُ له أربع حلقات من ذهب ، وتجعلها على قوائم الأربعة ، على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثاني حلقتان ، وتصنع عصوين من خشب السنط ، وتغشيهما بذهب ، وتدخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت ، ليحمل التابوت بهما ، وتبقى العصوان في حلقات التابوت ، لا تَنْزَعَانِ وتضع في التابوت الشهادة التي أعطيك » (٢) وعلى غطاء التابوت يوجد طائران لم ير الناس مثلهما ، وينسب لموسى القول بأنه رأى هذا النوع من الطيور بالقرب من عرش الله ، وحراسة التابوت موكولة لهذين الطائرين (٣) .

وتذكر التوراة أن موسى نزل من الجبل ولَوْحَا الشهادة في يده ، لوحان مكتوبان على جانبيهما ، من هنا ومن هنا كانا مكتوبين ، واللوحان هما صنعة الله ، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين (٤) .

(١) خروج ٢٤ : ١٢ .

(٢) خروج ٢٥ : ١٠ - ١٥ .

(٣) James Hosmer : The Jews p. 16 .

(٤) خروج ٣٢ : ١٥ - ١٦ .

ويتصل بالتابوت شئ، يجدر بنا أن نتكلم عنه كلمة قصيرة ، ذلك هو المذبح المخصص لإيقاد البخور ، ويورد العهد القديم وصفاً مفصلاً له فيصفه بأن يكون طوله ذراعاً وعرضه ذراعاً وارتفاعه ذراعين ، وأن يصنع من خشب السنط ويغشى بذهب نقى سطحه وحيطانه . ويوضع قدام الحجاب الذي أمام تابوت الشهادة : ويوقد عليه هارون بخوراً عطراً كل صباح ، حين يصلح السرج ، وحين يصعد هارون السرج في العشية ، يوقده . بخوراً دائماً أمام الرب . ويصنع هارون كفارة على قرونيه مرة في السنة من ذبيحة الخطية التي للكفارة (١) .

وتروى المراجع التي بين أيدينا ، أن بنى اسرائيل صنعوا التابوت على صفاته تلك . وأن موسى وضع اللوحين في التابوت ، كما وضع فيه ذهباً وفضة وبعض المواثيق ، وسماه تابوت العهد ، وقال لبني اسرائيل : إنه في هذا السقف توجد روح الإله يهوه . ولم يكن يسمح لأحد أن يمسّه (٢) ، وإنما كان يحمل عن طريق العصوين سالفى الذكر ، ولما مسّه عزة الصالح ، بأن مد يديه الى التابوت ليمنعه من السقوط على الأرض وأمسكه لحظة قصيرة ، غضب الرب على عزة ، وضربه الرب هناك لأجل أنه يمد يده الى التابوت فمات هناك أمام الله (٣) ، ويبدو أن قادة بنى اسرائيل كانوا يحتفظون في التابوت بأعلى ما يملكون من ثروات ، ويوهمون الناس أن مَنْ مسّه مات ، ليضمنوا نجاة هذه الثروات ، بدليل أن العرب في إحدى جولاتهم أخذوا التابوت من بنى اسرائيل ، ولم يمت أولئك الذين أخذوه .

ويرى غوستاف لوبون (٤) أن تابوت العهد اقتباس من الفكر المصرى الذى كان به نظائر لهذا التابوت المقدس ، وقد ظل الاعتقاد في

(١) خروج ٣٠ : ١ - ١٠ .

(٢) سليمان مظهر : قصة العقائد ٣٠٣ و ٣٠٦ .

(٣) صموئيل الثانى ٦ : ٧ .

(٤) اليهود فى الحضارات الاولى ص ٦١ - ٦٢ .

عُدسية هذا التابوت حتى عهد أرميا الذي أخذ يتكلم عن إله روحاني .
ووضع من شأن التابوت وقال عنه : لا يعودون يقولون تابوت عهد الرب .
ولا يخطر لهم ببال ، ولا يذكرونه ولا يفتقدونه ، ولا يصنع من بعد .

ذلك حديد يكف لنا سر التابوت . وبقي بعد ذلك أن نتحدث
عن الهيكل . وأن نربط التابوت بالهيكل . وقد سبق أن ذكرنا أن داود
اتخذ مدينة أورشليم عاصمة للكهنة . ويتص سفر أخبار الأيام الأول .
أن داود جمع رؤساء إسرائيل ورؤساء الفرق الخادمين للملك . ورؤساء
الألوف ورؤساء المئات ، ووقف على رجليه وخطب فيهم قائلاً : اسمعوني
يا إخوتي وشعبي ، كان في قلبي أن أبني بيت قرار لتابوت عهد الرب ،
ولوطىء قدمي إليها ، وقد هيأت للبناء . ولكن الله قال لي : لا تبني
بيتاً لاسمى إنما اختار سليمان ابني ليجلس على مملكة الرب بعدى ،
وقال لي إن سليمان ابنك . هو يبني لي بيتي وداري ، لأنني اخترت له لي
ابناً وأنا أكون له أباً (١) ؛ وقال داود الملك لكل الجمع ؛ إن سليمان ابني
صغير وغض . والعمل عظيم لأن الهيكل ليس لإنسان بل للرب الإله :
وأنا بكل قوتي هيأت لبيت إلهي الذهب والفضة والنحاس والحديد
والخشب وحجارة الجزع وحجارة الترصيع ، وحجارة كحلاء ، ورقماء ،
وكل حجارة كريمة ، وحجارة الرخام بكثرة (ويذكر الإصحاح
مقادير هائلة وأوزاناً عظيمة من هذه المواد) ثم يحث داود الشعب أن
يباركوا الرب إلههم وأن يسهموا بما يستطيعون من مال في بناء هذا
الهيكل (٢) . وتقول الرواية إنهم تبرعوا بخمسة آلاف وزنة من الذهب ،
وبضعفها من الفضة ؛ وبكل ما يحتاج إليه الهيكل من الحديد والحجارة ،
وقام سليمان ببناء هذا الهيكل الذي تُوردُ عنه المراجع اليهودية وصفاً
مفصلاً ؛ بما يحوى من أروقة وبيوت وخزائن وغرف ومخادع ، وبما به

(١) أخبار الأيام الأول الإصحاح الثامن والعشرين

(٢) أخبار الأيام ٢٩ : ١ - ٣ .

من أمتعة وموائد وكئوس وأقداح ومذابح . ولعل من الأوفق أن نقتبس سطوراً قليلة عن وصف هذا الهيكل من سفر الملوك الأول . فقد جاء فيه ما يلي : فبنى سليمان البيت وأكمّله وبنى حيطان البيت من الداخل بأصلاع أرزٍ من أرض البيت الى حيطان السقف ؛ وغشّاه من داخل بخشب . وقرش أرض البيت بأخشاب سرور ، وبنى عشرين ذراعاً من مؤخر البيت بأصلاع أرزٍ من الأرض الى الحيطان . وبنى داخله المحراب أى قدّس الأقداس وهياً محراباً في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب ؛ وأقام تماثيل للمكين يحرسان قدس الأقداس ؛ وغشّى المحراب بذهب خالص وغشّى المذبح بأرزٍ . وغشّى سليمان البيت من الداخل بذهب خالص ؛ وسدّ بسلاسل ذهب قدام المحراب (١) .

ويقول ول ديورانت : إن طراز الهيكل هو الطراز الذي أخذه الفينيقيون عن مصر وأضافوا إليه ما أخذوه عن الآشوريين والبابليين من ضروب التزيين . ولم يكن هذا الهيكل كنيسة بالمعنى الصحيح . بل كان سياجاً مربعاً يضم عدة أجنحة ، ولم يكن بناؤه الرئيسي كبير الحجم ، فقد كان طوله حوالي مائة وأربع وعشرين قدماً ، وعرضه حوالي خمس وخمسين وارتفاعه حوالي اثنين وخمسين (٢) .

وقد اختير لتشييد الهيكل مكان "فوق ربوة" ، ولكن سائر أجزاء الهيكل لم يبق منها الآن شيء على الإطلاق (٣) .

أما بناء الهيكل فقد جلبهم سليمان — كما سبق القول — من حليفه ملك حرام ، إذ كان اليهود لا يعرفون فن الهندسة والعمارة ، وكانوا كذلك

(١) الملوك الأول ٦ : ١٤ — ٢١ .

وانظر : A History of the Jewish People by Margolis and Marx p. 49-50.

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٢٥ .

(٣) المرجع السابق .

يجهلون ألوان الفنون الأخرى ، لبدأوتهم ولأن موسى حرم عليهم التصوير والنحت حتى لا يخلقوا أشياء تناظر ما خلقه الله (١) ثم يعبدوها .

ويقول ول ديورانت عن الهيكل :

يعدّ بناء الهيكل أهم الأحداث في ملحمة اليهود ، فإنه لم يكن بيتاً ليهوه فحسب ، بل كان أيضاً مركزاً روحياً لليهود . وعاصمة للكهننة . ووسيلة لنقل تراثهم ، وذكرى لهم . يتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض . ولقد كان له فوق ذلك شأن في رجع الدين اليهودي من دين بدائي متعدد الآلهة إلى عقيدة راسخة غير متسامحة (٢) .

ولما تم بناء الهيكل جمع سليمان شيوخ إسرائيل ، وحمل الكهنة تابوت عهد الرب وأدخلوه إلى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس . تحت جناحي الكروبيين (٣) .

وأصبح الهيكل منذ ذلك الحين المكان الوحيد الذي تقدّم عنده القرابين وكانت القرابين من قبل تقدّم لرب إسرائيل في هياكل محلية ، أو هياكل ساذجة فوق التلال (٤) .

ودخول الهيكل لم يكن مباحاً للجميع ، وإنما كان مقصوراً على الكهنة : أما قدس الأقداس (المحراب) فلا يفتح إلا مرة في العام ولا يدخله إلا كبار الكهنة (٥) .

Hosmer : The Jews p. 72. (١)

(٢) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٣٨ .

(٣) الملوك الأول ٨ : ١ - ٦ .

(٤) الملوك الأول ٣ : ٢ .

Margolis and Marx : A History of the Jewish People p. 64. (٥)

وانظر كذلك : The Jewish World in the Time of Jesus by Guignebert p. 57.

الكهنة والقرايين

تحدثنا عن الأنبياء في الفكر اليهودي . وذكرنا أنهم طبقة ظهرت بين اليهود وادّعت الوحي والنبوة ، وقال كل منهم إنه تلقى كلمة الرب ، وذكرنا تنديد بعضهم ببعض . ورؤى بعضهم بعضاً بالكذب والشعوذة وقرآنا هنا - ونحن نتحدث عن الكهنة - في حاجة إلى أن نوضح الصلة بين الأنبياء والكهنة ، فهؤلاء ، وأولئك يدعون الوحي ، ويقدمون النصح . ولكن كان هناك فرق واضح بين المجموعتين . فقد ظل الأنبياء يعيدون عن المعابد والخطط الدينية الرسمية ، غير مرتبطين بتقاليد ، وكان جل اتجاههم أن ينعوا على الأغنياء غناهم . فأصبحوا كما يقول Wells الناصحين غير الرسميين للناس في الشؤون العامة والناعين عليهم الخطايا والتصرفات الغريبة (١) . وكانت تظهر أهمية الأنبياء مع كثرة المصائب والأحوال التي كانت تنزل ببني اسرائيل ، ولم تكن أعمال الأنبياء ذات صلة بالهيكل أو القرايين . ولم يكن أحد يعيّن الأنبياء . ولا كانوا يختارون من سبط محدد . ولم تكن هناك تقاليد يمرّون بها ليصلوا للنبوة ، وهم في كل هذا يخالفون الكهنة ، وكثيراً ما كانوا يهاجمون الكهنة ، وأحياناً كانوا ينتقدون الملوك وينعون عليهم الترف والملاذ ، وكان الكهنة يحققون عليهم تدخلهم في الشؤون الدينية ، وأنهم يدعون أنهم يوحى إليهم ، إذ كان الكهنة يحاولون أن تكون لهم وحدهم هذه المواقف ، وليس الخلاف الذي حدث بين عيسى وكهنة الهيكل إلا حلقة من حلقات خلاقات مماثلة بين الأنبياء والكهنة .

ونجى الآن إلى الكهنة لنقرر أنهم كانوا من أبناء ليفى أحد أبناء يعقوب ، وما كان من الممكن أن يكونوا من غير هذا الفرع ، وللوصول إلى الكهنوتية كان الواحد منهم يمر بتدريبات وتقاليد يعرف خلالها الطقوس والأسرار الدينية ، ويبرهن على استحقاقه لهذا المنصب الخطير ، وكان لهم وحدهم حق تفسير النصوص ، ولم تكن القرايين مقبولة إلا اذا

قدّمت على يد أحد الكهنة ، وكانوا معفون من الضرائب ، وتقدم لهم العشور من نتاج الضأن ، ويأخذون ما بقي في الهيكل من القرابين ، وقد جمعوا بذلك أموالاً ضخمة وثراء عظيماً . رامتازت ثروتهم بأن عدت مقدسة ، وشخصياتهم بأن كانت الوسيلة إلى الله ، وبذلك أصبحوا في كثير من الأحوال أقوى من الملوك أنفسهم .

وقد عقد Guignebert فصلاً عن المجمع الكهنوتي الذي يدبر شؤون اليهود (١) . ونقتبس منه ما نحتاجه في هذا البحث :

كان يتكوّن من كبار الكهنة مجلس " يبحث الشؤون الكبرى التي تهتم اليهود ، ويرى بعض الباحثين أن هذا المجلس امتداد " للمجمع الذي أمر يهوه موسى أن يكوّنه من سبعين من كبار اليهود ليلتقى بهم يهوه في خيمة الاجتماع (٢) . ولا يوافق Guignebert على هذا الرأي ويرى أن الفرق كبير بين مجمع موسى الذي كان يمثل القبائل والسلطات وبين مجمع الكهنة الذي نتحدث عنه ، والذي كان يمثل طائفة من العلماء والمفكرين من أبناء ليفى . ويرى هذا المؤرخ أن مجمع الكهنة يرجع إلى عهد الضغط اليوناني والروماني ، وما انفجر عن ذلك من ثورات يهودية ، وقد رأى القائمون بهذه الثورات أن من الضروري أن يكون لهم مجلس يدبّر أمر هذه الثورات ويرعى مصالح اليهود (٣) ، وعضوية هذا المجلس تمتد مدى الحياة ، أما طريقة اختيار أعضائه فإنها غير واضحة ، ولم يكونوا في مستوى واحد من حيث مكانتهم ، بل كان منهم أعضاء لهم نفوذ واسع وتأثير كبير على الآخرين (٤) .

The Jewish World in the Time of Jesus pp. 50-59. (١)

(٢) سفر العدد ١١ : ٦ .

(٣) Guignebert p. 56.

(٤) The Jewish World in the Time of Jesus p. 62.

وسلطان هذا المجلس الأدبي ، كان يمتد إلى حيث يقيم اليهود في كل البقاع ، أما سلطانه المادى فكان ينكمش وينبسط حسب الظروف .

وكان هذا المجلس يبحث في كل الشؤون التى لها علاقة بالدين ، فهو يضع قوانين المعاملة ، وقوانين الزواج والطلاق . ويحدد الأعياد ومواعيدها ، ويحارب الهرطقة ، وما إلى ذلك من مشكلات اليهود . وكان هذا المجلس يقوم بدور الوساطة أحيانا إذا جد نزاع بين طائفتين من اليهود ، وكان يحكم في القضايا الجنائية الكبرى . وله أن يحكم بالإعدام على الهرطقة ، بشرط موافقة الحاكم الرومانى ، وقد قضى هذا المجلس بإعدام عيسى ، ولكنه احتاج لموافقة هذا الحاكم (١) ، وبذلك كان هذا المجلس سلاحاً حاداً في يد طبقة الكهنة ، وطالما استعمله هؤلاء لبسط نفوذهم على اليهود وإملاء كلمتهم ، وبواسطة هذا السلاح أصبحوا يأمررون وينهون ، ويحرّمون ويحللون ، ولم يقنعوا بمدى سلطانهم على المسائل الدينية فقط . بل راحوا يحوّلون كل مشكلات الحياة إلى مسائل دينية ، وبذلك أخضعوها إلى سلطانهم (٢) .

ولم يكن هذا هو كل نفوذ الكهنة على الشعب . فبجانب هذا المجلس كان الكهنة هم رعاية المعبد وخدمة ، وقد حقق لهم هذا الوضع امتيازاً دينياً وإدارياً ، فالكاهن الأعظم استمتع بسلطة عظيمة ليس فقط في الأمور الدينية ولكن في الأمور المادية أيضا ، وبخاصة في عهد كانت الحدود بين السياسة والدين غير واضحة ، وعن طريق هذا النفوذ طالما أصبح الكاهن الأعظم ملكاً متوجاً (٣) .

وكان الكاهن الأعظم يُختار من أعظم فروع أسرة ليفى . وبهذا يضى على جماعته مجداً وعظمة ، مما يجعلها تدعى سلطته وتقوى

(١) يوحنا ١٨ : ٢٠ ، وانظر كتاب المسيحية لللف و Guignebert p. 54.

(٢) Guignebert pp. 55-56.

(٣) Ibid p. 56.

نفوذه . وتحرص على بقائه في هذا المنصب ، إذ كان ضياع هذا المركز منه كثير التأثير على أمنهم وراثتهم (١) .

أما القرابين فكانت تشمل الضحايا البشرية ، فكان الإنسان يقدم مع القرابين الأخرى من الحيوان والثمار ، واستمر الأخذ بهذه العادة فترة طويلة امتدت إلى عهد الانقسام حيث قدم الملك أخاذ ابنه قرباناً للآلهة (٢) ، ومن قدموا ضحايا للآلهة أيضاً ابنه جفثة (Jephthah's daughter) (٣) ، ثم اكتفت الآلهة بجزء من الإنسان ، بدلاً من أن يضحى بالإنسان كله ، وكان هذا الجزء هو ما يقتطع في عملية الختان ، وقد بقيت عملية الختان رمزاً للتضحية ، وبقي مع جزء الختان الحيوان والثمار ، فأصبح يضحى بالبقر والحراف أو ببواكير الثمار ، تحرق أمام المعبد مع الجزء الذي يقطع في الختان ، وكانت القرابين عبارة عن هدية يتقرب بها الشخص للاله ، رجاء قضاء حاجة يريد بها ، وكانت أحياناً للشكر والاعتراف بعون حصل عليه الشخص قبل تقويمها (٤) .

وكانت القرابين هي الحدث اليومي عميق الصلة بالمعبد ، وكان يقدم قرباناً في الصباح وآخر في المساء ، وكان يصحب القرابين احتفالاً طويلاً وشعائراً يقوم بها الكهنة ، وكثيراً ما كان أفراد من الشعب يقدمون قربانين خاصة بجوار القرابين سالفه الذكر ، وفي السبت وأيام الأعياد كانت هناك قرابين إضافية ، واحتفالات دينية أوفى وأشمل ، وكان تقديم القرابين ليهوه ، دليلاً على الارتباط بين الشعب والاله ، ودليلاً على وجود يهوه بين الشعب (٥) .

The Jewish World in the Time of Jesus p. 57. (1)

(٢) الملوك الثاني ١٦ : ٣ .

Charles Foster Kent : A History of the Hobrew People (٣)

p. 96.

Berry : Religions of the World p. 31. (٤)

Guignebert : The Jewish World in the Time of Jesus (٥)

pp. 60-61.

ويذكر الباحثون أن تقديم القرابين كان مرحلة من مراحل الرقى عند اليهود ، فقد كانوا من قبل يلجئون للسحرة والعرافين ، ولكن الكهنة قاوموا هذا الاتجاه فيهم ، ودعوا الناس ألا يعتمدوا إلا على قوة واحدة ، هي قوة القرابين والصلوات والتبرعات ، وكان المعتقد أن القرابين تكفر ذنوب الناس وتمحو خطاياهم إذا باركتها يد الكاهن (١) .

وانتطور في نوع القرابين الذي ذكرناه آنفاً كان نتيجة للتطور في الفكر اليهودي عن الإله ، فقد كان يهوه في بادئ الأمر إلهاً يحب الدم . وكانت اليهودية دين فزع وذعر وخوف ، ولم يكن يطفأ حقد الإله إلا بالدم المسفوك ، فلما ترققت فكرة اليهود عن الإله ، وقالوا بإله براءً وصالح ، أصبح هذا يكتفى بالختان بدل الإنسان ، كما يكتفى بالحيوان والثمار ، وكان بعض بنى إسرائيل يثورون أحياناً على الطقوس والقرابين والعبادات الشكلية بالمعبد . ولكن أكثرهم على كل حال ظلوا خاضعين لها أطول فترات تاريخهم ، ومما ساعد على تقليل الثقة بالمعابد قبل بناء الهيكل تبادل التكذيب والتحقير بين معبد ومعبد في المنافسات الشديدة . فكانت هذه كلها مؤثرات تحاول أن تفك عقال أذهان الناس ، وتفتح أمامهم آفاقاً أكثر سعة ، وأشد حرية من النظرة الدينية ، وكانت الكنوز الذهبية الضخمة بالمعبد تجذب الناس في عهد من العهود ، وتفعل فعلها السحري في نفوس السذج ، ثم أصبحت هذه الكنوز نفسها عاملاً من عوامل التراخي في العبادة ، فما كان الجائع يستطيع أن يمسك بطنه ويخضع لثراء الأثرياء ، بعد أن تفتتح ذهنه بعض الشيء .

ومما أضعف نظام الكهنة كذلك ، قيام المركزية الدينية ببناء الهيكل ووضع التابوت به ، فأصبح هناك معبد واحد ومجموعة واحدة من الكهنة ،

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٢٢٩ .

ونظر بعض الكهنة فوجدوا أنفسهم قد فقدوا كل سلطان لهم فحقدوا على هؤلاء الذين لم يفقدوا مكانتهم ، وأخذ كل منهم يقلل من مكانة الآخرين .

وهكذا وضع كهنة اليهود أنفسهم بين الناس وبين الله ، فلم تكن تقبل توبة ولا قرابين إلا إذا باركها الكاهن ، فقد كان مفتاح السماء في يده ، وهذا التصرف كان من أهم العيوب التي جاء المسيح لمخارتها ، ولكن المسيحية — للأسف — سرعان ما سارت في نفس الطريق بعد المسيح ، فقام القسيس يمثلون نفس الدور الذي مثله كهنة اليهود من قبل (١) .

الشعب المختار والمسيح

يقول الدكتور هربرت لوى اليهودى ، أستاذ اللغة العبرية بجامعة اكسفورد : إن اليهودية تقوم على أساسين هما وحدانية الله واختيار إسرائيل (١) ، وقد سبق أن تحدثنا عن الوحدانية عند اليهود ، وتكلم الآن عن الأساس الثانى ، غير وى أن يهوه قطع وعداً لإبراهيم بأن يفضّل الشعب اليهودى جميع الأجناس (٢) . وجاءت النصوص الآتية فى التوراة :

— أنا الرب إلهكم الذى ميزكم عن الشعوب . تكونون لى قديسين لأنى قدّوس . أنا الرب وقد ميّرتكم من الشعوب لتكونوا لى (٣) .

— إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك ، إيتك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم ، ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياكم . وحفظه القسم الذى أقسم لأبائكم (٤) .

وبالغ التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون — وسنتكلم عنهما فيهما بعد — فى تبيان أفضلية اليهود واختيارهم ، فذكرا أن الفرق بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وبين باقى البشر ، وقررا أن لليهود وحدهم الحياة الأبدية ، وأن أرواحهم من روح الله دون سائر الشعوب .

ما السبب فى كون اليهود شعباً مختاراً ؟

(١) سبق أن فصلنا القول فى الوحدانية والتعدد عند اليهود ، وهربرت لوى يهمل أطول فقرات التاريخ العبرى عندما يتناسى تعدد الآلهة عندهم .

(٢) Wells : The Outline of History Vol II. pp. 291. (٢)

(٣) لويون ٢٠ : ٢٤ — ٢٦ .

(٤) تثنية ٧ : ٦ — ٨ .

هناك عبارات اصطلاحية يذكرها اليهود للتعبير عن مصدر هذا الاختيار ، وهي عبارات تدعو للسخرية والضحك ، فالباحث Arthur Hertzberg يقرر أنه في سيناء عندما تجلى الله لموسى ولبنى اسرائيل تمّ "زواج" بين الله وبين اسرائيل ، وسُجِّل عقد الزواج بينهما ، وكانت السماوات والارض شهوداً لهذا العقد ، وفيما يلي نص كلمات هذا الباحث .

There are a number of examples in Jewish literature of «A msrrig contract» between God and Israel. with heaven and earth as witnesses(1).

ويرى اليهود أن الامتياز الذي حصل عليه الشعب اليهودي هو في الوقت نفسه مسئولية عليهم ، وعدم رعايتهم هذه المسئولية بأمانة وصدق جعلهم هدفاً للانتقام ، ولذلك فإنهم يفسرون ما نزل بهم من ضرراً بأنه عقاب لهم على عدم حملهم الأمانة وعدم سيرهم بمقتضى ما منحوه من امتياز وتفويض ، ويضيف مفكروهم - دفاعاً عما أصابهم من ويلات - أن اليهود لم يكونوا أكثر الناس خطايا ، ولا أبعدهم عن الصواب ، ولكن المصائب لحقت بهم أكثر من غيرهم لأن اختيارهم وتفضيلهم على سواهم ، كان يحتّم عليهم أن يكونوا أكثر طاعة وأكثر استجابة ، فلما عصوا كان عقابهم أقسى مما نزل بسواهم على نفس العصيان (٢) .

وقد سبق عند الحديث عن ديانة اليهود العنصرية أن أوضحنا أن الصهيونية والنازية تشتركان في ادعاء السيادة والامتياز على البشر . ونضيف هنا أن النازية أسست على أن الألمان عنصر ممتاز نقى يسمو على كل عناصر البشر ، وليس هناك من يضاهيه رفعةً وسماً ، ولما كانت هذه المبادئ نفسها هي مبادئ اليهود ، فإن صداماً ضخماً حدث بين

Judaism Ed. by Arthur Hertzberg p. 119. (1)

Ibid p. 13. (2)

الطائفتين ، لأن كلا منهما يدعى أنه أفضل من الآخر ، وفي مَثَلِ
السيادة بالنسبة له .

ونتج من طبيعة الاختيار عقيدة أخرى عند اليهود . هي عقيدة المسيح
المنتظر ، فإن اليهود وجدوا أنفسهم لآخرة البشر كما زعموا ، ولا صفوة
الخلق كما أمكوا ، بل لم يجدوا أنفسهم في نفس المكانة التي ينعم بها
الآخرون ، وإنما كانوا هدفاً للبلاء والنكبات . ومن هنا اتجه مفكروهم
في عصورهم المتأخرة إلى مخلص ومنقذ ينتشلهم من هذه الوعدة .
ويضعهم في المكانة التي أرادوها ، وأطلقوا على هذا المخلص « المسيح
المنتظر » . ووصفوه بأنه رسول السماء ، والقائد الذي سينال الشعب
المختار بهديه وإرشاده ما يستحقه من سيادة وسؤدد (١) . ويتضح
من الوصف الذي أورده Guignebert أن المسيح المنتظر ليس إنساناً
عادياً بل هو إنسان سماوي (Heavenly person) وكائن مُعْجِزٌ "خَلَقَهُ
الله قبل الدهور ، ويبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله ، وعندما
يُرْسِلُهُ الله يمنحه قوته ، وهو يحمل لقب « ابن الإنسان » أي أنه سيظهر
في صورة الإنسان (٢) وإن كانت طبيعته تجمع بين الله وبين الإنسان (٣) .

ونعلق على هذا الوصف بأن نقول إن المسيحيين اقتبسوه كله
وأسندوه إلى عيسى بن مريم (٤) .

وكلمة المسيح معناها المسوح « بزيت البركة » لأنهم كانوا يمسحون
به الملوك والأنبياء والكهنة والبطارقة ، وكانوا في مبدأ الأمر يرون المسيح
ملكاً فاتحاً مظفراً من نسل داود ، يسمونه ابن الله ، ويعتقدون أنه سيجيء
ليعيد مجد إسرائيل ، ويجمع أشتات اليهود بفلسطين ، ويجعل أحكام

The Jewish World in the Time of Jesus p. 140. (1)

Ibid p. 141. (2)

James Hosmer : The Jews p. 85. (3)

(٤) اقرأ كتاب المسيحية المُؤَلَّف .

التوراة ناغذة المفعول ، ولكنهم أحياناً أطلقوا كلمة المسيح على من يعاقب أعداءهم وإن لم يكن من نسل داود ، كما أطلقها أشعيا على قورش . ولما طال انتظارهم للمسيح الفاتح الغازي ، ولم يجيء فكروا أحياناً بأن يجيء المسيح بمصالح اجتماعيا عادلاً وديعاً (١) .

وقد سبق أن قلنا إن فكرة المسيح برزت في الفكر اليهودي في وقت متأخر ، ومراجعة الكتاب المقدس تقرر لنا أن هذه الفكرة لم تظهر إلا بعد سقوط دولتهم وأسرهم في بابل ثم خضوعهم إلى الفرس (٢) ، وهذا التوقيت دفع كثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ المخلص مستعارة من الزرادشتية التي يدين بها الفرس (٣) .

ويشرح Guignebert العلاقة بين الفكر الفارسي والفكر اليهودي في مسألة المسيح فيقول : إن الاتجاه الفارسي كان يبرز انتصار الخير على الشر في الصراع الطويل بينهما ، وذلك الذي سماه الفرس خيراً هو نفسه ما أسماه اليهود « المسيح » ، ويضيف هذا الباحث أن فكرة وجود ملك مثالي يحكم العالم كله كانت فكرة شائعة عند الساميين وهي تستتبع وجود عالم مثالي وهو ما أسماه اليهود ، والمسيحيون من بعد اليهود (ملكوت الله) (٤) .

بل يعود Guignebert بفكرة المسيح لدى اليهود إلى وقت سابق للعهد الفارسي ، وهو يرى أن الكلمة المستعملة مع المسيح هي كلمة Expectation أي (توقُّع) ، وهي عنده توحى بأن المسيح وُجِدَ قبل ذلك ، وليس توقُّعه إلا أملاً في أن يعود مرة أخرى ، ويقرر أن بعض

Judaism Ed. by Arthur Hertzberg pp. 215-218. (١)

(٢) اقرأ سفر دانيال .

(٣) العقاد : الله ص ١١٧ .

The Jewish World in the Time of Jesus p. 141. (٤)

الباحثين توقعوا المسيح منذ عهد موسى ، ويروى أن بعض الشعراء وصفوا داود بأنه المسيح المنتظر ، ويتخذ من هذا دليلاً على وجود فكرة المسيح قبل الأسر البابلي (١) . ولايستبعد أن يكون (Messiah = مسيا = المسيح) يمثل المنقذ الذي هتف به اليهود كلما ألت بهم النوائب ، وطالما ألت بهم هذه النوائب (٢) .

ويتجه بعض الباحثين إلى القول بأن فكرة المهدي المنتظر عند الشيعة مستعارة من فكرة المسيح المنتظر عند اليهود (٣) . وعلى هذا فكلمة « المهدي » بديل « شيعي » لكلمة « مسيا » اليهودية ، وهؤلاء وأولئك لايزالون ينتظرون هذا الأمل ويرون فيه الرشد والخلص .

ويرى We'ls أن فكرة المسيح عند اليهود كانت خطوة طبيعية ناشئة عن خطوات سبقتها ، وتلك الخطوات هي الاعتقاد بأن الخلق أجمعين ليسوا من أبناء إبراهيم ، وإنما هم أمم وقبائل ، وأن الشعب اليهودي أرقى هذه الأجناس وتلك الأمم ، وأن إلههم يهوه أعظم وأقوى آلهة القبائل خطراً ، ونشأت عن هذه الأفكار الثلاثة فكرة المسيح المنقذ رجاء أن يحقق لليهود ما ترامى به الزمن من وعود يهوه التي طال الأمد عليها (٤) .

وبالغ اليهود في رسم الصورة التي أرادوها للمسيح الذي كانوا ينتظرونه ، فذكروا أن الناس في ظله لن يعيشوا وحدهم في العالم في سلام وسعادة ، بل سوف يشاركونهم في ذلك كل أنواع الحيوانات ، فالذئب يسالم الحمل ، والمعجل يداعب الأسد .

Ibid p. 139. (١)

The Jewish World in the Time of Jesus p. 139. (٢)

Margolis and Marx : A History of the Jewish People (٣)
p. 258.

Outline of History Vol. 2, p. 292. (٤)

ونقتبس فيما يلي بعض فقرات من أئسما يتحدث فيها عن
المسيح المنتظر :

— ها العذراء تحبل وتلد ابنا (١) .

— يولد لنا ولد ، ونعطى ابنا ، وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى
اسمه عجيبا ، ويكون إلهاً قديراً أبا أبديا رئيس السلام ، ولنموه رياسته
يجلس على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ، ويعضدها بالحق والبر من
الآن إلى الأبد ، غيرة رب الجنود تصنع هذا (٢) .

— ويخرج قضيب من جزع يسى وينبت غصن من غصونه ، وتحل
عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح
المعرفة ومخافة الرب ، ولذته تكون في مخافة الرب ، فلا يقضى بحسب نظر
عينيه ، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضى بالعدل للمساكين
ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ، ويضرب الأرض بقضيب فمه ، ويميت
المنافق بنفخة شفقيه ، ويكون البرء من منطقة متنية ، والأمانة منطقة
حقوقيه .

— فيسكن الذئب مع الخروف ، ويربض النمر مع الجدى ،
والمجل المسمن والشبل معا ، وصبي صغير يسوقها ، والبقرة والدجاجة
ترعيان ، تربض أولادهما معا ، والأسد كالبقر يأكل تبننا ، ويلب
الرضيع مع سرب الصل ، ويمد الفطيم يده على حجر الأنعوان ،
لا يسوعون ولا يفسدون في كل جبل قدسى لأن الأرض تمتلئ من معرفة
الرب كما تغطي المياه البحر ، ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسى القائم
راية للشعوب ، إياه تطلب الأمم ويكون محله مجدا .

(١) ائسما ٧ : ١٥ .

(٢) ائسما ٦ : ٦ — ٧ .

— ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقنتنى بقية شعبه . التي بقيت من آشور ومن مصر ومن ومن حماة ومن جزائر البحر ، ويرفع راية للأمم ، ويجمع منفيي اسرائيل ، ويضم مشتتى يهوذا من أربعة أطراف الأرض (١) .

وردّد أرميا وعاموس نفس المعانى التي ردّدها أشعيا واقتبسناها آنفاً ، والقارىء لسفريهما يجد هذه الأفكار منشورة هنا وهناك .

وتهياً للرأى العام اليهودى لهذا المسيح ، وكان توقّعه يتجدد كلما نزلت باليهود البلايا والمحن ، وظهر عيسى بن مريم وأعلن أنه المسيح الذى ينتظره اليهود ولكن أكثرية اليهود رفضوا هذا الادّعاء ، وقاوموا دعوة عيسى ، وألقوا القبض عليه وحكموا عليه بالإعدام (٢) ، ويقول عنه التلمود : إن يسوع الناصرى موجود فى لجّات الجحيم : بين القارّ والنار ، وقد أتت به أمه عن طريق الخطيئة (٣) .

ومرت فترة طويلة دون أن يجىء المسيح الذى ينتظره اليهود ، وانتهز بعض اليهود فرصة هذا الترقب فادعى كل منهم أنه المسيح ، ويسجل التاريخ أخبارا لمسيح كاذب من حين الى حين ، وبخاصة فى بلاد الفرس حيث ذاع القول بالمهدى المنتظر لدى الشيعة ، فأثار الحماسة لظهور المسيح المنتظر ، ففى بلدة شيرين ظهر رجل من اليهود فى القرن الثامن الميلادى ، وادعى أنه المسيح المنتظر ، ووعد بأنه سيحقق معجزة استعادة فلسطين (٤) ، وفى نفس القرن ظهر فارسى آخر فى بلدة اصفهان اسمه أبو عيسى وادعى أنه المسيح ، وقال إن عودة فلسطين لن تتم

(١) اشعيا ١٧ : ١٥ و ٦ : ٩ — ٧ و ١١ : ١ — ١٠ .

(٢) اقرا كتاب المسيحية للمؤلف .

(٣) سننكلم عن التلمود فى الفصل الرابع من هذا الكتاب .

(٤) Margelis and Marx : A History of the Jewish People .

إلا على أسنة الرماح ، وأعد جيشاً قوامه عشرة آلاف جندي من اليهود ، وواتته فترة الاضطرابات التي كان يعانيها العالم الإسلامي عند سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بني العباس ، فعاشت حركة أبي عيسى فترة لأن أبا العباس السفاح انشغل عنها بما صادفه من مشكلات في مطلع الدولة العباسية ، فلما آل السلطان للخليفة المنصور اتجه بضربة قاصمة الى جيش اليهود فهزمه ، وفر أبو عيسى تجاه الشمال ، ذاكراً أنه سيتقابل هناك مع أحد قادة اليهود المختلفين ليعاون معه على استعادة فلسطين (١) .

وفي القرن السابع عشر ظهر في سالونيك يهودي اسمه سبتاي زيفي كان واسع الاطلاع على الثقافة اليهودية مما جعله على صلة بأقوال اليهود حول المسيح المنتظر ، ورأى زيفي ما عاناه اليهود في حرب الثلاثين بأوروبا ، فقد أمضى طفولته وثبابه وهذه الحرب مشتعلة ، حيث كان اليهود وقوداً لها ، وساورته نفسه أن يعلن أنه المسيح المنتظر ، فعكف على الصلاة والصوم ، وأخذ يطوف البلاد هنا وهناك ، ويدعو لنفسه ويعلن قرب ظهور المسيح المبارك ، ولما حلت سنة ١٦٦٦ أعلن زيفي أول رسالة لليهود ، واختار لإعلانها يوماً يمضيه اليهود في صوم وحزن لأنه يرتبط بذكريات أليمة عندهم ، وفي هذه الرسالة يقول :

« من أول ابن لله سبتاي زيفي ، المسيح ، مخلص شعب اسرائيل ، الى جميع أبناء اسرائيل السلام لكنا كان قد تقدّر لكم أن تكونوا جديريين برؤية اليوم العظيم وإنجاز وعد الله الى أبنائه ، فلا بد أن تغيرورا أحزانكم فرحاً وصومكم مرحاً ، لأنكم لن تبكوا بعد الآن ، فاستمتعوا وغنثوا واستبدلوا باليوم الذي كلن من قبل يقضى في حزن وآلام ، يوم عيد ، لأننى ظهرت ... » .

وأعلن زيفى أنه سيستعيد فلسطين لليهود ، وسيعيد مجد صهيون الذى حققه من قبل داود وسليمان ، وقد ذكر لنا Hosmer تفاصيل دقيقة عن سبتاي زيفى وحركته ، فلننقل منه بعض فقرات تصور لنا هذه الحركة الخطيرة ونهايتها ، يقول Hosmer ^(١) : وُلد سبتاي زيفى سنة ١٦٢٦ م وهو ابن " لتاجر يهودى كان يعمل مديراً لفرع من فروع شركة انجليزية تجارية كبيرة ، وكان سبتاي جذاباً هادياً الأخلاق . كما كان شديد الحماسة للفروض الدينية والتقاليد اليهودية ، مما لفت اليه الأنظار ، وعندما بلغ الخامسة والعشرين أعلن أنه المسيح المنتظر ، وسرعان ما صدقته أفواج من الناس وأصبح له مريدون يزدادون يوماً بعد يوم . وأخذ سبتاي ينتقل بين اليونان وسوريا ومصر . وكان بعض أتباعه المتحمسين له يسبقونه الى حيث ينوى أن يذهب ليهيئوا الجو لحضوره . ويجمعوا لاستقباله الجموع ؛ وفي القاهرة كانت هناك فتاة يهودية بولندية نادرة الجمال هربت بما يشبه المعجزة من مذابح القوزاق ، وعندما التقى بها سبتاي افتتن بجمالها وتزوج بها وأعلن أنه منذ القدم كان قد قضى بأن تكون شريكة حياته ، وراح سبتاي فى حماسة ظاهرة ينتقل هنا وهناك ويواصل دعوته ، ولم يستطع الربانيون أن يوقفوا حركته التى أخذت تنتشر فى كل مكان بين اليهود ، حتى أصبح له أتباع فى أمستردام وهامبورج ولندن بالإضافة الى أتباعه بالشرق . وقد بلغ تصديقه مبلغاً عظيماً حتى أن بعض أتباعه راحوا يبيعون ممتلكاتهم ويجمعون ثروتهم ويعدون انفسهم للعودة من المهجر الى فلسطين خلف سبتاي ، وفى فارس توقف العمال اليهود عن طاعة ساداتهم ورفضوا أن يستمروا فى فلاحة الأرض ، وبدأ اليهود فى كل مكان وكأنما مسهم طائف من الجنون وأصبحوا عبيداً للأمل الذى جددته دعوة زيفى .

وانتشى زيفى بالنصر الذى حققه ، فراح يُدخل تعديلات جريئة فى

التقاليد والنظم اليهودية ، فغير وقت الصوم ومواعيد الأعياد كما جاء في رسالته التي ذكرناها آنفاً ، ووصلت به النشوة الى أن تخيل نفسه صاحب سلطان شامل ، فأخذ يوزع التيجان على إخوته وأصدقائه المقربين ؛ بعد أن عين كلا منهم ملكاً على منطقة من المناطق التي رأى أن سلطانه سيزحف عليها ، واحتفظ لنفسه بلقب « ملك الملوك » .

ووصل زيفي في تجواله الى القسطنطينية حيث عاصمة الخلافة العثمانية ويلاحظ أن الخليفة المسلم لم يتعرض له في المدة السابقة لأنه فيما يبدو لم يترد أن يواجه الحماس والصخب الذي أحاط باسم سبتاي في أول أمره ، وهذا التصرف من الخليفة المسلم شجع سبتاي الى أن يدخل عاصمة الخلافة ؛ وهناك ألقى الخليفة القبض عليه ، وأحكم قيده وألقى به في قلعة الدردنيل ، واكتفى الخليفة المسلم بذلك فترة نعيم خلالها سبتاي بالكرم والحفاوة ، وزحف كثير من اليهود الى القسطنطينية ليروا مصير قائدهم ، ولكن أحد اليهود الربانيين البولنديين أعلن أن سبتاي كاذب ، وأن حركته تهدد الأمن والسلام ، وانتهز السلطان محمد الرابع هذا الخلاف ، فأحضر سبتاي أمامه في جمع حافل ؛ وأعدّ بعض الجند المهرة لقتله ، ثم أعلن هذا السلطان استعدادده ليتحول الى اليهودية اذا استطاع سبتاي ابن الله ، والمسيح المنتقد كما يدعى ، أن يمنح الرصاص من الانطلاق ، وفي نفس الوقت منح الخليفة فرصة لسبتاي ليعلن أنه كاذب مدّعي وأن يدخل الإسلام إن كان يعرف أنه لن يستطيع إيقاف الرصاص من الانطلاق ، وسرعان ما اختار سبتاي السلامة ، وأعلن أنه كاذب ، واعتنق الإسلام أو لم يجد مناصاً من ذلك ، وسُمّي محمد أفندي ؛ وانتهت بذلك هذه الزوبعة التي أثارها هذا المدعي ، ولا يزال اليهود حتى الآن ينتظرون المسيح (١) .

الفرق في اليهودية

تكثر الفرق في اليهودية كثرة بالغة ، وتختلف هذه الفرق في مبادئها وأسس حياتها ونظرتها إلى الكون ، وإلى ما وراء الكون ، وستتكم هنا عن أهم الفرق في اليهودية ، شارحين أبرز نقاط الاتفاق والاختلاف بينها :

الفريسيون :

كلمة الفريسيّين معناها المنزّلون والمنشقون . فهم بذلك يناظرون إلى حدّ ما فريق المعتزلة عند المسلمين . وقد أطلق عليهم أعداؤهم هذه التسمية ، ولذلك فهم يكرهونها ويسمون أنفسهم « الأجلر » أو « الإخوة في الله » أو « الربانيين » Godly oues (١) .

وهم يعتقدون أن التوراة بأسفارها الخمسة خلقت منذ الأزل ، وكانت مدونة على ألواح مقدسة ثم أوحى بها إلى موسى ، وعلى هذا فتدوينها بعده هو في الحقيقة إعادة تدوين ، ويعتقد الفريسيون في البعث ، وقيامه الأموات ، والملائكة ، والمعالم الآخر ، وأكثرهم يعيشون في مظهر الزهد والتصوف ، لا يتزوجون ، ويحافظون على وجودهم بطريق التبنى ، ولا يقدرّون القرابين في المعابد (٢) .

ويرى الفريسيون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة ، التي يعتمد عليها ، وإنما هناك بجانب التوراة روايات شفوية ومجموعة من القواعد والوصايا الشروح والتفاسير ، التي تعتبر توراة شفوية ، وقد تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل ، وربما دونوها أحيانا خوفا عليها

Guignchart : The Jewish World in the Time of Jesus p. 154. (١)

Laurance Brawne : From Babylon to Bethlehem pp. 84-85. (٢)

من الضياع ، وتلك الروايات الشفوية هي التي دونت فيما يسمى التلمود^(١) ، ولضمان تقديس اليهود للتلمود ، أعلن الفريسيون أن للحاخامات سلطة عليا ، وأنهم معصومون وأن أقوالهم صادرة عن الله ، وأن مخالفتهم هي مضافة الله ، ومن قولهم في ذلك : « ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحيّ ، فإذا قال الحاخام أن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس ، فصدّق قوله ولا تجادله ... »^(٢) وتبعاً لذلك ليس هناك اجتهاد عند الفريسيين ، وما الحاجة للاجتهاد إذا كان الحاخام مقدساً ومعصوماً ؟ وعنده لكل سؤال جواب^(٣) وللفريسيين رأى في القضاء والقدر ؛ فهم يرون أن الأفعال يمكن أن تتأثر بالقضاء والقدر ولكنها غير واقعة بهما^(٤) .

ويرى بعض الباحثين أن الفريسيين لا يكونون فرقة دينية ، وإنما يمكن أن نطلق عليهم حزباً سياسياً له اتجاهاته الدينية ، وهم يعتقدون أن دولة اليهود لا بد أن تستعيد مكانتها ، ولذلك كانوا يؤمنون بالمسيح الذي يجيء ليعيد « ملكوت الله »^(٥) .

وكان نشاط الفريسيين فكرياً لا ثورياً ، فهم لم يلجأوا قط للحركات العنيفة ، ولكنهم اتجهوا بكل جهدهم إلى تفسير التوراة والتعليق عليها^(٦) .

وكان الفريسيون يريدون من بنى اسرائيل أن يتمسكوا بالعقيدة القديمة التي كانت لأجدادهم قبل سقوط دولتهم بفلسطين ، وكانوا يعارضون الأنبياء الذين ظهروا في فترة الأسر وبعده ، ويتمسكون بشريعة الأنبياء الأوائل ، كما كانوا يتشدّدون في التنفيذ ، ويتمسكون بالتقاليد .

(١) Margolis and Marx : A History of the Jewish People p. 159.

(٢) من نصوص التلمود .

(٣) الباعو بشياصي : شعار الخصوص ص ١ .

(٤) Laurauce Bowne : From Baby on to Methl hem p. ٤5.

(٥) Guiguebert The Jewish World in the Time of Jesus p. 167.

(٦) Ibid p. 189.

وكان الفريسيون ينعمون بكثير من السلطة في بلاط أمراء المكابيين . وكان لهم نفوذ واسع في المجتمع اليهودي . وقد أدى اتساع هذا النفوذ إلى تخوف السلطات الحاكمة منهم ، وإلى نظرها لتصرفاتهم في شيء غير قليل من الشك والشبهة . وكان ذلك بدء انشقاق بين السلطات الحاكمة وبينهم .

وفي عهد هركانوس (١٠٥ ق م) اشتد الخلاف بينه وبينهم . فانسحب الفريسيون من تأييد حكومته ، ووضعوا أنفسهم موضع المعارضة . فتخلى عنهم هركانوس وانضم إلى منافسيهم الصدوقيين الذين ظلوا على الولاء للحكومة (١) ، ومنذ حصلت هذه القطيعة اتجه الفرنسيون إلى العودة لفكرة المسيح الذي ينتظره اليهود كما ذكرنا آنفاً ، وقد كان تحول السلطان عنهم نذيراً بتدهور أحوالهم ، هذا بالإضافة إلى أنهم انصرفوا عن سنن أسلافهم ، واستهوتهم الحياة الدنيا ببريقها ، وأقبلوا على الشهوات يستسرفون بها ، وهم في عملهم يراءون الناس استدراجاً ليوقعوهم في مخالبتهم ، ويبتزون أموالهم ، فكان ظهورهم بمظهر الزهد فحاً نصبوه لصيد الدرهم والدينار (٢) .

وقد صورهم كاتبو الأناجيل في صورة معارضة للمسيح عيسى عليه السلام ، ووضعوهم في موضع معارض له (٣) .

وتأثرت مكانتهم رويداً رويداً بهذه الأسباب فتخلى عنهم أكثر أتباعهم ، وأصبح الانتساب إليهم عاراً ، على أنه وجد من بين الباحثين اليهود في العصر الحديث من يدافع عنهم ليصيد لهم مكانتهم التي نعموا بها فترة من التاريخ ، ومن هؤلاء « هوكسلي » الذي يقول : من غرائب سخریات التاريخ إن لم تكن أغربها ، أن كلمة فریسی أصبحت تدل على العار .

(١) Ibid p. 168.

(٢) سليمان مظهر — قصة العقائد ص ٢٦٦ .

(٣) Guignebert The Jewish World in the Time of Jesus p. 165

ويقول « هارفولد » : كانت الفريسية سيئة الحظ في التاريخ ، إذ قلمما وجدت المسيحية فرصة سانحة لمعرفة الفريسيّة على حقيقتها ، بل قلمما حاولت أن تنتهز هذه الفرصة إذا سنحت ، فهل بلغ الدين المسيحي مبلغاً من الضعف ، يلجئه إلى الدفاع عن نفسه بتسويد صفحة أفضل منافسيه ؟

ويقول القس « بوكس » : لقد أسس الفريسيون نظام الفردية في الدين ، ووضعوا طقوساً روحية بحتة ، وتعمقوا في الاعتقاد في الآخرة ، ودافعوا عن قضية العلمانية أمام الكهنوت المتطرف ، وجعلوا الكتاب المقدس ملكاً مشاعاً للجميع ، وفي اجتماعات الكنيس الأسبوعية كانوا يلقون على الشعب عظات بالغات ، عن حقائق الدين وآماله ، استناداً على نصوص التوراة . . . وكافح الفريسيون كفاحاً مستتبلاً في سبيل وضع الحياة تدريجياً تحت سلطة العقائد الدينية ، فتأثرت قلوب الشعب بأوامر الدين وتواهيه بفضل ما بذله الفريسيون من العناية في سبيل تقويم العادات ، وتطبيق الطقوس الدينية تطبيقاً دقيقاً ، ولكن الظواهر الخارجية كانت دائماً خاضعة للعقائد الكامنة (١) .

الصدّيقون :

يرى بعض الباحثين أن هذه التسمية نسبة إلى صادق الكاهن الأعظم في عهد سليمان ، أو إلى كاهن آخر بهذا الاسم وجد في القرن الثالث قبل الميلاد (٢) وينكر Guignebert هذه النسبة لأن حرف الدال مضمّك ، في تسمية الفرقة وليس مضعفاً في كلمة صادق ، ثم أن أتباع هذه الفرقة لم يدعوا أبداً الارتباط بهذا الكاهن أو ذاك ويرى Guigneber أن هذه التسمية من صنع أعدائهم وأنها من نوع التسمية المضادة

(١) من الفكر اليهودي ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) Laurance Browne : From Babylon to Bethlehem p. 85.

لأن الصدوقيين عرفوا بالإنكار فسماهم أعدائهم « الصدوقيين » (١) .

وهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا ، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه ، والعمل السيء يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب (٢) .

وينكر الصدوقيون كذلك التعاليم الشفوية « التلمود » ، وحتى التوراة لا يرون أنها مقدسة قدسية مطلقة ، وينكرون الخلود الفردي . كما ينكرون وجود الملائكة والشياطين ، ولا يقولون بالقضاء والقدر ويؤمنون بحرية الاختيار ، ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لا لله ، وينكرون كذلك المسيح المنتظر ولا يترقبونه .

ولا يميل الصدوقيون للاشتراك في الحركات الثورية والآمال التي تتطلب عنفاً وجهداً ، ويميلون لاحترام القوانين الموجودة على أى حال ، ما دامت الديانة اليهودية محترمة بوجه ما ، فكانوا يكتفون من السلطات الحاكمة بالاعتراف بيهوه ، وبامتيازاتهم الخاصة ، ويرون أن من الحكمة قبول الأمر الواقع .

وينحدر الصدوقيون من طبقة الارستقراط ببيت المقدس الذين كانوا يمثلون الغنى والدين والسلطة والمكانة في المجتمع اليهودي ، ولذلك يعدّهم الكتاب اليهود حزب المحافظين في الشعب اليهودي ، ويرى Guinebert أنهم لا يكونون طائفة دينية بقدر ما يكونون حزباً سياسياً (٣) ، ويسميهم حزب المحافظين لعدم اعترافهم بالتراث الشفوي « التلمود » ولأنهم يرون أن الزيادة في الاعتقاد أو العبادة أو التراث بدعة مرفوضة (٤) .

The Jewish World in the Time of Jesus p. 162. (١)

Laurance p. 85. (٢)

The Jewish World in the Time of Jesus pp. 162 - 163. (٣)

Margolis and Marx : A History of the Jewish People p. 159. (٤)

ويقال أن عيسى عليه السلام كان على صلة طيبة بهم ، لأنه هاجم الفرّيسيّين وقبيلَ سلطان قيصر الروم ، على نحو ما فعل الصدوقيّون ، غير أن إنكارهم للبعث والدار الآخرة ... كانت سبباً في الخلاف بينهم وبين المسيح ، وقد حاول عيسى ردّهم إلى الاعتقاد السليم ، ولكنهم لم يستجيبوا له وقاوموا دعوته أكثر مما قاومها غيرهم (١) .

القراءون :

كان القراءون يمثلون القبلة بين اليهود ، فلما تدهور شأن الفرّيسيّين ، نما فريق القرائين ووَرث أتباعَ الفرّيسيّين ونفوذهم .

والقراءون لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتاباً مقدساً ، وليست عندهم روايات شفوية كالتي قيل إن الحاخامات توارثوها الواحد بعد الآخر ، وبالتالي لا يعترف القراءون بالتلمود .

ويقول القراءون بالاجتهاد ، فإذا تبين الخلف خطأ السلف كالخطأ الذي لاحظوه في المحرمات في الزواج ، فإن للخلف تصحيح هذا الخطأ ، ومن هذه الأخطاء التي لا حظها المتأخرون وصححوها ، خطأ تحليل بنت امرأة الأب مع وضوح تحريمها بنص الآية الخامسة من آيات المحارم (٢) .

الكتبة :

تطلق هذه التسمية على مجموعة من اليهود كانت مهنتهم كتابة الشريعة لن يطلبها ، فهم أشبه شيء بالنشأخ ، وعن طريق صلتهم بكتابة الشريعة ، عرفوا بعض المعلومات من الكتب التي نسخوها ، فاتخذوا

Laurance, Passim. (١)

(٢) الياهو بشياصي : شمار الخضر ص ١ - ٢ (مقدمة المترجم) .

الوعظ ووظيفة أخرى لهم بجوار كتابة الشريعة ، وكان الوعظ وكتابة الشريعة وسيلتين اصطنعتهما الكتبة لتصيّد أموال الناس ، وبخاصة عندما عمّ الفساد وانحرف الفريسيون (١) .

وكانوا يسمّون أحياناً بالحكماء ، وأحياناً السادة « Rabbis » كما كان الواحد منهم ينادى بلقب « أب » عند المخاطبة ، وقد برز الكتبة كحملةٍ للواء الشريعة عند ما جذب النفوذ السياسى غيرهم من رجال الدين إلى مجاله ، فأصبح رجال الدين حلفاء للحكام الأجانب من فرس وإغريق ورومان وأخلوا المجال الدينى للكتبة ، فاحتلوه .

وجاءت خطوة ثانية رفعت من شأن الكتبة وأعلت من قدرهم ، هى أن كل واحد منهم عثىَ بإنشاء مدرسة أصبح هو راعياً لها ومعلماً بها ، وكان له مريدون يسمعون تعليماته ويذيعونها ، ومن الناحية النظرية لم يكن يجوز لهذا المعلم أن يتقاضى أجراً من مُريديه ، وإن كانت الناحية النظرية كثيراً ما أهملت ، وحصل الكتبة على ثراء كبير من مريديهم ومن وسائل أخرى (٢) .

المتعصبون :

فرقة أخرى من الفرق اليهودية خصص لها (Guignebert) حديثاً ، نورد فيما يلى ترجمة أبرز فقراته :

كان فى فلسطين بين الفرق الأخرى فريق وثيق الصلة بالفريسيين . يتفق معهم فى أكثر عقائدهم ، كالقول بالمسيح المنتظر ، وكالحماسة الوطنية والميل للعبادة ، ولكن هذا الفريق امتاز بعدم التسامح ، بل بالعدوانية ضد المواطنين الذين اتّهموا باللا دينية ، أو بقبول الخضوع لغير اليهود ،

Margolis and Marx : A History of the Jewish People p. 258. (١)

Guignebert : The Jewish World in the Time of Jesus pp. 67-68. (٢)

وكان من سياسة هذا الفريق ألا ينتظر أتباعه العون من إلههم ، بل يعملوا بأنفسهم ليساعدوا الإله على تحقيق ما يريد له لشعبه . وكانوا بذلك يكوّنون الجناح اليسارى فى فريق الفريسيين ، بيد أنهم كانوا فى غاية الحماسة تجاه شغفهم بالحرية ، ولم يعترفوا بأى سلطان عليهم سوى سلطان الله ، وكان الموت عندهم أسهل من طاعة اليهود ، ومن ثم أعلنوا احتقارهم لجماعة الفريسيين الذين قبلوا الأمر الواقع وخضعوا للرومان ، وكانت الحركات الثورية التى قام بها المتعصبون فى مطلع القرن الميلادى الأول سببا فى الحدة بين اليهود وبين الرومان ، مما دفع الرومان إلى أن يضربوا الثائرين ضربات قاصمة ، وأن يذبحوا قادة الثورة ، ولكن إخماد هذه الثورات لم يضع نهاية لحركات المتعصبين ، فهبوا من جديد يدبرون ثورات أخرى ويجمعون لها الجموع ، ولما أحس الرومان بذلك قضوا على السلطة المحلية التى كانوا قد منحوها لليهود ، وحكموا مناطق اليهود بطريق مباشر ، وكان ذلك باعثا لحماسة هذا الفريق ودافعا إلى خلق جو من الاضطراب والقلق فى المناطق اليهودية ، وفى هذا الجو بدأ المتعصبون حركات اغتيال وفوضى ضد الرومان وضد اليهود الذين كانوا يتعاونون مع الحكم الرومانى ، وبلغ من حماستهم أنهم كانوا يرتكبون جرائمهم علنا فى الطرقات ، ويغتالون دون تردد كل من يرون أن القضاء عليه سيحقق لهم هدفهم (١) ، وبهذا أُطلق عليهم « السفاكون » Assassins كما لجئوا إلى النهب واللصوصية والفتك ، وأوقعوا بالبوليس الرومانى ألوانا من العنت ، ومن أجل هذا يعدُّ الباحثون هذا الفريق ضمن الفرق السياسية ، أو فرق العصابات ، مع أنهم بدعوا حركتهم فى إطار دينى ، ولههدف دينى ، ولكن جرائمهم الكبرى نقلتهم من ميدان إلى ميدان (٢) .

(١) من أحفادهم قتلة برنادوت وكندى .

The Jewish World in the Time of Jesus pp. 169-170.

(٢)

البَابُ الرَّابِعُ
مَصَادِرُ الْفِكْرِ الْيَهُودِي

تقديم :

كان التخطيط الأول لهذا الكتاب أن يكون به مبحث عن « العهد القديم » يناظر المبحث الذى ورد بكتاب « المسيحية » عن « العهد الجديد » ولكن المراجع سرعان ما قررت أن « العهد القديم » ليس الكتاب المقدس الوحيد لدى اليهود ، وأن هناك مصادر أخرى يلتزم اليهود بتقديسها ولا تقل أهمية عن « العهد القديم » . ومن أجل هذا تغير عنوان هذا الباب فأصبح « مصادر الفكر اليهودي » حيث سيثمل البحث الكلام عن أهم المصادر التى يضىفها اليهود عليها القداسة ويستمدون منها التوجيه ، وهذه المصادر هي :

- ١ - العهد القديم .
- ٢ - التلمود .
- ٣ - بروتو كولات حكماء صهيون .

وفيما يلي حديث عن كل منها :

العهد القديم

تعريف بالعهد القديم :

العهد القديم هو التسمية العلمية لأسفار اليهود ، وليست التوراة إلا جزءاً من العهد القديم كما سيتضح فيما بعد ، وقد تُطْلَق « التوراة » على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل ، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى ، لأنه أبرز زعماء بنى إسرائيل ، وعنده يبدأ تاريخهم الحقيقي ، وكلمة توراة معناها الشريعة أو التعاليم الدينية .

والعهد القديم مقدس لدى اليهود ولدى المسيحيين . ولكن أسفاره غير متفق عليها . فبعض أخصائى اليهود يضيفون أسفاراً لا يقبلها أخصائى آخرون . فإذا جئنا إلى المسيحيين وجدنا النسخة الكاثوليكية تزيد سبعة أسفار عن النسخة البروتستانتية .

وتقسّم أسفار العهد القديم التى يعترف بها البروتستانت ثلاثة أقسام :

القسم الاول « التوراة » ويشمل أسفاراً خمسة هى : التكوين — الخروج — اللاويون (الأخصائى) — العدد — التثنية ، وتلك هى التى يُطْلَق عليها أسفار موسى أو يطلق عليها التوراة كما ذكرنا .

القسم الثانى « أسفار الأنبياء » وهى نوعان :

١ — أسفار الأنبياء المتقدمين : وتشمل الأسفار الآتية : يشوع (يشوع ابن نون) — قضاة — صموئيل الأول — صموئيل الثانى — الملوك الأول — الملوك الثانى .

٢ — أسفار الأنبياء المتأخرين : وتشمل الأسفار الآتية : إشعياً — إرمياً — حزقيال — هوشع — يوثيل — عاموس — عبديا — يونا (يونس) — ميخا — ناحوم — حبقق — صفنيا — حجى — زكريا — ملاحى .

القسم الثالث « الكتابات » وهذا القسم يتشعب إلى أنواع ثلاثة :

١ - الكتب العظيمة وتشمل الأسفار الآتية : الزمير (الزبور)
الأمثال (أمثال سليمان) - أيوب .

٢ - المجلات الخمس : - تشمل الأسفار الآتية : نشيد الأناشيد -
راعوث - المراثي (مراثي إرميا) - الجامعة - أستير .

٣ - الكتب : ويشمل الأسفار الآتية : دانيال - عزرا - نحميا -
أخبار الأيام الأول - أخبار الأيام الثاني .

ومجموعة هذه الأسفار تسع وثلاثون سفاً وهي الأسفار التي
تعتمدها الكنيسة البروتستانتية ، أما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف سبعة
أسفار أخرى هي : طوبيا - يهوديت - الحكمة - يسوع بن سيراخ -
باروخ - المكابيين الأول - المكابيين الثاني ، كما تجعل أسفار الملوك
أربعة وأونها وثانيها يجيئان بدلاً من سفرى صموئيل الأول والثاني ، وبعض
رجال اللاهوت من اليهود لا يوافقون على ضم سفرى الجامعة ونشيد
الأناشيد لأسفار العهد القديم ، وطائفة السامريين ^(١) لايؤمنون إلا بأسفار
موسى الخمسة ، ولا يرون غيرها كتاباً مقدساً ، ويضيف بعض السامريين
سفرى يوشع والقضاة لأسفار موسى ويرون في هذا الأسفار السبعة
كتابهم المقدس .

وللمسيحيين الكاثوليك تقسيم آخر لأسفار العهد القديم ، فهم يرون
أن الأسفار الستة والأربعين تتدرج تحت خمسة أقسام هي :

١ - أسفار موسى الخمسة التى تتضمن شريعته .
٢ - أسفار تاريخية وعددها ١٦ وهى - يشوع - القضاة -
راعوث - الملوك الأول والثاني والثالث والرابع - أخبار الأيام الأول -

(١) السامريون طائفة من المتبوعين اى الذين دخلوا اليهودية من غير
بنى اسرائيل .

أخبار الأيام الثاني — عزرا — نحميا — طوبيا — أستير — يهوديت —
المكابيون الأول والثاني •

٣ — أسفار شعرية — وعددها ستة وهي : أيوب — المزامير — أسفار
سليمان الثلاثة : الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد — مراثى إرميا •

٤ — أسفار نبوية وعددها ١٧ وهي : أشعيا — إرميا — باروخ —
حزقيال — دانيال — هوشع — يوثيل — عاموس — عبديا — يونا —
ميخا — ناحوم — حبقوق — صفنيا — حجى — زكريا — ملاخى •

٥ — أسفار تعليمية وعددها اثنان هما : سفر الحكمة ويسوع
بن سيراخ (١) •

وهناك سفران لا يبدو لهما صلة ببني اسرائيل ، وهما سفر أيوب
وسفر يونا ، فأيوب من بني عيسو وليس من أبناء اسرائيل كما يظهر
من نصوصه ، ويونا تفيد عبارته أنه نبي مرسل إلى نينوى لا إلى بني
اسرائيل ، ومحتويات السفرين قريبة من المحتويات التي أشار لها
القرآن الكريم •

ومن الأسفار ما هو طويل كثير الإصحاحات كسفر المزامير الذي
يصل إلى مائة وخمسين مزموراً ، وإشعيا الذي يحوى ستة وستين إصحاحاً ،
وإرميا وهو يتكون من اثنين وخمسين إصحاحاً ، والتكوين وبه خمسون
إصحاحاً ، ومنها ما هو قصير كسفر عبديا وبه إصحاح واحد ، وحجى
وبه إصحاحان ، وصفنيا وحبقوق وناحوم وكل منها يتكون من ثلاثة
إصحاحات •

والعهد القديم على العموم سجل فيه شعر ونثر ، وحكم وأمثال ،
وقصص وأساطير ، وفلسفة وتشريع ، وغزل وثناء مع بلاغة أسلوب
وفصاحة عبارات في كثير من الحالات •

تعريف بالأسفار

بعد هذه الجولة السريعة حول الكتاب المقدس كجملة ، يجدر بنا أن نعرّف بأسفاره مفصلة ، وسنسير على ذلك متتبعين نظام النسخة البروتستانتية فإذا انتهينا من التعريف بأسفارها ، رحنا نعرّف بالأسفار الزائدة التي أوردتها النسخة الكاثوليكية :

أسفار التوراة :

أول ما يعيننا في بحثنا أسفار موسى الخمسة ، والسفر الأول الخلق (Genesis) أو التكوين كما يسمى في اللغة العربية وسمّي بهذا الاسم لاشتماله على قصة خلق العالم ، وخلق الإنسان الأول : ويشمل السفر - بالإضافة إلى هذا - قصة الخطيئة التي ارتكبها أبو البشر ، ونزوله إلى الأرض عقاباً له ، ثم حياة أولاده وما جرى بينهم ، فقصة الطوفان ونشأة الشعوب بعده ، وقصة إبراهيم وتجوّاله ونسله إلى اسحق ويعقوب وأولاد يعقوب وبخاصة يوسف ، وما جرى له إلى أن أصبح ذا شأن كبير بمصر واستدعى إليه أباه وإخوته ، وبموت يوسف ينتهي هذا السفر .

والسفر الثانى هو سفر الخروج ويسمى باليونانية واللاتينية Exodus أى خروج ، وسمّي بذلك لتناوله خروج بنى إسرائيل من مصر ويحوى هذا السفر قصة بنى إسرائيل بعد يوسف ، وما عانوه من الفراعنة ، وظهور موسى وخروجه بهم من مصر ، ويستمر هذا السفر في قص تاريخ بنى إسرائيل حتى يصل بهم إلى شرق الأردن ، وفي هذا السفر الوصايا العشر التي أعطها الله لموسى ، وبه كذلك كثير من المسائل التشريعية والتعاليم الدينية الخاصة بيهوه إله بنى إسرائيل ، ومنها وصف خيمة الاجتماع وتابوت العهد ، وما حدث من بنى إسرائيل في غيبة موسى .

والسفر الثالث اللاويون أو الأحبار ، ويسمى في اللاتينية (Leviticus)

أى لاويون نسبة إلى أسرة لاوى أو ليفى ، ويحتوى هذا السفر كثيراً من التشريعات والوصايا والأحكام ، مثل كفارات الذنوب ، والأطعمة المحرمة ، والأنكحة المحرمة . ومثل الطقوس والأعياد والنذر والطهارة ، كما يحتوى كثيراً من الأمور المتصلة بالعادات والأوامر الدينية التى يستحق من اتبعها الثواب ومن خالفها العذاب .

والسفر الرابع سفر العدَد (Num:ri) وسُمى بذلك لأنه حافظ بالعد والتقسيم لأسباط بنى اسرائيل ، وبه ترتيب منازلهم حسب أسباطهم وإحصاء للذكور منهم ، ويجوار هذا العد ، يحتوى هذا السفر على سيرة بنى اسرائيل فى بَرِّيَّة سيناء وما بعدها، فهو بذلك استمرار لما ورد فى سفر الخروج ، وفيه كثير من التنظيمات والتعاليم الطقسية والكنوتية والاجتماعية ، والمدنية ، وبه كذلك حديث عن حروب بنى اسرائيل ضد المدَّينيين ، وفى الإصحاح الثانى عشر من هذا السفر ثورة وسُخط بيدوان من هارون ومريم أخوى موسى ضده ، لأن موسى تزوج امرأة كوشية ، ويقول هارون ومريم فيما رواه هذا الإصحاح ، هل كلُّكم الربُّ موسى وحده ؟ ألم يكلمنا نحن أيضاً ^(١) ؟ ويغضب الرب على هارون ومريم وتصاب مريم بالبرص ، ويطلق الأستاذ محمد عزه دروزة على هذا التذمر بقوله : وهكذا لم يَنْجُ أخو موسى وأخته من خلق التذمر والحسد والأثانية ^(٢) . ويحكى الإصحاح السادس عشر قصة ثورة قادها شخص من اللاويين اسمه قورح ضد موسى وهارون ، وفى هذه الثورة صاح قورح قائلاً : كفاكما ، إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفى وسطها الرب ، فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب ^(٣) ، وانضم إلى قورح ثوار

(١) الإصحاح الثانى عشر : الفقرة الثانية .

(٢) تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم . ج ١ ص ٩٩ .

(٣) الإصحاح السادس عشر الفقرة الثالثة .

آخرون وصاحوا بموسى قائلين : أقليل أنك أصدقتنا من أرض تفيض لبنا
وعسلا لتميتنا في البرية حتى تترأس علينا أيضا ترأسا ؟ (١) .

والسفر الخامس سفر التثنية أو تنبية الشريعة ومعناه الإعادة
والتكرار لتثبيت التشريعات والتعاليم، ويسمى في اللاتينية (Deuteronomium)
أى الإعادة وفي هذا السفر عُرِضت الوصايا العشر عرضاً جديداً ،
كما أعيد الكلام عن الأطعمة الحلال والحرام ، وعن نظام القضاء
والملك عند بنى اسرائيل ، وتحدث هذا السفر عن الكهنة والنبوة ، كما
تحدث عن انتخاب يشوع بن نون خلفاً لموسى ، وينتهى السفر بخبر وفاة
موسى ودفنه في جبال مؤاب .

وبعد الحديث عن أسفار موسى الخمسة نتناول بإيجاز الأسفار
الأخرى من العهد القديم :

يشوع :

ينسب هذا السفر إلى يشوع بن نون ، وكان يشغل في أول حياته
خادماً لموسى وكان اسمه آنذاك هوشع فدعاه موسى يشوع ، وكان موسى
قد عرف فيه الإخلاص والكفاءة فاستخلفه ، وينص هذا السفر على أن
يشوع اصطنع مختلف الحيل لينتصر في حربه ضد سكان البلاد الأصليين
وليدخل فلسطين ، ومن حينه التى ذكرها هذا السفر التجسس ، وقد
سُئلت الإصحاحات الأولى من هذا السفر بأخبار التجسس والغزو ،
أما الإصحاحات الأخيرة منه فتتحدث عن تنظيم البلاد المفتوحة وتوزيعها
على الأسباط واستيطانها ، وفي الإصحاح الرابع والعشرين وهو الإصحاح
الأخير من هذا السفر حديث عن موت يشوع ودفنه في جبل أفرام ،

وحديث كذلك عن عظام يوسف التي أصعدها بنو اسرائيل من مصر حيث أعيد دفنها كما يقول الإصحاح في شكيم « نابلس » .

القضاة :

كان رؤساء بنى اسرائيل فى الفقرة التى تبدأ من يشوع إلى صموئيل يسمون القضاة ، ومن هنا اتخذ هذا السفر اسمه منسوباً إليهم ، ويتحدث هذا السفر عن بعض القضاة العظام مثل عثنائيل وأهوز وباراق ودبوراه وجدعون ويفتاح وشمشون صاحب القصة الشهيرة مع دليلة (١) ، كما تحدث هذا السفر عن قضاة صغار لم يكن لهم تأثير يذكر فى حياة بنى اسرائيل ، ويتحدث هذا السفر كذلك عن شعب بنى اسرائيل على يهوه وعبادتهم آلهة أخرى من الحجارة والأشجار ، ويبين كيف انتقم الله منهم فسلب عليهم أعداءهم وأنزل كثيراً من النوائب بهم . وآل أمر القضاة الى صموئيل ، فلما شاخ جعل بنيه قضاة ، ولكنهم أخذوا الرشوة وظلموا فى القضاة ، فطلب شيوخ بنى اسرائيل من صموئيل أن يعين لهم ملكاً ، ففعل ، وبدأ عهد الملك فى بنى اسرائيل .

راعوث :

لعله كان من الطبيعى أن تترد الأسفار التى تحدثت عن الملوك بعد سفر القضاة ، ولكن لما كان داود أشهر هؤلاء الملوك ، فقد أورد كاتبو العهد القديم سفر راعوث كتمهيد لأسفار الملوك ، لأن سفر راعوث يبين لنا نسب داود ، واسم السفر مقتبس من اسم امرأة مؤابية ، وخلاصة ما فى هذا السفر أن مجاعة نزلت بببيت لحم فهاجر منها اسرائيلى اسمه « أليمالك » ومعه زوجته « نعمى » وابناه « مَحاون وكليون » ونزلوا بأرض مؤاب ، وهناك تزوج الابنان إمرأتين مؤابيتين اسم إحداهما

(١) اقرأ قصته فى الإصحاح الرابع عشر والسادس عشر .

« عرّفة » واسم الأخرى « راعوث » ثم مات الرجال الثلاثة وأرادت نعمى العودة إلى بيت لحم فأصرّت راعوث أن تصحبها ، وفي بيت لحم تزوجت راعوث من رجل يهودى اسمه بوغز ، وأعقب منه عوبئيد
جدّ داود •

وفي السّفنر بالإضافة إلى هذه القصة وصفٌ للحياة القروية ، حيث اتصلت راعوث ببوغز في مزارعه بالريف • وهذا السفر من الأسفار التي لقيت عناية كبيرة من الغربيين واهتم به كثير من الأساتذة والقصصين والكتاب والشعراء •

أسفار الملوك الأربعة :

تشمل هذه الأسفار ما أسمته الكنيسة البروتستانتية صموئيل الأول والثانى والملوك الأول والثانى ، وتتحدث هذه الأسفار عن سيرة شاول أول ملوك بنى اسرائيل ، وأشبوشب ابنه ، وداود ، وأبشالوم بن داود نائراً في حياة أبيه ، ثم - بعد أبيه - في حياة سليمان بن داود ، كما تتحدث عن ملوك الدور الثانى بعد انقسام دولة بنى اسرائيل ، وفي هذه الأسفار حديث فياض عن الخلاف بين شاول وداود ، ثم عن هرب داود ، ثم هزيمة شاول ، وانتقال الأمر إلى داود الذى احتل عاصمة شاول وهى حبرون « الخليل » ، ثم استيلاء داود على اورشليم التى أصبحت تسمى مدينة داود ، وفيها كذلك حديث اتصال داود بزوجته أوريا ، وعن الخلافات التى دبت ضد داود في أواخر أيامه ، ثم عن سليمان وتغلبه على الأحداث في مطلع عهده ، وبناء الهيكل ، وصلته بملكة سبأ ، وقصص حريمه اللاتى استملن قلبه إلى آلهتهن ، ثم حديث عن نهاية سليمان ، وما تلا ذلك من انقسام دولة اليهود إلى مملكتين ، وحروب واسعة النطاق بينهما ، أو بين كل من دولتى اليهود من جهة وبين الممالك المجاورة في الشمال أو الجنوب من جهة أخرى •

أخبار الأيام الأول والثاني :

يلاحظ من يطالع العهد القديم أن سفر أخبار الأيام الثاني ينتهي بالعبارة الآتية : « وفي السنة الأولى لقورش ملك فارس ، لأجل تكميل كلام الرب بفم إرميا . نبه الرب روح قورش ملك فارس ، فأطلق نداء في كل مملكته وبالكتابة أيضاً ، قائلاً : هكذا قال قورش ملك فارس ، إن الرب إله السماء قد أعطانى جميع ممالك الأرض ، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا ، مَنْ منكم من جميع شعبه ليكن إلهه معه ويصعد » وهذه العبارة نفسها هي التي يبدأ بها - بتغيير طفيف أحياناً - سفر عزرا الذي يتلو سفر أخبار الأيام الثاني ، وقد دعت هذه المسألة بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن سفرى أخبار الأيام الأول والثاني كانا في الأصل يكوّنان مع سفر عزرا كتاباً واحداً في التاريخ .

وسفرا الأخبار يحويان محتويات لا تختلف كثيراً عن المحتويات التي وردت في أسفار موسى ، وفي أسفار الملوك ، ففي سفر الأخبار الأول حديث عن آدم وأولاده ، وعن الملوك الذين ملكوا أرض إدوم قبل إسرائيل . ويبدأ الإصحاح الثاني عدداً لبنى إسرائيل من الأجداد إلى الأحفاد بتفاصيل واسعة حتى عهد داود وسليمان ، وابتداء من الإصحاح العاشر يتكلم السفر عن ملوك بنى إسرائيل بعد الانقسام حتى السبي ، وعلى العموم فإن هذين السفرين اقتبسا أكثر ما بهما من مادة من الأسفار التي أوردنا الحديث عنها من قبل .

عزرا ونحميا :

يُنسب سفر عزرا إلى عزرا الكاهن ، ويبدو أنه عزير الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ، ويقص هذا السفر قصة عودة بعض المسيبين من بابل إلى أورشليم ، ثم يجيء - في بعض النسخ - سفر يحمل الاسمين

معا « عزرا - نحemia . » ويلى ذلك سفر نحemia ، ولو تتبعتنا الأحداث التاريخية لكان سفر نحemia جديراً بالتقدم على سفر عزرا . لأن نحemia سبق عزرا في الحضور إلى أورشليم ، ولكن يبدو أن شخصاً واحداً هو الذى أَلَفَ سفر أخبار الأيام بقسميه وكذلك الأسفار المنسوبة لعزرا ونحemia ، وكان ذلك حوالى سنة ٣٠٠ ق م أى بعد عزرا ونحemia بأكثر من قرنين . وذلك على الرغم من ان في سفر نحemia عبارات كثيرة يتحدث فيها الكاتب عن نفسه متقماً شخصياً نحemia ، وقد قدّم سفر عزرا لأهمية هذا الكاهن في التاريخ اليهودى ، ولأنه بعد أن حضر سبق نحemia في المكانة ، وكان له قصب السبق في إعادة بناء الهيكل .

وقد تمكن بذكائه وحسن سياسته من أن يؤثر على ملك الفرس فأذن له بالذهاب إلى أورشليم ، لإعادة أسوارها وبناء أبوابها وتشبيد قلاعها ، وقد تمكن نحemia من إعادة بناء السور ، ثم جاء عزرا ومعه ألف وثمانمائة شخص إلى أورشليم ، وكان من بينهم رجال المعبد لإعادة شريعة يهوه ، وأصبح عزرا نائباً عن الملك ، يُعين الموظفين ويوقع عليهم العقوبات ، وهكذا قام عزرا بحركة إصلاح دينى في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكانت حركة معززة بالسلطة الحكومية التى كان يُمثلها عزرا في نفس الوقت ، ويحوى السفر قانوناً ، يفرض على الشعب الطاعة العمياء لعزرا ، لأنه يؤيد شريعة موسى ، كما يسرد السفر أعمال الإصلاح الدينية والاجتماعية التى تنسب إليه ، ويُعد سفراً أخبار الأيام وسفراً عزرا ونحemia سلسلة متكاملة مستقلة تشمل تاريخ العالم من آدم إلى عزرا % حتى ليتمكن بها الاستغناء عن باقى الأسفار التاريخية مع شىء من الاختصار ، وسفراً عزرا ونحemia هى أقدم الأسفار التى تتحدث عن اليهود بعد النفى .

أستير :

سُمِّيَ هذا السفر باسم امرأة يهودية جميلة اسمها أستير ، رآها ملك الفرس واتخذها له زوجة ، وقد استطاعت أن تقرّب بين الملك وزوجها

وبين ابن عم لها اسمه مردخاي ، وكان للملك وزير اسمه هامان كان
الفرس يسجدون له ويعظمونه ، ولكن مردخاي - اعتماداً على ابنة عمه
الملكة - رفض أن يسجد مع الساجدين ، وأخذ هامان لذلك يُدبّر مؤامرة
للقتاء على اليهود ، فاستصدر من الملك قراراً بالتكيد بهم لأنهم خونة .
وعين يوم الثالث عشر من آزار للقتاء عليهم وأعدّ مشنقة خاصة
لمردخاي ، ولكن استير وابن عمها استطاعا أن يرصما خطة يُظهران بها
للملك خيانةً ضده يُدبّرهما له هامان وزيره ، فاصدر الملك أمره بقتل
هامان وأتباعه ، وقتل هامان على المشنقة التي كان قد أعدها لمردخاي ،
وبلغ عدد من قتلهم اليهود في اليوم الثالث عشر من آزار خمسة وسبعين
ألفاً من الفرس ، وصار اليوم التالي « الرابع عشر من آزار » عيداً
من أعياد اليهود حتى اليوم ، وليست أُستير قصة تاريخية ، وإنما هي
أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق للنساء الإسرائيليات أن يتخذن من
جمالهن وسيلة لخدمة بنى اسرائيل ، وخدمة أغراضهم .

أيوب :

قلنا فيما سبق إن قصة أيوب الواردة في العهد القديم فيها
عناصر قصة أيوب التي أوردتها القرآن الكريم ، ولكن العهد القديم
يصوّر أيوب حائراً بين الرضا والثورة ، فهو أحياناً يرضى بما نزل به ،
وأحياناً يثور ويتساءل : لماذا نزل بي كل هذا ؟ فأيوب مؤمن بالله راض
بما قسم له ، ولكن كان هناك - على حد تعبير السفر - رهان بين الله
وبين الشيطان . ويحاول الشيطان أن يثير التساؤل والسخط في نفس أيوب ،
وينتصر الشيطان أحياناً بعض الانتصار فيصرخ أيوب « اليوم أيضاً
شكواي تمردٌ !! ضَرَبْتِي أَثْقَلُ مِنْ تَتَهْدِي ، مَنْ يَعْطِينِي أَنْ أَجِدَهُ ،
فَأَجِيءُ إِلَى كُرْسِيِّ أَحْسِنِ الدَّعْوَى أَمَامَهُ وَأَمْلَأُ فَمِي حِجْجاً ، فَأَعْرِفُ
الْأَقْوَالَ الَّتِي بَهَا يُجِيبُنِي ، وَأَنْهَمُ مَا يَقُولُهُ لِي ، أَبْكَرَةُ قُوَّةٍ يَخَاصِمُنِي .

كلا ١٠٠٠٠ كم لى من الآثام والخطايا ؟ اعلمنى ذنبى وخطيئتى . لماذا تحجب وجهك وتحسبنى عدوا لك ؟ أتُرعب ورقة مندفعة ؟ وتطارد تشأ يابسا ؛ لأنك كتبت على أموراً مرّة ، وورثتتى آثام صباى (٣) .

ويعتبر الدارسون الغربيون سفر أيوب من أمتع الأسفار من الناحية الفلسفية والأدبية ، ويقول عنه كارليل : هو كتاب نبيل . وهو كتاب الناس أجمعين ، وهو أول وأقدم شرح لتلك المشكلة التى لا آخر لها ، مشكلة مصير الإنسان وتصرف الله معه على ظهر هذه الأرض (٣) . ويعلق ون ديورانت على ما قاله كارليل بقوله : إن هذه المشكلة قامت بسبب اهتمام العبرانيين بأمور هذه الدنيا ، ذلك أنه لما كانت الجنة لا وجود لها فى الديانة اليهودية القديمة ، فقد كان من الواجب المحتم أن تتال الفضيلة ثوابها فى هذا العالم ، وإلا لم يكن لها ثواب على الإطلاق . ولكنهم كثيراً ما كان يبدو لهم أن الأشرار ينجحون ويفوزون ، وأن أشد الآلام قد نزلت بخيار الناس ، فلم إذا - كما يقول كاتب المزامير - هؤلاء هم الأشرار يكثر ثروة (٤) ولم يخفى الله نفسه ولا يعاقب الأشرار ويشيب الأخيار (٥) .

المزامير :

سمى السفر بذلك الاسم لأنه يحوى مجموعة من الأغاني تُنشَد بمصاحبة المزامير ، فهذا السفر يُنظر ما يُعرَف فى العربية بالتهاليل والتواشيح والتسابيح ، وبعض المزامير طقوس دينية ، وبعضها يتصل

(١) الاصحاح ٢٢ : ١ - ٦ .

(٢) الاصحاح ١٢ - ٢٦ .

(٣) Carlyle: Heroes and Hero-Worship p 280 .

(٤) الزمور ٧٣ - ١٢ .

(٥) ول ديورانت . قصة الحضارة ٢ ص ٣٦١ .

بالأعياد الإسرائيلية . وأكثر المزامير ترجع لداود . فله وحده ثلاث وسبعون مزموراً ، وبالسفر مزامير أخرى لسليمان ولآساف الذى كان رئيس المغنين فى عهد داود ، وتُنسب بعض المزامير لموسى . وفيما يلى مزمور منسوب إلى داود ، ووضعه فى الكتاب المقدس هكذا :

المزمور الخامس

لإمام المغنين على نوات النفخ ، مزمور لداود

لكلماتى أصغ يارب : تأمل صراخى استمع لصوتى ودعائى يا ملكى وإلهى لأنى إليك أصلى يارب . بالغداة تسمع صوتى ، بالغداة أوجه صلاتى نحوك وأنتظر .

لأنك لست إلهاً يُسرُّ بالشر ، ولا يساكنك الشرير ، لا يفند المفتخرون قدام عينيك ، أبغضت كل فاعلى الإثم ، رجلُ الدماء والغش يكرهه الرب ، أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك ، أسجد فى هيكل قدسك بخوفك .

يا رب اهدنى إلى برك بسبب أعدائى . سهل قدامى طريقك . لأنه ليس فى أفواههم صدق . جوفهم هوة . خلقهم قبر مفتوح . ألسنتهم صقلوها . أدنهم يا الله . ليسقطوا من مؤامراتهم بكثرة ذنوبهم ، طوح بهم لأنهم تمرّدوا عليك .

ويفرح جميع المتكلمين عليه . الى الأبد يهتفون وتظللمهم . ويبتهج بك محبوب اسمك لأنك أنت تبارك الصديق يارب . كأنه بتترس تحيطه بالرضا .

أسفار سليمان (الأمثال — الجامعة — نشيد الأناشيد) :

تنسب هذه الأسفار إلى سليمان ، وليست فى الحقيقة إليه ، فسفر الأمثال يحوى مجموعة من الأمثال لا تربط بينها رابطة ، وليس فى

أسلوبها وحدة أو تناسق ، فالسفر - غيما نعتقد - ليس من فعل شخص واحد ، ولا نتاج عصر واحد ، وإنما هو من الآداب الشعبية التي تتناقلها الأجيال وتُدخِل عليها كثيراً من الزيادة والنقصان .

وكما تعددت الأشخاص الذين ألفوا هذه الأمثال ، فإن موضوعاتها متعددة أيضاً ، فمنها أمثال دينية ، ومنها دنيوية ، ومنها أمثال للتحذير والإنذار ومنها ألفاظ وهجاء .

وبعض الأمثال تَرِدُ باسم سليمان كنصائح يوجهها لولده ، وبعضها تنسب لسليمان أيضاً ولكنها عامة ليست موجهة إلى أحد ، وبعضها تنسب إلى حكماء ، حُدِّدَتْ أسماءهم أو لَمْ تُحَدِّدْ ؛ ومن حدِّدَتْ أسماءهم « أجور بن ياقبة » وبعض هؤلاء يوجهون الأمثال نصائح لأولادهم وبعضهم يطلقونها إطلاقاً ، وبعض الأمثال تتصل بالملك « لوثيل » ، وهي عبارة عن نصائح أمه له لما صار ملكاً ، ويختتم السفر بمدح للزوجة الصالحة ، فهو يصفها بأنها « تفوق اللاليء ؛ بها يثق قلب زوجها ، فلا يحتاج إلى غنيمة ، تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها ، تفتح فمها بالحكمة ، وفي لسانها سنة المعروف ، تراقب طرق أهل بيتها ، ولا تأكل خبز الكسل ... الحُسْنُ غَيْسٌ والجمال باطل أما المرأة المتقية الرب فهي تَمْدَحُ (١) .

أما سفر الجامعة فهو أيضاً نوع من الشعر الذي يطلق عليه شعر الحكمة ، وهو قريب الشبه بالإصحاحات الأولى من سفر الأمثال ، حيث يتحدث حكيم له خبرة ومعرفة يسميه السفر « الجامعة » (٣) ، وقد يشاء أحياناً ويشكك فيما حوله فيتكلم بعبارات الشك والإلحاد

(١) انظر الإصحاح ٣١ .

(٢) الإصحاح ٢٢ : ٩ .

والزندقة ، مثل « قد يكون بارٌّ يَبِيدُ في بَرِّه ، وقد يكون شرير يطول في شرِّه ، لا تكن باراً وتكن حكيماً بزيادة ، لماذا تخربُ نفسك ؟ لماذا تموت في غير وقتك ؟ حسن أن تتمسك بهذا وألا ترُخى يدك عن ذلك ، مُنقَى الله يخرج منهما كليهما (١) » .

أما سفر نشيد الأناشيد فهو عبارة عن موضوع غرامى أو هو غزل بين يهوه وبين اسرائيل يرتله اليهود حتى اليوم في عيد الفصح . وقد قَبِل في الكتاب المقدس لأن فيه اسم سليمان ، والحقيقة أنه ليس له ، فهو أغان شعبية من وضع الشعب . ويرددها الشعب في عصور متعددة ، في مناسبات الزواج والزفاف .

أسفار الأنبياء :

وهي في النسخة الكاثوليكية ستة عشر سفرأ ، وتكاد تكون محتويات هذه الأسفار متشابهة ، فهي أحياناً مهاجمة لسلوك بنى اسرائيل ولعبوداتهم التى مالوا إليها دون يهوه ، وهي أحياناً تهديد لهم بالشر نظير سوء سلوكهم ، وبعضها يقتبأ بسقوط دولتهم ، وبعضها يحث على الخضوع للسلطات الخارجية ، وبعضها يتكلم عن المسيح المنتظر ، وهكذا ، وترد الفكرة مع أكثر من نبى أحياناً ، وليست نسبة هذه الأسفار للأنبياء دقيقة ، وليس وضع الأنبياء في هذه الأسفار متسلسلاً تاريخياً ؛ فعاموس الذى عاش في القرن الثامن قبل الميلاد يجيء بعد إرميا الذى عاش في القرن السابع قبل الميلاد . وسفر عويديا يصور رؤيا تلقى هذا فيها خطاباً من الرب يندد بإيادة كل رجل في جبل عيسو لأن أبناء عيسو جلروا على أبناء يعقوب ، وسفر حبقوق عبارة عن وحى تلقاه هذا النبى ومناجاة لربه ، وفيما يلي فقرات من الإصحاح الأول تشير إلى ما ذكرنا « الوحى رآه حبقوق النبى - حتى متى يارب أدعو وأنت

لا تسمع . أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلص (١) « ... » وفي سفر حجى ، ما يدل على أن « الرب كلف حجى ليكلم حاكم يهوذا وكاهنها الأكبر مندداً ببقاء بيته خراباً ، ويقولهم إنه لم يحن وقت بنائه بينما هم يسكنون في بيوت مغطاة » (٢) . وقد سبق لنا الحديث عن أكثر هؤلاء الأنبياء وكان ظهورهم في فترة الانقسام ، فالسبى ، فما بعد السبى .

المراثى :

يَرِدُ سفر المراثى بعد سفر إرميا ومنسوباً له ، وفيه يبكى إرميا حالة يهوذا وأورشليم ، وما نزل ببني إسرائيل من انحرافات ، والمصير السيئ الذى آلت له دولتهم ، ومما جاء في هذا السفر « ابتلع السيد - ولم يشفق - كل مساكين يعقوب ، نقض بسخطه حصون بنت يهوذا ، نجس الملكة ورؤساءها ، وأشعل في يعقوب ناراً ملتبهة تأكل من حولها ، مد قوسه كعدو ، نصب يمينه كمبغض ، وقتل كل مشتبهات العين في خباء بنت صهيون ، سكب - كنار - غيظه ، صار السيد كعدو ابتلع إسرائيل ... » (٣) .

الأسفار الزائدة بالنسخة الكاثوليكية

اعترفت الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٥٤٦م بأسفار لم تكن معترفاً بها قبل ذلك التاريخ ، أهمها الأسفار السبعة التى أشرنا لها من قبل والتي سنورد عنها بعض التفاصيل فيما بعد ، ويجدر بنا أن نوضح أن هذه الأسفار وضعت بعد الزمن الذى اتفق على أنه عصر العهد القديم ، فليس رفضها من بعض الكنائس لأنها أقل من سواها ، بل لأنها وضعت بعد « عصر العهد القديم » وبعضها كبير الأهمية لأنه يحمل دراسة تاريخية

(١) الإصحاح الأول : ١ - ٢ .

(٢) الفقرات الأولى من الإصحاح الأول .

(٣) الإصحاح الثانى ٢ - ٥ .

كسفرى المكابيين ، وبعضها أساطير يهودية كيهوديت التي لا تقل عن أسطورة أستير ، وفيما يلي تعريف بهذه الأسفار :

طوبيا :

أسطورة طوبيا كما وردت في العهد القديم تتلخص في أن رجلا اسمه طوبيا كان أسيراً في نينوى وفقد بصره هناك ، وكان له ابن اسمه طوبيا أيضاً ، وفي مدين كانت هناك امرأة جميلة اسمها سارا ، كان يعشقها عفريت يقتل كل من يتقدم للزواج منها ، حتى قتل سبعة من خطابها ، ثم أرسل الرب رسولا إلى طوبيا الأب أن يزوج ابنه من سارا ، وأعلمه أنه سيقضى على العفريت ، ورحل طوبيا الابن إلى نينوى وتم الزواج ، وفي السفر وصف لحفلة الزفاف وبه كذلك خطب وصلوات ونبوءات .

يهوديت :

تشبه أسطورة يهوديت أسطورة أستير التي تحدثنا عنها من قبل وتتلخص في أن نبوخذ نصر ملك آشور هاجم اليهود واستولى على المنابع التي تمد مدنهم بالماء ، وبدا أنه سيقضى عليهم ، وأوشكوا على الاستسلام ، لولا أن أرملة يهودية جميلة واسعة الحيلة اسمها يهوديت اتصلت بقائد نبوخذ نصر ، وفتنته بجمالها فأغرم بها واستسلم لها ، وفي إحدى الليالي انتهزت يهوديت فرصة فقده وعيه بسبب كثرة ما شرب من خمر فقطعت رأسه ، ونجحت قومها منه .

وليس هذا السفر تاريخياً ، وإنما هو أسطورة تصور آمال بني إسرائيل ، واتجاه حيّهم .

الحكمة :

ينسب هذا السفر إلى سليمان ، وهو في الحقيقة ليس له ، ويتجه مؤلف السفر إلى ملوك الأرض والجبابرة بها بالأا يعترفوا بمكانتهم ، وأن

يراعوا العدالة مع من يحكمون ، فالحكمة لا تأوى إلى جسد المذنب ، كما يتحدث السفر عن أثر الحكمة في الأحداث التاريخية منذ آدم حتى موسى .

يسوع بن سيراخ :

تنسب ليسوع أمثال كتلك التي تنسب لسليمان ، ويسوع هذا رجل يهودى من أورشليم كثير التجول والترحال ، له أسلوب رائع يصوغ به أفكاره عن الحكمة والرشد ، ويقرر يسوع أن مصدر الحكمة هو الله ، وأن الله يمنحها لبعض أحبائه . وفي السفر تعاليم أخلاقية وصور من السلوك ، وهو ينصح من يريد الكلام أن يستعد له ، ويرى من الحكمة ألا يستشير الإنسان حسوداً ، وألا يعطى الجسد ما يضره .

باروخ :

باروخ تلميذ إرميا ، وقد اختفى معه في الصحراء هرباً من رجال الدين اليهود الذين كانوا يعبدون بعل ويقدمون له الذبائح ، وسفر باروخ أشتات من الأفكار ، وليست به وحدة متناسقة .

المكابيون الأول والثاني :

يحوى هذان السفران تاريخ المكابيين الذي سبق أن ذكرناه في الباب الأول ، والسفران يشيدان ببطولة الأسرة المكابية ، وفي الكتابين حديث عن الإسكندر الأكبر وتراثه العقلى الذى عارضه اليهود ، وكانت هذه المعارضة من أسباب الخلاف بينهم وبين السلطة الحاكمة (١) .

دراسات عن العهد القديم

أوردنا فيما سبق تعريفاً بالأسفار ، ملاحظين واقع الأسفار التي بين أيدينا ، ولكن هذا الواقع يختلف مع الحق ، فأكثر الأسفار ألفها

(١) دكتور فؤاد حسنين : « التوراة » في امكنة متعددة .

غير من نُسِبَت إليهم أو قل نُسِبَت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين ، وتواريخُ تأليفها بعيدة عن الدقة ، وبها كثير من المتناقضات ، وكتبت لأهداف محددة لا لتصف الواقع ؛ وغير ذلك من المآخذ ، ومن ثم لزم أن نورد بعض الدراسات حول هذه الأسفار لنضعها في مكانها الصحيح :

الإسلام والعهد القديم :

يعترف الإسلام بالتوراة التي أنزلها الله على موسى ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم ، قال تعالى :

— الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس (١) .

— ومن قبله كتاب موسى (٢) .

وفيما عدا ما أنزله الله على موسى فإن الإسلام لا يعترف به فسفر يشوع وسفر القضاة والملوك ... ليست من الكتب المقدسة في نظر الإسلام ، والأنبياء السبعة عشر الذين أوردنا ذكرهم وتكلمنا عن أسفارهم هم أنبياء في نظر اليهود ولم يتعرض القرآن الكريم لهم ولا لكتبتهم بأى ذكر ، وقد سبق أن أوردنا في الباب السابق هجوم بعض هؤلاء الأنبياء على بعض ، ورميهم بعضهم بعضاً بالشعوذة والهوس والتظاهر ، لا بتراز الأموال بغير حق .

ونعود إلى التوراة التي أنزلها الله على موسى فنتساءل : أين هي ؟

ويجيئنا القرآن الكريم على هذا التساؤل بأن اليهود أهملوا بعضها فضاع ، وهرموا بعضها على نحو ما أرادوا ، قال تعالى :

(١) سورة آل عمران ، الايتان ٢ — ٣ .

(٢) سورة هود الآية ١٧ .

- يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به (١) .
- قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل (٢) .
- مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله (٣) .
- وفي الذكر الحكيم ما يوضح أن القرآن، الكريم حوى الأصول الصحيحة التي جاءت بها الأديان السابقة . قال تعالى :
- شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى (٤) .
- وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه (٥) .
- هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً (٦) .

ويقول المفسرون في تفسير الآية الأولى من هذه الآيات : إن الله شرع للمسلمين ديناً يحوى ما جاء به الأنبياء من نوح إلى عيسى (٧) .

ويقولون في تفسير الآية الثانية إن القرآن هو الصورة الأخيرة لكتاب الله الواحد ، المتحد الأصل والوجهة ، المسابير لحاجات البشر ، حتى إذا كشف للناس عن الحقائق الكبرى التي تقوم عليها أسس الحياة ،

-
١١. سورة المائدة الآية ١٣ .
 ١٢. سورة المائدة الآية ٦٨ .
 ١٣. سورة الجمعة الآية الخامسة .
 ١٤. سورة الشورى الآية ١٣ .
 ١٥. سورة المائدة الآية ٤٨ .
 ١٦. سورة الفتح الآية ٢٨ .
 ١٧. البيضاوى ص ٤٨٥ .

انقطع الوحي ليتصرف العقل البشرى في حدود تلك الحقائق الكبرى .
لا خوف من الزلزال ما دام يرعى تلك الحدود ، ومن ثمّ فكل الحكم يجب
ن يرجع إلى هذا الكتاب الأخير الذى يتضمن الباقي من شريعة الله كلها
في كل كتاب ، ويضعها في الصورة الأخيرة الباقية إلى يوم القيامة (١) .

ويقولون في تفسير الآية الثالثة : إن الله أرسل محمداً بالإسلام دين
التوحيد والحق الخالد ، ليعلو على الأديان والمعتقدات ، بأن يحوى أحسن
ما فيها وأن يضيف إلى ذلك ما فيه خير الإنسان في الدنيا والآخرة (٢) .

ويقرر التاريخ أن موسى عليه السلام كتب نسخة التوراة ووضعها
مع اللوحين في التابوت (٣) ، ومرت الأيام . وظهر في بنى اسرائيل كثير
من الفجرة والكفرة حتى جاء عهد سليمان وفتح التابوت بعد أن وُضع
في الهيكل ، فلم توجد به نسخة التوراة ، وإنما وجد اللوحان الحجران فقط ،
وقد جاء في الكتاب المقدس عن ذلك « ٠٠٠ لم يكن في التابوت إلا لوحا
الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بنى اسرائيل
عند خروجهم من أرض مصر (٤) » ، وحدثت بعد سليمان أحداث دينية
عجيبة ذكرناها فيما سبق ، وصلت إلى الردة وعبادة الأوثان ، وعبادة
آلهة الأوثام الجاورين ، وتعرض بيت المقدس للسلب والنهب والتدمير
عدة مرات ، وبنى مذبح للأصنام في فناء بيت المقدس ، ولم يعد هناك
ذكر للتوراة ولا صلة بها ، وبعد سقوط مملكة اسرائيل ، بقيت مملكة
يهودا تعاني صورا من الاضطراب والفوضى ، وكان اتجاهها غالباً إلى
الزندقة والكفر ، وقبيل سقوطها آل السلطان إلى الملك يوشيا (حوالى ٦٢٩
— ٥٩٨ ق م) ومال هذا إلى العودة للإيمان واتباع التوراة رجاء أن
يكون في هذا إنقاذ مملكته من الفوضى والدمار ، وكان يعاصره كاهن
اسمه حلقيا انتهز فرصة هذا الميل في الملك فادعى — بعد سبعة عشر عاماً

(١) في ظلال القرآن ج ٦ ص ٦٦ — ٦٧ .

(٢) أنظر النسفى والقرطبى والكشاف .

(٣) خروج ٢٥ : ٢١ .

(٤) الموك الاول ٨ : ٩ .

من حكم يوشيا — أنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس ، وأعطاهها شافان الكاتب (١) .

ولا يقبل الباحثون ادعاء حلقيا ، إذ لا يعقل أن توجد نسخة التوراة في بيت المقدس ولا يراها أحد قبل يوشيا ولا خلال السبعة عشر عاماً الأولى من حكمه ، ويرى الباحثون أن حلقيا انتهب فرصة ميل يوشيا إلى العودة لدين الله والعمل بالتوراة فكتب خلال هذه الأعوام السبعة عشر ما أسماه أسفار التوراة ، وليس ذلك ، الحقيقة إلا من مخترعاته ومما سمعه من أفواه الناس . بقى أن نذكر أن الباحث العلامة ول ديورانت يقرر أنه لم يبق لدينا من شريعة موسى سوى الوصايا العشر (٢) .

كتاب العهد القديم :

تنسب أسفار العهد القديم إلى هذه الأسماء التي ذكرناها مع كل سفر ، ولكن الحقيقة أن هذه التسمية غير صحيحة ، وأن هؤلاء الذين نسبت لهم الأسفار أو أكثرهم لم يكتبوها ، أو لم يكتبوا حرفاً منها ، وقد سبق أن أشرنا إلى هذا عند حديثنا عن بعض الأسفار ، وأبنا أن بعض من نسبت إليهم الأسفار ليس لهم وجود في التاريخ ، وإنما وضعت قصصهم وضماً لهدف معين ، وبعض الأسفار ليست في الحقيقة إلا أساطير وأغنيات شعبية لصقتها الكتاب ببعض الأنبياء أو المتبئين من اليهود .

وحقيقة القول أن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية ، لأنها كانت تختلف عما باثروا من طابع وخلق ، وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة .

ما الدليل على أن هذه الأسفار نسبت إلى غير مؤلفيها ؟

في الإجابة على هذا السؤال نورد بعض نماذج تؤيد هذه الحقيقة

(١) اقرأ « اظبار الحق » للعلامة رحمة الله الهندي ص ٢٢٢ — ٢٢٥

(٢) قصة الحضارة ج ٢ ص ٢٧١ .

دون شك . فمن الأسفار التي تنسب إلى موسى الآن ، نقرر أنه لا يوجد من قريب أو من بعيد ما يفيد أن موسى هو الذي جاء بها ، أو أنزلت عليه . بل على العكس من ذلك يوجد ما يقرر خطأ نسبة هذه الأسفار إلى موسى ، وفيما يلي اقتباسات من هذه الأسفار توضح خطأ هذه النسبة :

— جاء في سفر التثنية ما يلي : « فمات موسى عبد الرب في أرض مؤاب ، ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم » (١) وليس من المعقول أن يكتب موسى ذلك عن نفسه .

— وجاء في نفس السفر : « ولم يقيم بعدُ نبيٌ في بني اسرائيل مثل موسى (٢) » ومن الواضح أن مثل هذه العبارة لا تقال إلا بعد موت موسى بزمن ليس بالقصير .

— وجاء في سفر التكوين ما يلي : « وهؤلاء هم الملوك الذين مَكَّنُوا في أرض أدوم قبلما هلك ملكُ لبني اسرائيل » (٣) .

وهذه الفقرة تدل على أنها كتبت في عهد ملوك بني اسرائيل أو بعده ، وعهد ملوك بني اسرائيل متأخر عن موسى بعشرات السنين أو مئات السنين .

ومن هذا ندرك أن أسفار التوراة ليست من أسفار موسى ، وإنما نسبت له لكثرة ورود اسمه بها .

ويقول الباحث *W. S. Barr* عن سفر الخروج : إن هذا السفر الذي نقرؤه بين أسفار الكتاب المقدس ، لم يكتب إلا بعد فترة طويلة من الأحداث الواردة فيه ، وربما كانت هذه الأحداث محفوظة جيلاً عن جيل ، إذ كان بعضها ، كما لا يزال الحال حتى الآن ضمن التلاوة الدينية التي يرتلها رجال الدين في المناسبات وبخاصة في عيد الفصح (٤) .

(١) سفر التثنية ٣٤ : ٥ .

(٢) تثنية ٣٤ : ١٥ .

(٣) تكوين ٣٦ : ٣١ .

(٤) *God and Man in Early Israel* pp. 34-35. (٤)

فإذا تركنا أسفار موسى إلى سواها من الأسفار وجدنا نفس النتيجة ، فإن هذه الأسفار نسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين ، ويبدو أن المؤلفين كانوا متأخرين جداً عن نسبت لهم هذه الأسفار ، وقد قرر الكتاب الغربيون هذه الحقيقة ، ويرى بعضهم أن سفر يوشع كتبه إرميا ، وبين يوشع وإرميا أكثر من ثمانية قرون تقريباً ، ويرى آخرون أنه تصنيف صموئيل ، ويرى فريق ثالث أنه تصنيف فنيحاس (١) .

وسفر القضاة ينسبه بعض الكتاب الغربيين إلى حزقيال ، وينسبه آخرون إلى عزرا ، وينسبه فريق ثالث إلى فنيحاس ، وبين عزرا وفنيحاس أكثر من تسعة قرون (٢) ، وسفر دانيال لا يمكن أن يكون قد كتب في ذلك الزمن البعيد الذي عاش فيه دانيال ، أي عندما سقطت بابل في يد الملك الفارسي قورش سنة ٥٣٨ ق م ، بل لابد أن يكون هذا السفر قد كتب بعد ذلك بثلاثة قرون أو أربعة للأسباب التالية :

١ - يتضمن هذا السفر كلمات مقدونية ، مع أن اليهود في زمن الأسر البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونانيين بعد ، ولاصت أسماهم اللغة اليونانية .

٢ - فيه وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق على عصر الإسكندر .

٣ - اقتبس طرناً من أقوال إرميا وحزقيال وزكريا مع أن هؤلاء الأنبياء لم يكونوا قد وجدوا إبان الأسر البابلي (٣) ، والأسفار المنسوبة إلى سليمان ليست إليه كما سبق أن ذكرنا عند التعريف بالأسفار ، ومثل هذا يقال عن كل الأسفار أو أكثرها ، وقد تعرض لهذا الموضوع العلامة ول ديورانت وكتب عنه موجزاً يمكن أن نقبسه ، قال هذا الباحث :

(١) انظر هذه الآراء في اظهار الحق للعلامة رحمة الله الصندي ص ٦٦ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٦٨ .

(٣) انظر محنة التوراة على أيدي اليهود لعصام الدين حفني ناصف ص

كيف كتبت هذه الأسفار ؟ ومتى كتبت ؟ وأين كتبت ؟ .

ذلك سؤال كتبت في الإجابة عنه آلاف المجلدات ، ولكن يجب أن نفرغ منه هنا في فقرة واحدة ، فإن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين ، وقد كتب بعضه في يهوذا وبعضه في إسرائيل ، ثم تمّ التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود ، والرأى الغالب أن سفر التثنية من كتابة عزرا ، ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالى عام ٣٠٠ ق.م .^(١)

الأسر البابلى وأثره على العهد القديم وعلى اليهود :

يقرر Wellis أن أسفار العهد القديم جُمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد ^(٢) ، ويربط رأيه ذلك بأهمية الأسر البابلى على اليهود ، فيقرر أن اليهود لم يكونوا قبل الأسر شعباً متحضراً ولا متحداً ، وربما لم يكن فيهم إلا قلة ضئيلة تستطيع القراءة والكتابة ، ولم يظهر في تاريخهم قط أن أسفاراً كانت تُقرأ قبل الأسر ، ولكن الأسر البابلى مدّتهم ووحدهم وأبرز حاجة الشعب العبرانى إلى جمع تاريخه ، ورسم تقاليده وتنميتها فبدعوا يدوّنون الأسفار من مصادر مختلفة لهدف واحد هو خدمة مستقبلهم ، فلما عادوا من الأسر ، كانوا شعباً يختلف اختلافاً عظيماً عن الشعب الذى خرج ، مما يصدّق عليه ما يقوله المؤرخون من أن التوراة هى التى صنعت اليهود وليس اليهود هم الذين صنعوا التوراة ^(٣)

ويذكر Wellis في كتابه Outline of History ما يزيد هذا الموضوع إيضاحاً ، وهاك عبارته : والحقيقة المجردة المستخلصة من رواية

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ج٢ ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

(٢) A Short History of The World p. 89.

(٣) Ibid pp. 90, 94, 96.

الكتاب المقدس ، هي أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجاً ، وعادوا منها ممدنين ، خرجوا جمهوراً مختلطاً منقسماً على نفسه ، لا يربطه وعى ذاتى وطنى ، وعادوا بروح قومية شديدة ، وجنوح إلى الاعتزال ، ذهبوا وليس لهم أدب مشترك معروف بينهم كافة ، وليس هناك ما يدل على تعودهم تلاوة أى كتاب ، وعادوا إلى وطنهم ومعهم شطر كبير من مادة « العهد القديم » وواضح أن اليهود بعد أن تخلصوا من ملوكهم القتل المتنازعين ، وبعدوا عن السياسة ، وعاشوا في ذلك الجو الباعث على النشاط الذهنى فى العالم البابلى ، فإن العقل اليهودى ما لبث فى أثناء مدة الأسر أن خطا إلى الإمام خطوة عظيمة (١) .

ذلك موجز القول عن ظروف تدوين الأسفار ، أما كتابها فكثيرون ، ويبرز من بين الكتاب إسم الكاهن عزرا ، مرتبطاً بتدوين التوراة ، ويذكر Hosmer أن عزرا هو الذى — فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد — قاد جماعة من اليهود إلى فلسطين حيث استعاد بها الحياة اليهودية ، وهو الذى أبرز أجزاء كثيرة مما سمي فيما بعد بالعهد القديم ، وقد أكمل الكهنة الذين جاءوا بعد عزرا ما بدأه هذا الكاهن ، وفى عهد المكابيين كانت أجزاء العهد القديم قد وجدت تقريباً ، ولكنها لم تكن وضعت فى نظامها المعروف الآن ، كما أنها لم تكن فى مستوى واحد من حيث الإجلال والتقدير (٢) .

ويروى العلامة رحمة الله الهندى أقوال بعض المؤرخين الغربيين التى تقرر أن توراة موسى ضاعت ، فأوجدها عزرا مرة أخرى بإلهام (٣) . ويبدو أنه بسبب دعوى الإلهام هذه ، وبسبب جهود عزرا فى إعادة بناء الهيكل ، سُمى اليهود عزرا « ابن الله » .

Outline of History p. 270. (١)

The Jews pp 75-76 (٢)

(٣) انظر هذه الأقوال فى اظهار الحق ص ٣٢٨ — ٣٢٩ .

على أنه ليس مستبعداً أن تصح نسبة بعض الأسفار المتأخرة إلى من نسبت إليهم ، فبعد العودة من الأسر وبعد عهد عزرا بدأ التدوين ، واتجهت العناية إلى كتابة الأسفار ، فلما جاء عهد تحقيق الأسفار رُجِّحَ كثير من هذه الكتابات في العهد القديم . ولا تزال هناك أسفار يرفضها البروتستانت المسيحيون حتى العهد الحاضر ، وهناك أسفار أخرى يرفضها البروتستانت والكاثوليك ويعترف بها اليهود أو يعترفون ببعضها كما سبق القول .

مصادر العهد القديم :

إذا ثبت لنا أن الوحي ليس المصدر الحقيقي للأسفار العهد القديم لتي بين أيدينا ، فما المصادر الحقيقية لهذه الأسفار ؟

يبدو من الدراسة الفاحصة أن هذه الأسفار من صنع أجيال متعددة . وأن فترة التدوين بدأت من عهد عزرا واستمرت بعده ، وأن الكهنة كانوا يعتمدون على ما سمعوه وما تلقاه الخلف عن السلف من أخبار وأساطير وأقوال ، وكثيراً ما كان الكهنة يكتبون ما يجيش بصدورهم أو ما يأمنونه على أنه حقيقة واقعة ، أو تاريخ سابق ، وليس ذلك في الحقيقة إلا تصديقاً للخيال ، وإلا من الوهم الذي يتخذ في نفس الواهم صورة الحقائق المقررة ، ومن ذلك جاء في سفر صموئيل من أن داود ذهب ليسترد سلطته عند نهر الفرات (١) .

ومن الواضح أن داود لم يصل بسلطانه إلى الفرات ولم يقرب منه ، وأين نهر الفرات من فلسطين ؟ وليس ذلك إلا وليد الخيال (٢) .

ومن المصادر المهمة للأسفار قرارات المحافظ اليهودية ، فعلى مرّ التاريخ كان زعماء اليهود يدفعون بقراراتهم لتصير جزءاً من الأسفار

(١) الإصحاح الثامن الفقرة الثالثة .

(٢) محمد عزه دروزة : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ج ٢ ص ١٨٨ .

المقدسة^(١) . وعندما اتخذت الأسفار المقدسة وضعها النهائي قبيل الميلاد . ثم يتوقف زعماء اليهود عن محاولاتهم تجاه تقديس قراراتهم ، فدفعوا بها إلى التلمود . ثم بعد ذلك إلى بروتوكولات حكماء صهيون ، وليس هذا وذلك بأهل عندهم من العيد القديم قداسة وجلالا .

ويقرر ول ديورانت أن أساطير الجزيرة العربية ، كانت معينا غزيرا لأسفار العيد القديم ، فمن هذه الأساطير أخذت قصص الخلق والظوفان التي يرجع عهدها في البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد . والراجح أن اليهود أخذوها من مصادر سامية وسومرية قديمة ، كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى ، ويقول ول ديورانت كذلك إن القصص الشعبية العالمية كانت مصدرا من المصادر التي اقتبس منها كتاب أسفار العهد القديم . فقد كان في مصر والهند والتبت وبابل وبلاد الفرس واليونان والمسيك وغيرها من البلاد ، قصص "شعبية عن الجنة وما فيها من نعيم ، وما فيها كذلك من الأشجار المحرمة والأفاعي ، وقد سلبت هذه الأشياء الخلود من الناس ونزلت بهم إلى الأرض ، وأكبر الظن أن الحية والتينة كانتا رمزين للشهوات الجنسية ، تلك الشهوات التي تقضي على الطهر والسعادة وتسبب الشرور ، وقد برزت هذه الفكرة في سفر الجامعة ، ويوضح ول ديورانت أن المرأة اتخذت في معظم القصص العالمية أداة للشيطان ، ويبرز اسم بوسى في الأساطير الصينية ، ويقرر القاصي الصيني « شيجنك » أن كا ، الأشياء كانت في باءىء الأمر خاضعة للإنسان ، ولكن المرأة ألفت بنا في ذل الاستعباد ، فشقائنا لم يأتنا من السماء بل جاءت به المرأة التي أضاعت الجنس البشرى ، ويضيف ول ديورانت أن قصة الطوفان أيضا كانت واسعة الانتشار في الأدب الشعبي ، فلا يكاد يوجد في الأمم القديمة أمة لم تعرفها ، وقلما وجد جبل في آسيا لم يرس

(١) عبد الرحمن سامي : الصهيونية والماسونية ص ٦١ .

عليه راكب السفينة الذي قدر له أن ينجو من الطوفان (١) .

ويُعد الفكر المصري أيضاً مصدراً رئيسياً لأسفار العهد القديم . وقد وضع أدولف إيرمان Adol. Erman هذا الموضوع في بحثه القيم الذي تقدم به سنة ١٩٢٤ إلى المجمع العلمي البروسي ، وعنوانه « مصدر مصري لأمثال سليمان ، وتكلم في هذا البحث عن مؤلّف لحكيم مصري اكتشف حديثاً على أوراق البردي ، وقد وضع هذا الحكيم نصائحه في ثلاثين باباً وساقها في صورة نصائح والد لولده . وهو نفس الطريق الذي سلكه حكماء الشرق منذ القدم ، وقد تكررت هذه الحكم بشكل واضح في سفر الأمثال (٢) . ويلاحظ كثير من الكتاب أن المعاني التي ذكرها اخناتون في قصيدته عن الشمس تكررت كذلك في أسفار العهد القديم (٣) .

ومن مصادر العهد القديم الرئيسية الفكر البابلي ، وقد عثر القائمون بالحفائر الحديثة على نصوص بابلية ، تروى كلا من قصتي الخليقة والطوفان ، وهي نصوص ترجع إلى زمن يسبق عودة اليهود إلى فلسطين ، ومن ثم فإن نقاد الكتاب المقدس يُحاجثون بأن اليهود استولوا في أثناء أسْرهم على تلك الفصول ، وهي قوام للإصحاحات العشر الأولى من سفر التكوين ، ومن المصادر البابلية التي عثر عليها نصوص تُعدّ مرجعاً هاماً لقصة شمشون ودليلة وسواها من قصص العهد القديم (٤) كما أن ترانيم التوبة البابلية قد اقتبست في بعض هذه الأسفار (٥) .

ويقول الأستاذ العقاد عن المأثورات الفارسية في الفكر اليهودي

ما يلي :

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٦٨ : ٣٦٩ .

(٢) انظر . « التوراة » للدكتور فؤاد حسنين ص ٦٨ — ٦٩ .

(٣) محنة التوراة ص ٧٥ .

(٤) Wells : The Outline of History pp. 275. 291 .

(٥) محنة التوراة ص ٥٧ .

قصة الخليقة في العقائد الاسرائيلية الأولى تتلاه قصة الخليقة في
الواح بابل . وعقيدة « المخلص » المنتظر موجودة في الديانة الفارسية
وموجودة في الديانة الإسرائيلية ... وكان البابليون يؤمنون بأن الإنسان
سار على سبعة أرب . ودمح يهي جنود كسور التراب ، فبحث عن شجرة
الفناء (١) .

على أن أهم مصدر اعتمدت عليه أسفار العهد القديم هو تشريع
« حمورابي » الذي يرجع تاريخه إلى نحو ١٩٠٠ ق م وقد اكتشف في سنة
١٩٠٢ م محفوراً على عمود من الصخر الأسود ، وتشريع حمورابي ، أقدم
تشريع سامي معروف حتى الآن ، وهو يدل على عقلية بلغت شأوا عظيماً
من الرقى والنضج ، ثم إن هناك شبيهاً شديداً بينه وبين القوانين اليهودية ،
وهذا الشبه ليس سطحياً ولا عرضياً ، بل يتناول اللحمة والسدى واللبن
والجوهر ، وحتى اللفظ والتراكيب ، ولذا ذهب كثير من العلماء وفي
مقدمتهم Jeremias إلى أن القوانين الإسرائيلية في معظمها مأخوذة مباشرة
من تشريع « حمورابي » (٢) ، ومن أبرز ما اتضح في تشريع حمورابي
وتحدّر إلى الفكر الاسرائيلي « قانون المشابهة » الذي يوجد علاقة بين
الجريمة والعقوبة ويكّزم أن تكون العقوبة مضارعة للجريمة وأن تكون
مثلها بقدر الإمكان ، فالعضو الذي يُحدّث الضرر يكتفى العقاب ،
فكانت اليد التي تخطئ أو تسرق تعاقب بالقطع ، فإن زكّت يد الجراح
فسببت وفاة المريض أو فقأت عينه ، قطعت يد الطبيب ، وإذا جرى لسان
بالغيبة أو النميمة فبتره هو العقاب ، وإذا هجم رجل على آخر فأضر
ببعض أعضائه ، كان العقاب في مثل الموضع المصاب ، وكذلك كانت الحال
في البضائع والأموال ، فالسلعة بالسلعة ، والسفينة بالسفينة ، والثور
بالثور ، والضأن بالضأن ، وما إلى ذلك ...

(١) عباس محمود العقاد : الله ص ١١٧ .

The Old Testament in the Light of the Ancient East, (٢)

هذه تداخل من تشريع حمورابي . ونجدها في العهد القديم بنفسها
أو مع اختلاف يسير ، مما يدل على أن تشريع حمورابي كان صادراً مهماً
من مصادر العهد القديم (١) .

تحريف العهد القديم :

من الدراسات السابقة اتضح لنا أن الفساد سرعان ما تطرق لبني
اسرائيل بعد موسى ، واتضح لنا كذلك أن أسفار العهد القديم كتبت
متأخرة ، أي في عهد الفساد والاضطراب ، وأن كتابها ليديها هم الذين
أسندت لهم هذه الأسفار ، وليس الوحي صادراً لهذه الأسفار .
والنتيجة الواضحة لكل هذه المقدمات أن اليهود كتبوا التوراة انعكاساً
لأخلاقهم ولآمالهم ، وبنوا لها هدفاً يحققون به مقاصدهم . ومن هنا
ازدحمت الأخطاء في العهد القديم وتوالت ، وقد عنى كثير من الباحثين
بإبراز أخطاء العهد القديم ، وإيضاح ما به من خلط وتضارب .

والنظرة السريعة للعهد القديم توحى أن الهدف الأسمى الذي أراده
بنو اسرائيل من الكتاب المقدس ، كان تبرئة بني اسرائيل من العيوب ،
وتلويث سواعم من الشعوب ، فأحد ابني آدم كان ضالاً وكان الآخر
مهتدياً ، ومن المهتدي ينحدر بني اسرائيل ، وأبناء نوح الذين نجوا من
الغرق كانوا ثلاثة ولكن بني اسرائيل يكثرهم الهجوم على حام بن نوح
ويسخطون عليه لا لشيء إلا أنه أبو الجنس الذي انحدر إلى مصر وما

(١) هناك نصوص من « تشريع حمورابي » تقارن بما ورد في سفر الخروج
٢١ : ٢٣ - ٢٦ وما ورد في سفر التثنية ١٩ : ٢١ وسفر اللاويين ٢٤ :
١٧ - ٢٢ .
وانظر « النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والامم السابقة »
للدكتور محمد محمود جمعه ص ١٨٦ وما بعدها .

يليه من الجنوب ، وكراهية بنى اسرائيل لمصر قديمة وعريقة ، ويصعب سفر التكوين المسخط على كنعان بن حام بن نوح ^(١) لأن الكنعانيين حاربوا العبرانيين ، فلما دون هؤلاء العهد القديم ، خصوا الكنعانيين بسخط الله ، كأن الله يسخط على من سخطوا عليه ويرضى على من رضوا عنه .

وهكذا كتبت أسفار العهد القديم باسم الله والله منها برىء ، إنها في الحقيقة صدى لانفعالات اليهود وأحاسيسهم .

وبهذا السبب وبسبب كثرة الكتاب الذين اشتركوا في تدوين العهد القديم ، كثرت الأخطاء فيه ، ويمكننا أن نعطي منها بعض نماذج :

— لم يكن للمعدم مدلول دقيق في أسفار العهد القديم ، فقد ورد في سفر الخروج أن إقامة بنى اسرائيل في مصر كانت ٤٣٠ سنة ، وهي في الحقيقة ٢١٥ سنة وقد اعترف مفسرو العهد القديم بوقوع الخطأ في هذا الرقم ، وعدد الرجال الذين بلغوا سن العشرين قبيل خروج موسى من مصر كما ورد في سفر العدد لا يمكن عقلا أن يكون صحيحاً ، فقد كان عدد بنى اسرائيل عند دخولهم مصر سبعين ، ومحال أن يصيروا في مدى قرنين آلافاً كثيرة أو ملايين . وهكذا .

— ورد في أسفار التوراة ما يقرر أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع ، وهاك نص العبارة : « مَثَمَّتَقْد » إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع ^(٢) ، وفي سفر حزقيال ما يعارض هذا الاتجاه ، فقد جاء به « النفس التي تخطىء هي تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، برء

(١) تكوين ٩ : ٢٥ - ٢٦ .

(٢) خروج ٢٤ : ٢ وثنية ٥ : ٩ وعدد ١٤ : ١٨ .

عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون » (١) وهذا تناقص واضح .

— تختلف الأحكام اختلافاً واضحاً وصريحاً من سفر إلى آخر . ويبدو ذلك بمقارنة الإصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد ، بالإصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال .

— في سفر أخبار الأيام الثاني وردت الفقرة التالية «... لأن الرب ذلك يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل » (٢) ، ولفظ اسرائيل غلط يقيناً لأن آحاز كان ملكاً ليهوذا لا لاسرائيل ، ومثل هذا الخطأ وقع في الإصحاح الأخير (الإصحاح ٣٦) من هذا السفر فقد ورد به أن نبوخذ نصر عزل يهوياكين ومثله صدقيًا أخاه (٣) ، والحقيقة أن صدقيًا كان عم يهوياكين لا أخاه ، ولذلك صحح مترجمو العهد القديم هاتين الكلمتين لتتفق الفكرتان مع الحق والتاريخ .

— تنص الفقرات السابقة على أن نبوخذ نصر أسر يهوياكين إلى بابل ، ولكن الحقيقة التاريخية أنه قتله في اورشليم وأمر أن تلقى جثته خارج السور ، ومنع دفنهما كما ذكر المؤلف اليهودي « يوسيفس » (٤) .

— وقع في الفقرة الثامنة والعشرين من الزبور الخامس بعد المائة في النسخة العبرانية العبارة التالية « لم يعصوا كلامه » وفي النسخة اليونانية جاءت هذه العبارة هكذا « وقد عصوا كلامه » وأحدهما خطأ يقيناً وقد اعترف بذلك مفسرو العهد القديم من الغربيين .

هذه نماذج قليلة مما في العهد القديم من خطأ واضطراب لم تقصد بها الحصر وإنما قصدنا مجرد التمثيل .

(١) حزقيال ١٨ : ٢ .

(٢) الإصحاح الثامن والعشرين الفقرة ١٩ .

(٣) الفقرات ٩ — ١١ .

(٤) انظر اظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي ص ١٢٧ .

أهمية العهد القديم :

يسمى اليهود أنفسهم شعب التوراة ولهذا يقرر باحثوهم أن أى شخص يفشل في دراسته للتوراة أو في التدرب على آدابها ، يجب أن يدفع عن هذا الفشل احتقاراً وازدراء ينصب عليه من كل بنى اسرائيل ، وعلى العكس من ذلك أولئك الذين برهنوا على مقدرتهم على استيعابها والانتفاع بآدابها ودراستها - فهؤلاء يكافئون بشرف التقدير والاحترام من المجتمع الإسرائيلي كله ، فإن الإحاطة بالتوراة هي الجوهرة التي لا تقدر بثمن ، وهي ثروة بنى اسرائيل ، وإذا فرض أن بنى اسرائيل سلبت أموالهم وأمتعتهم وكل مصادر ثرواتهم ، وبقيت لهم التوراة فإنهم الراحون ، وإن الثراء الذى ذهب لا يقاس بشيء إن قيس بالتوراة ما بقيت لهم ، وفي سبيل المحافظة على التوراة ورعايتها يرخص كل غال ويهون كل صعب . وإله اسرائيل سيكون خير عون لشعبه ما حافظوا على كتابه المقدس ، وكل جهد يبذل من أجل التوراة ويكون نصيبه الفشل ، فإن باذله لا بد أن يكون متأكداً من حسن الثواب من الله . ومع هذا فخدمة التوراة ينبغي ألا تقدم نظير جزاء ، بل ينبغي أن تكون متعة في نفسها ، وأن يترك الجزاء يجيء من نفسه من يهوه ومن شعب يهوه . ذلك هو إحساس اليهود تجاه التوراة وذلك هو ما يدور بخلداهم عن كتابهم المقدس (١) .

ويقتبس Arthur Hertzberg اقتباسات من الربانيين عن قيمة التوراة نورد هنا بعضها ، لنظهر إلى أى مدى كانت أهمية التوراة عند بنى اسرائيل ؛ يقول Arthur Hertzberg إن التوراة تضمن لدارسها والحيط بها أسمى مكانة في المجتمع الإسرائيلي ، فإن التوراة عند بنى اسرائيل كانت وجوداً ثانياً ، كانت دولة شامخة وروحانية رفيعة ، تضاهي

Guinebert : The Jewish World in the Time of Jesus (١)

أو تغنى عن دولتهم الدنيوية فقد أصبحت التوراة خلال مدة النفي مركزاً
التف حوله بنو اسرائيل ، وتبعوا إرشاداته في السر والعلانية . وإن المثل
الذى يقول « اسرائيل والتوراة شيء واحد » ليس مجرد مثل سائر .
ولا يستطيع غير بنى اسرائيل أن يدركوا كنهه . فمعنى التوراة فى أهميته
الوطنية لا يفهم لغير بنى اسرائيل ، ومحتويات التوراة ليست فقط ديناً
أو عقيدة أو أخلاقاً أو تشريعاً أو علماً بل ليست كل هذه مجتمعة ، إنها
شيء أكثر جداً من كل هذا عند بنى اسرائيل ، إنها حياتهم ودينهم فى
الماضى والحاضر والمستقبل ، والتوراة - فى الفكر الإسرائيلى - الوسيلة
والأداة التى خلق بها العالم ، غيبا ولأجلها خلق الإله الدنيا . ولذلك
غبي أقدم من هذا العالم ، إنها أسمى فكرة ، وإنها الروح الحية
للدنيا كلها ، وبدونها ليس للدنيا بقاء ، ودراسة التوراة أهم عند بنى
اسرائيل من بناء معبد ، والإلام بها يضع صاحبه فى مكانة أسمى من
الكهنة ومن الملوك ، ودارسها يضمن لنفسه النجاح ، وبها يسمو
الإنسان على كل البشر ، ولو اشتغل بها وثنى فإنه يصبح فى مكانة أسمى
من مكانة الكاهن ، والفاسق الأثيم إذا حفظها يأخذ مكانة أسمى من رجل
الدين الذى يجهلها (١) .

التلمود

بين أيدينا مرجع يُعَدُّ مصدراً أساسياً عند الحديث عن التلمود ، ذلك هو « الكنز المرصود في قواعد التلمود » ومؤلفه هو الدكتور « روهلنج » الذي كان مدرساً بجامعة براغ ، وقد ترجمه من الفرنسية إلى العربية الدكتور يوسف نصر الله ، ومرجع آخر وثيق الصلة به وهو « التلمود شريعة إسرائيل » وسنقتبس منهما تعريفاً بالتلمود وموجزاً لأهم مباحثه .

تعريف بالتلمود :

قلنا عند الحديث عن الفريسيين إنهم يرون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة وإنما هناك بجانبها روايات شفوية تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل ... وتلك الروايات هي التي تعرف بالتلمود ، وبعد المسيح بمائة وخمسين سنة خاف أحد الحاخامات المسمى « يوضاس » أن تلعب أيدي الضياع بهذه التعاليم الشفوية وتلك الروايات المتناقلة ، فجمعها في كتاب سماه « المشنا » ومعنى كلمة « المشنا » الشريعة المكررة لأن المشنا تكرر لما ورد في توراة موسى ، وليس المشنا إيضاحاً وتفسيراً وتكميلاً لهذه الشريعة .

وفي السنين التالية أدخل حاخامات فلسطين وبابل كثيراً من الزيادات على ما دونه « يوضاس » وأتم الربّي يهوذا سنة ٢١٦ م تدوين هذه الزيادات والروايات الشفوية ، وأصبحت كلمة المشنا تضم كل ما كتب من عهد يوضاس إلى عهد الربّي يهوذا .

واستعصت المشنا على بعض القراء ، فأخذ علماء اليهود يكتبون عليها حواشي كثيرة وشروحا مسمّبة ، وسميت هذه الحواشي وتلك الشروح باسم « جمارا » .

ومن المشنا والجِمارا يتكوّن التلمود ، فالتلمود تعليم ديانة اليهود وآدابهم ، والمشنا الذي به زيادات لحاخامات فلسطين يسمى هو وشروحه « تلمود أورشليم » أما المشنا الذي به زيادات لحاخامات بابل فيسمى هو وشروحه « تلمود بابل » . وهو المتداول بين اليهود والمُراد عند الإطلاع (١) .

ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتاباً منزلاً ويضعونه في منزلة التوراة ، ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة ، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاهاً ، ولا يقنع بعض اليهود بهذه المكانة للتلمود ، بل يضعون هذه الروايات الشفوية في منزلة أسمى من التوراة ، ويرى بعضهم إلاّ خلاصاً لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط ، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى ، ويعدّثون التوراة خبزاً ويرون أن الإنسان لا يعيش بالخبز فقط ، وأن الأدم هو التلمود ، ويصرّحون بأن من يقرأ التوراة بغير المشنا والجِمارا فليس له إله .

وتضطرب آراء اليهود أحياناً وهم يضعون التلمود في تلك المكانة ، فلا يكتفون بما سبق أن أوردناه من أن التلمود منزّل ، بل يعلنون أن التلمود وإن كان أقوال الحاخامات ، فهو أيضاً في مكانة التوراة ، لأن أقوال الحاخامات هي قول الله الحيّ ، وأن الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء (٢) ، وإذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب لأن الذي يخالف شريعة موسى خطيئته قد تغفر ، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل (٣) .

(١) الكنز المرصود ص ٢٩ - ٣٠ . بتصرف والتلمود شريعة اسرائيل ص ١١ - ١٠ .
(٢) الكنز المرصود ص ٣٢ - ٣٣ والتلمود شريعة اسرائيل ص ١١ - ١٢ .
(٣) الكنز المرصود ص ٨٧ .

من نصوص التلمود

الله في التلمود :

يروى التلمود أن الله نَدِمَ لما أنزله باليهود وبالهيكل ، ومما يرويه التلمود على لسان الله قوله : تكبأ لى لأنى صرّحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى •

وليست العصمة من صفات الله في رأى التلمود ، لأنه غضب مرة على بنى اسرائيل فاستولى عليه الطيش ، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه ، ولم يُنفذ قسّمه لأنه عرف أنه فعلاً فعلاً ضد العدالة •

ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير ، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسنّ له شريعة فلم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها ، فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر في نفسه ، وبين الشريعة المرسومة إليه ، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا واتصاله بامرأته لأن الله هو السبب في كل ذلك (١) •

أرواح اليهود :

تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من أبيه • ويقول التلمود بالتناسخ ، وهو فكر تسرب لبابل من الهند ، وأخذها حاخامات اليهود من المجتمع البابلى •

اليهود والسلطة :

ينص التلمود على أنه يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع تسلط باقى الأمم فى الأرض ، لتصير السلطة لليهود وحدهم ، فإذا لم تكن لهم السلطة عُدّوا كأنهم فى حياة النفى والأسر ، ويعيش اليهود فى حرب مع باقى الشعوب حتى ينتقل لهم الثراء والسلطان من الجميع وحينئذ يدخل الناس أفواجا فى دين اليهود ويقتبلون جميعاً ماعدا المسيحيين لأن هؤلاء من نسل الشيطان (١) .

اليهود وغير اليهود فى التلمود :

جاء فى التلمود أن الإسرائيلى مُعتَبَرٌ عند الله أكثر من الملائكة ، وأن اليهودى جزء من الله ، فإذا ضرب أمى^٢ اسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية ، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان ، هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود ، ولليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم غير اليهودى ، والشعب المختار هم اليهود فقط ، أما باقى الشعوب فهم حيوانات ، ويرَوى التلمود أنه لما قدّم بختنصر ابنته الى زعيم اليهود ليتزوجها ، قال له هذا الزعيم : إنى يهودى ولست من الحيوانات . ويَعتَبَرُ اليهودُ غيرَ اليهود أعداء لهم ، ولا يجوز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم ، ويلزم التلمود بنى اسرائيل أن يفشّوا مَنْ سواهم فقد جاء فيه : يلزم أن تكون طاهراً مع الطاهرين وذنساً مع الدنسين . ويمنع التلمود اليهود أن يُحَيِّثُوا غير اليهود ما لم يخشوا ضررهم ، ويجوز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود ، ولا يجوز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود (٣) .

(١) الكنز المرصود ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٥١ - ٥٥ والتلمود شريعة اسرائيل ص ٢٥ .

اليهود والتملك :

ترى الأديان السماوية أن الدنيا والمال والثراء ملك الله ، ولما كان التلمود يقرر أن اليهود أجزاء من الله ، فإن اليهود لذلك يعتبرون أنفسهم مالكين لكل ما في الأرض من ثراء بالنيابة عن الإله ، وقد جاء في وصايا موسى : « لا تسرق مال القريب » وفسّر علماء التلمود هذه الوصية بجواز أن يسرق اليهودي مال الغريب أى غير اليهودي ، فسكّب ماله ليس مخالفاً للوصايا ، وسار الفكر اليهودي في التلمود على هذا النحو فعَدَّ سرقَةَ اليهودي مالَ غير اليهودي استرداداً لأموالٍ من سالبِها ، وآجاز علماء التلمود أن يبيع اليهودي شيئاً يملكه غير يهودي ، وللمشتري أن يتخذ الوسائل لوضع يده على ما اشتراه ، ويساعده كل اليهود ليحصل على حقه ، وجاء في التلمود نص يشرح هذه الفكرة شرحاً وافياً وهو : إن مَثَلَ بنى إسرائيل كَمَثَل سيدة في منزلها ، يحضر لها زوجها النقود فتأخذها وتنفقها دون أن تشترك معه في الشغل والتعب ، فعلى الأممين أن يعملوا لليهود أن يأخذوا نتاج هذا العمل .

ومن الوسائل التي يصطنعها اليهود ليستولوا على ثروات العالم الغش الذي آجاز التلمود استعماله مع غير اليهود في حالة البيع أو الشراء ، وقال الحاخام « رشى » : مُصرحاً لليهودي أن يغش غير اليهودي ويحالفه له أيماناً كاذبة .

ومن الوسائل كذلك عدم رد الأشياء المفقودة ، فقد جاء في التلمود أن الله لا يغفر ذنباً لليهودي يردّه للأممي ماله المفقود .

ومن الوسائل كذلك الربا الذي آجاز التلمود استعماله مع غير اليهود ، فقد جاء في التلمود : غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا (١) .

(١) التكنز المرصود ٥٦ و ٦٥ « بوجز » والتلمود شريعة اسرائيل ص

اليهود وأرواح غير اليهود :

ليست لأرواح غير اليهود حرمة لدى اليهود ، فقد جاء في التلمود :
محرم على اليهودي ان ينحس من اسم من اسميين من الأسماء التي في حرفة
حفرة يقع فيها . بل إذا رأى أحد الأميين يقع في حفرة لزمه ان يسدها
بحجر ، وقال « ميمانود » الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودي ، فإذا
رأيته واقفاً في نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أيها اليهودي ان تنقذه ،
لأن السكان الذين كانوا في أرض كنعان وقضت التوراة بقتلهم جميعاً لم
يقتلوا عن آخرهم ، بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض . ولذلك
يلزم قتل غير اليهودي لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين .

وينص التلمود على أن من العدل أن يقتل اليهودي كل أممي لأنه
بذلك يقرب قرباناً إلى الله (١) .

المرأة في التلمود :

قال موسى لا تشته امرأة قريبك ، فمن يزني بامرأة قريبه يستحق
الموت ، ولا يعتبر التلمود القريب إلا اليهودي فقط ، فإتيان زوجات
الأجانب جائز ، واستتج من ذلك الحاخام (رشي) أن اليهودي لا يخطيء
إذا تعدى على عرض الأجنبية لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد ،
لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل هي كبهيمة ، والعقد لا يوجد مع
البهائم وما شاكلها ، وقد أجمع على هذا الرأي الحاخامات (بشاي
وليفي وجرسون) فلا يرتكب اليهودي محرماً إذ أتى امرأة مسيحية ،
وقال (ميمانود) إن لليهود الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات أي
الغير يهوديات (٢) .

(١) الكنز المرصود ص ٦٦ - ٦٧ والتلمود شريعة اسرائيل ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٣ والتلمود شريعة اسرائيل ص ٤٤ و ٦٥ .

تقسيم في التلمود :

ينص التلمود على أن اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب لا تعتبر يمينا ، إذ كانه أقسم بحيوان ونفسك لحيا ان لا يعد يمينا . فإذا اضطر اليهودي أن يخطف لمسيحي له أن يعتبر القسم كأنه لا شيء ، ويجوز لليهودي الحلف زوراً إذا حوّل اليمين إلى جهة أخرى وبخاصة إذا كانت اليمين إجبارية كأن تكون أمام المساكم أو أمام خصم قوى .

وإذا سرق يهودي أجنبياً وكلفت المحكمة اليهودي أن يخطف اليمين حلف زوراً ، ويعيّن التلمود يوماً كل فترة يسمى يوم الغفران العام ، وفيه يُمحى كل ما ارتكبه اليهود من ذنوب ومن ضمنها الأيمان الزور (١) .

البهود والمسيح :

يقول التلمود عن المسيح : إن يسوع الناصري موجود في لجج الجحيم بين القار والنار وإن أمه مريم أتت به من العسكري « باندارا » عن طريق الخطيئة ، وإن الكنائس النصرانية هي مقام القاذورات ، والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة ، وإن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها ، وإن العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودي القيام به ، وإنه من الواجب أن يلعن اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني اسرائيل (٢) .

ويحدد التلمود أنواعاً من الطهر لا يصل لها اليهودي إلا باستعمال الذبائح البشرية من المسيحيين . وقد وقعت أحداث تؤكد أن أيدي اليهود تلوثت بدماء المسيحيين لهذا الغرض عدة مرات (٣) .

(١) الكنز المرصود ص ٧٤ - ٧٦ والتلمود شريعته اسرائيل ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) الكنز المرصود ص ١٩ .

(٣) انظر نماذج من ذلك في الكنز المرصود ص ٨٩ وما بعدها ونماذج أخرى في « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » للتائد عبد الله التل ص ٨٢ - ١٠٥ .

بروتوكولات حكماء صهيون

لا يزال واضعوا هذه البروتوكولات ووقت وضعها من أذرار
التي لم تُكتشف حتى الآن بوجه الدقة . ونذل الطواشر على وجود علانة
زمنية بين هذه البروتوكولات وبين نهاية القرن التاسع عشر ، وعلى
وجود ارتباط بين هذه البروتوكولات وبين مؤتمر « بال » الذي عقد
سنة ١٨٩٧ (١) .

ومرجع هذا الفهم أن هذه البروتوكولات عبارة عن مؤامرة
شريرة ضد البشرية ، ويبدو أنها كانت رد فعل لما عاناه اليهود خلال
القرن التاسع عشر من اضطهاد في أوروبا ، وما نزل بهم من جور وتعسف .
فتدارسوا في هذا المؤتمر - ضمن ما تدارسوه - وسائل الانتقام من
البشرية جميعاً التي اعتقد اليهود أنها اشتركت كلها بطريق أو بآخر في
إذلالهم والنيل منهم .

وبروتوكولات معناها محاضر جلسات . ويسميا بعض الباحثين
« قرارات » وتلتقى التسميتان إذ لاحظنا نصوص البروتوكولات ، وأنها
عبارة عن تقرير وضعه بعض الباحثين ، وأن هذا التقرير عرض على
المؤتمر في « بال » بسويسرة ، وأن المؤتمرين أقروه . فالبروتوكولات تقرير
بالنسبة لواقعها ، ومحاضر بالنسبة لوضعها على المؤتمرين في جلساتهم ،
وقرارات بالنسبة لقبولها وتأييدها .

وكانت هذه البروتوكولات مودعة في مخايب سرية . ولا يعرف
محتوياتها إلا الخاصة من اليهود الذين يعملون على تنفيذ ما جاء بها
بهدهوء وحسب تخطيط منظم ، ثم حدث اجتماع بين سيدة فرنسية مسيحية

(١) يرى بعض الباحثين أن هذه البروتوكولات كانت القرارات السرية
لمؤتمر بال ، أما القرارات العلمية فهي التي أعلنت عن ضرورة قيام دولة
للإهود في فلسطين ، وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في دراستنا السابقة .

وبين زعيم صهيوني كبير ، وتمّ هذا الاجتماع في وكر الماسونية بباريس ، ورات هذه السيدة بطريق الصدفة بعض هذه القرارات ، فذعبرت من محتوياتها . واستطاعت أن تختلس منها بعضها وتخرج بها من هذا الوكر ، وكان ذلك سنة ١٩٠١ ويبدو أن السيدة الفرنسية خافت أن تتهم بسرقة هذه الوثائق فعملت على أن تذاغ هذه الوثائق من مكان قصي هو روسيا القيصرية . وقد وصلت هذه الوثائق إلى رجل يهيم أمرها هو أليكس نيقولا نيفتشس كبير أعيان روسيا القيصرية . فسلمها إلى صديقه الأستاذ سرجي نيلوس الذي نشرها في العام التالي (أى سنة ١٩٠٢) باللغة الروسية . وعقب اكتشاف سرقة هذه الوثائق أعلن تيودور هرتزل الذي دعا إلى مؤتمر بال أنه قد سُرقَ من « قدس الأقداس » بعض الوثائق السرية التي قصد إخفاؤها عن غير أصحابها . وأن ذيوغها قبل الأوان يعرّض اليهود في العالم للخطر . فلما ظهرت هذه الوثائق مطبوعة عقب ذلك هبّ اليهود في كل مكان يعلنون أنها مختلقة عليهم وينكرون صلتهم بها ، ولكن هذا الإنكار لم يكن ذا قيمة على الإطلاق لأن الأحداث العالمية التي وقعت آنذاك كانت مطابقة لما ورد في البروتوكولات ، ومتمشية مع مصلحة اليهود ، وكان واضحاً أن ذلك ليس مجرد مصادفة .

ونقل فيما يلي ما كتبه الأستاذ محمد خليفة التونسي في مقدمته لترجمة هذه البروتوكولات عن تطور طبع هذه الوثائق ونشرها (١) :

أعاد نيلوس نشر هذا الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة ١٩٠٥ ، ونفدت هذه الطبعة بسرعة غريبة بوسائل خفية ، وتبيّن أن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها ، ثم طبعت سنة ١٩١١ فنفدت على هذا النحو ، ولما طبعت سنة ١٩١٧ صادرها الشيوعيون الذين كانوا يومئذ قد استطاعوا تدمير القيصرية وقبضوا على أزمة الحكم في روسيا ،

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٠ — ١١ .

وكان معظمهم من اليهود الصرحاء أو المستوردين أو من صنائعهم . ثم اختفت البروتوكولات من روسيا حتى الآن .

وكانت قد وصلت نسخة من الطبعة الروسية سنة ١٩٠٥ إلى المتحف البريطاني في لندن وختمت بخاتمه ، وسجل عليها تاريخ تسليمها (١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦) وبقيت مهملة حتى سنة ١٩١٧ . وحينئذ وقعت هذه النسخة في يد الأستاذ فيكتور مارسدن مراسل جريدة المورننج بوست اللندنية ، فقرأ النسخة ، وقدّر خطورتها ورأى نبوءة نشرها نيلوس بالانقلاب الروسي قبل وقوعه باثني عشر عاماً . فعكف في المتحف على ترجمتها ، ثم طبعها قبل أن يسافر إلى روسيا لموافاة جريدته بأخبار الانقلاب الشيوعي الذي تم حينذاك ، وأعيد بعد ذلك طبعها عدة مرات كانت آخرها وخامستها سنة ١٩٢١ ومنها النسخة التي ترجمها الأستاذ خليفة للعربية (١) . كما نشرت كذلك بالفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها من اللغات ، وكانت تنفذ نسخها في كل طبعة بطرق غريبة مريبة . وأحجمت دور النشر بعد ذلك عن إعادة طبعها بسبب نفوذ اليهود وسلطانهم على هذه الدور .



وبين يدي الآن نسخة من هذه البروتوكولات . وأريد أن أحلها هنا تحليلاً علمياً لا دعاية فيه ولا تعصب :

عدد البروتوكولات أربعة وعشرين ، ولكنها غير دقيقة التأليف ، وبها كثير من التكرار ، وقد حاولت أن أقترح عنواناً محدداً لكل منها فلم يتيسر ذلك إذ لم يخصم موضوع لكل منها ، ولعل ذلك هو طبيعة النقاش الذي يستطرد أحياناً ، حتى ليخيل لي أن الوثائق التي بين أيدينا خلاصة محاضر جلسات ، وليست نص تقرير قدم لهذه الجلسات ، ولا نص

(١) نشرت بالقاهرة مرتين

محاضر الجلسات ، وربما كان ما استطاعت السيدة الفرنسية الفرار به جزءاً من هذه المحاضر ، أو حتى جزءاً غير متصل منها .

وهدف هذه البروتوكولات إقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها حكومة يهودية . ومن أجل ذلك يمكن أن نقسم البروتوكولات قسمين كبيرين . يبحث القسم الأول في موقف اليهود من العالم قبل تحقيق هدفهم . ويبحث القسم الثاني في مواقف اليهود من العالم بعد أن يصبحوا أصحاب السلطان عليه ، والبروتوكولات العشر الأولى تتبع القسم الأول تقريباً ، أما باقى البروتوكولات فتتبع القسم الثانى ، وسنذكر فيما يلى أهم الملاحظ لكل من هذين القسمين ، ثم نورد نصوصاً من البروتوكولات :

قبل تكوين الحكومة اليهودية العالمية :

من أهم ما يعنى به اليهود قبل تكوين هذه الحكومة إعداد الشعب اليهودى للسلطان ، وتثبيت الاعتقاد بأن اليهود هم شعب الله المختار ، فالناس عند اليهود قسمان : يهود وجوييم أو أميون ^(١) أى كفره وثنيون ، واليهود شعب الله المختار ، وهم أبناء الله وأحباؤه لا يتقبل العبادة إلا منهم ، ونفوسهم مخلوقة من نفس الله وعصرهم من عصره ، فهم وحدهم أبناءه الأظهار ، وقد منحهم الله الصورة البشرية تكريماً لهم ، أما الجوييم فخلقوا من طينة شيطانية ، والهدف من خلقهم خدمة اليهود ، ولم يمنحوا الصورة البشرية إلا بالتبعية لليهود ليسهل التعامل بين الطائفتين إكراماً لليهود ، فاليهود أصلاء فى الإنسانية ، والجوييم أتباع فيها ، وعلى هذا فمن حق اليهود معاملة الأميين كالبهائم ، والآداب التى يتمسك بها اليهود لا يمكن أن يعاملوا الأميين بها ، فلهم أن يسرقوهم ويغشوهم ويكذبوا عليهم ويخدعوهم ويغتصبوا أموالهم ويقتلوهم ويهتكوا

(١) يسميهم القرآن : اميين كما سى .

أعراضهم . ويرتكبوا معهم كل الموبقات ما أمنوا استتار جرائمهم] وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله على لسانهم « ليس علينا في الأميين سبيل » (١) .

وبناء على هذه العقيدة يرى اليهود أن العالم لم يُخلق إلا لهم ومن حثهم وحدهم استعباده وتسفيره ، وليس لغيرهم إلا السمع والطاعة والرضا والقناعة بما يجود به اليهود عليهم .

ويرى اليهود في هذه المرحلة ضرورة تمزيق الأوطان . والقضاء على القوميات والأديان . وإفساد نظم الحكم في كل الأقطار بإغراء الملوك وسائر الحكام باضطهاد الشعوب . وإغراء الشعوب بالتمرد على سلطة الحكام ونصوص القانون .

وترسم البروتوكولات لليهود أن يهتموا في هذه المرحلة بنشر المذاهب المختلفة . وأن يختلف اتجاههم في مكان عن اتجاههم في مكان آخر وكذلك فيما يتعلق بالزمان . فهم يعملون على نشر الشيوعية أحياناً والرأسمالية أحياناً ، ويلبسون مسوح الاشتراكيين في بعض الأحيان ، ويوقفون بذلك الكتل العالمية متصارعة ، وهم يقولون أحياناً بالحرية والمساواة فيثيرون المظلومين في وجه الظالمين ، ولكنهم سرعان ما يحاربون الحرية والمساواة . ويعلنون أن الطاعة العمياء والتفاوت بين الناس هما أسس القيم البشرية ، ويحاربون الحرية مؤكدين أنها تحوّل الفوضى إلى حيوانات ضارية . وأن من الضروري أن تسحق هذه الكلمة ويزول محلولها تماماً .

وهم في هذه المرحلة ينشرون الإباحية والفوضوية . ويعملون على تقويض الأسر وصلات الود ، ويدفعون الناس للشهوات والانحلال ، والبعد عن كل القيم الإنسانية .

وترسم البروتوكولات لليهود أن يستعملوا ما في النفس الإنسانية من ضعف . فالمال والتهم والنساء وسائل يمكن استعمالها مع الجوييم ليكونوا أداة في يد اليهود ينفذون بسببها ما يطلب منهم . كما توصي البروتوكولات أن يضع اليهود في المراكز الكبيرة شخصيات مرموقة لها أخطاء لا يعرفها إلا اليهود ، وفي ظل الخوف من إشاعة هذه الأخطاء ينفذ هؤلاء الأشخاص لليهود ما يشيرون به .

وتتهم البروتوكولات بأن يسيطر اليهود في هذه المرحلة على الصحافة ودور النشر وجميع وسائل الإعلام ، حتى لا يتسرب للرأى العام العالمى إلا ما يريد اليهود .

ويستعمل اليهود المال وسيلة من أكبر وسائلهم ، ليس للرشوة فحسب كما سبق القول ، بل لإثارة الثورات الداخلية عن طريقه ، فهم يعرفون الحاكم بجمع المال لنفسه ، والظهور بمظهر البذخ والأبهة التى تناسب جلال الملوك وأمجادهم ، ثم يدفعون الفقير ليثور ضد الحاكم الذى استحوذ على ثروة البلاد وغلبته الأنانية القاسية .

ويدفع اليهود بالدول للاستعمار ، ويجر الاستعمار إلى التنافس بين هذه الدول ، والتنافس وسيلة هامة من وسائل الحروب بين الدول المستعمرة ، فإذا شبت الحروب بين الدول المستعمرة قدم اليهود لهؤلاء ولأولئك القروض والسلاح بشروط سهلة حيناً ومعقدة حيناً ، وربح اليهود فى هذه الصفقات مزدوج ؛ فهم أولاً يستنزفون ثروات الدول ويجمعونها لأنفسهم ، وهم ثانياً يسخرون بعض الجوييم لقتل البعض الآخر .

وفى المؤسسات والمصانع يعمل اليهود على إفسادها بإشاعة الخلل فى إدارتها والتخريب فى أجهزتها كلما أمكنهم ذلك .

ويتشتت اليهود فى كل أقطار العالم خلال هذه المرحلة ليختفوا

عن المسرح العالمي حتى لا يتتبع الناس نشاطهم الهدام ، هذا من جهة ،
ومن جهة أخرى يتصل اليهود بأقطار مختلفة ويعملون متعاونين بالمال
والعلم والنساء ليصلوا إلى القصور ، وليكون لهم في إدارة البلاد شأن
ونفوذ ، فاليهود في فرقهم متحدون ، وفي شئتهم مجتمعون •

بعد تكوين الحكومة اليهودية العالمية :

إذا تحقق انتصار اليهود فإن اليهود يقيمون مملكة استبدادية
تحكم العالم كله ويكون مقرها أورشليم ، وحكمها للعالم يكون بطريق
مباشر لو تم سقوط كل حكومات العالم ، كما يكون بطريق غير مباشر
أى من وراء الحكومات التى لم تسقط بعد ، فإذا اكتمل النصر وسقطت كل
الحكومات انتقلت العاصمة إلى روما حيث تستقر إلى الأبد ويتعاقب
على العرش حكام من ذرية داود ، « فالسياسة صناعة سرية سامية
لا يحسنها إلا نخبة من اليهود درّبوا عليها تدريباً تقليدياً ، وكشفت
لهم أسرارها التى استنبطها حكماء صهيون من تجارب التاريخ وغيره خلال
قرون طويلة ، وهم يتناقلونها فى الخفاء ، وعليها يربون ملوكهم ومن يحيط
بهم من المستشارين (١) » •

ويسوس اليهود الناس بالرشوة حيناً وبالعنف والإرهاب حيناً ، فمن
خضع للمال والنساء والمناصب وأسلس القياد بذلك ، قُدِّم له هذا
الدواء أو الدواء ، ومن لم يخضع لذلك استعمل معه العنف ، فالجوييم
كتقطعان البهائم أو الوحوش يخضعهم الإرهاب والإذلال فيصبحون كقطع
الشطرنج تتصرف فيها أصابع اليهود حسبما تشاء هذه الأصابع •

وفيما يلي اقتباسات قصيرة من هذه البروتوكولات :

(١) انظر صبرى ابو المجد : نهاية اسرائيل حن ١٤ •

نماذج من البروتوكولات

[قبل قيام الحكومة اليهودية العالمية]

من البروتوكول الأول :

— يجب أن يلاحظ أن ذوى الطباع الفاسدة من الناس أكثر عددا من ذوى الطباع النبيلة ، وإذن فخير النتائج في حكم العالم ما يُنتزَع بالحكم والإرهاب ، لا بالمناقشات الأكاديمية .

— إن الحرية السياسية ليست حقيقة بل فكرة . ويجب أن يعرف الإنسان كيف يسخّر هذه الفكرة عندما تكون ضرورية ، فيتخذها طعاماً لجذب العامة إلى صفّه إذا كان قد قرر أن ينتزع سلطة منافس له ، وتكون المشكلة يسيرة إذا كان هذا المنافس موبوءاً بالأفكار التي تسمى تحريرية فيتخلى عن بعض سلطته بسهولة .

— إن الجمهور غيرٌ غيبيٌ ، ومن ارتفعوا من بينه ينغمسون في خلافات تعوق كل إمكان للالتقاء . وكل قرار للجمهور يصدر عن جهل بالأسرار السياسية ويقود للفوضى ، وإذا نال الرعاع الحرية مسخوها فوضى واضطراباً .

— إن السيادة لا تتفق مع الأخلاق في شيء ، والحاكم المقيّد بالأخلاق ليس بسياسي بارع ، وهو غير راسخ على عرشه .

— إن الفاية تبرر الوسيلة ، وعلينا — ونحن نضع خططنا — ألا نلتفت إلى ما هو أخلاقي وما هو خير ، بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد .

— عندما تضرب قوى المجتمع ستكون قوتنا أشد من أي قوة أخرى ، لأنها ستكون مستورة حتى اللحظة التي تبلغ فيها مبلغاً لا تستطيع معه أن تنسفها أية خطة مأكرة .

— إن مما يحقق السعادة أن تكون الحكومة في قبضة شخص واحد مسئول ، وبغير الاستبداد لا يمكن أن تكون حضارة .

— في السياسة يجب أن نظم كيف نصادر الأموال بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة ، وإن دولتنا — في سبيل الفتوح السامية — لها الحق أن تستبدل بأحوال الحرب أحكام الإعدام ، والإعدام ضرورة تولد الطاعة العمياء . فالعنف وحده هو العامل الرئيسي في قوة الدولة .

— كنا قديماً أول من صاح في الناس « الحرية — المساواة — الإخاء » وهي كلمات ما انفكت ترددها بعباوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعار ، وقد حرمت — بتريدها — العالم من نجاحه .

من البروتوكول الثاني :

— إن نجاح دارون وماركس ونيشه قد رتّبناه من قبل ، وإن الأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم لدى غير اليهود سيكون واضحاً . ولكن ينبغي أن ندرس ونعى ما بلأثم منها أخلاق الأمم وميولها .

— الصحافة هي القوة العظيمة التي نستطيع بها توجيه الناس ؛ فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور ، وتطن شكوى الشاكين ، وتولد الضجيج بين الفوغاء ، وقد سقطت الصحافة في أيدينا ، ومن خلالها أحرزنا النفوذ وكسبنا الذهب دون أن نظهر للعيان .

من البروتوكول الثالث :

— إن موازين المجتمع وتقاليده القائمة ستتهار سريعاً . لأننا على الدوام نبتقدها توازنها . كي نبليها بسرعة ونمحق كفايتها .

— إن الناس مستعدون للفقير أكثر مما كانوا مستعدين لقوانين
رق الأرض ، فمن الرق كانوا يستطيعون أن يحرروا أنفسهم بطريق أو
بآخر ، ولكن لا شيء يحررهم من طغيان الفقر الذي فرضناه عليهم .

إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا الحرّرين للعمال ، جنباً لنحررهم
من هذا الظلم حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين
والفوضويين الشيوعيين ، ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها
متظاهرين بأننا نساعد العمال طبقاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية

— إن فائدتنا نحن في ذبول الأميين وضعفهم ، وقوتنا تكمن في أن
يبقى العامل في فقر ومرض دائمين ، لأننا بذلك نستبقه عبداً لإرادتنا
إذ لن يجد قوة ولا عزماً للوقوف ضدنا .

حينما نستحوذ على السلطة يجب أن نمحق كلمة الحرية من معجم
الإنسانية ، باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذي يمسح الشعب حيوانات
تتعطش للدماء .

من البروتوكول الخامس :

— كان الناس ينظرون إلى ملوكهم نظرهم إلى إرادة الآلهة . فكانوا
يخضعون في هدوء لاستبداد ملوكهم ، ثم أوحينا إلى العامة بحقوقهم
الذاتية وبيشيرية الملوك ، فانساق العامة خلفنا وسقطت المسحة المقدسة
عن رؤوس الملوك ، وانقلبت السلطة إلى رجل الشارع ، فاخطفنا منه
هذه السلطة دون أن يعي .

— لقد بذرنا الخلاف بين الأفراد كما بذرناه بين الأمم ، ونشرنا
التمعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً ، فلم يعد من الممكن أن يلتقي
الأفراد . ولا أن تلتقى الأمم .

— إن علم الاقتصاد السياسي الذي محّمه علماؤنا الفضايل قد برهن على أن قوة رأس المال أعظم من مكانة التاج ، ويجب أن نحصل على احتكار مطلق للصناعة والتجارة وأن نحصل من التجار على أكبر ربح ليظلم التجار الجماعين ويثيروهم على الحكومات .

من البروتوكول السادس :

بعد القضاء على أرستقراطية الأميين كقوة سياسية ينبغي أن نقضى على الأرستقراطيين من ملاك الأرض ، فهؤلاء خطر علينا لأن معيشتهم المستقلة مضمونة لهم بمواردهم ، ومن وسائل القضاء عليهم غرض الأجور والضرائب حتى تنهار مواردهم فيبدعون في بيع أراضيهم لأنهم بما تعودوه من ترف لا يستطيعون القناعة بالقليل .

— كي نخرّب صناعة الأميين سنزيد أجور العمال . ولكننا في الوقت نفسه سنرفع أثمان الضروريات الأولية فنسترد زيادة الأجور . ونعرض الصناعة للخراب ، والعمال للفوضى .

من البروتوكول الثامن :

— ملء المناصب الكبيرة باليهود في هذه المرحلة غير مأمون ، ولذلك تسمى البروتوكولات بان يُعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى الناس الذين ساءت صفاتهم وأخلاقهم ، كي تقف مخازيهم فاصلا بين الأمة وبينهم ، كذلك يوضع في هذه المناصب الناس الذين إذا عصوا الأوامر توقعوا المحاكمة والسجن ، والغرض من كل هذا أن هؤلاء سيدافعون بحماس عن المصالح اليهودية التي وضعتهم في هذه المناصب وعرفت زلاتهم .

من البروتوكول التاسع (١) :

— لقد أصبحنا المشرّعين من خلف الستار ، فنستطيع أن نقضى بإعدام من نشاء ، كما نستطيع العفو عن من نشاء .

— نحن نسخرّ في خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب ، من رجال يرغبون في إعادة إنشاء الملكيات ، واشتراكيين . وشيوعيين ، وحالمين بالملكة الفاضلة . لقد وضعناهم جميعاً تحت السرج ، وكل منهم بطريقته الخاصة يحارب القوانين القائمة ، ويقوّض النظم الحكومية ببلده . وسنرث في النهاية كل هذه الحكومات .

— لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين ، وجعلناه فاسداً متعففاً بما علمناه من مبادئ ونظريات ، معروف " لدينا زيفها التام .

البروتوكول العاشر :

— إذا أوحينا إلى عقل كل فرد أهميته الذاتية ، فسوف ندمر الحياة الأُسريّة بين الأمميين وأهميتها التربوية .

— إذا استطعنا أن نصل إلى إقامة عصر جمهوري فسيمكنا أن نضع بدل الملك المقدس ناظوراً في شخص رئيس لهذه الجمهورية ، ونختاره من الدهماء من بين مخلوقاتنا وعبيدنا وأمثال هؤلاء يختارون ممن تكون صفاتهم السابقة مسودة بفضيحة أو صفة أخرى مشينة ، وإن رئيساً من هذا النوع سيكون منفذاً لأغراضنا لأنه سيخشى التشهير وسيبقى خاضعاً لسلطان العوف الذي يملك دائماً الرجل الذي وصل إلى السلطة والذي يتلطف على أن يستبقى امتيازاته وأمجادته المرتبطة بمركزه الرفيع .

(١) من تعليقات المترجم على هذا البروتوكول ان اليهود يدخلون في الأديان الأخرى في الظاهر . ويبضى جيلان وهم ينتقلون من مكان الى مكان : ويظهر أحفادهم دون أن يعرف أحد صلتهم باليهودية ، ويؤلّفون الجمعيات أو ينضمون إليها ، وفي ظروف كثيرة يخدمون اليهود دون أن يتهمهم أحد (انظر ص ٩٦)

[بعد قيام الحكومة اليهودية العالمية]

من البروتوكول الحادى عشر :

— من رحمة الله أن شعبه المختار مشتت . هذا التشتت الذى يبدو ضعفاً فينا أمام العالم ، قد ثبت أنه كل قوتنا التى وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية .

من البروتوكول الثانى عشر :

— كان دور الصحافة تهييج الغوغاء وإثارة الجادلات الحزبية التى كانت ضرورية لمقاصدنا ، ولكن بعد انتصارنا يتغير كل شيء . فسقطد الصحف بلجم حازمة . ونسيطر على شركات النشر ، ونصادر الصحف والكتب التى لا تتمشى مع أغراضنا ، ونفرض على النشر ضرائب باعظة ونعطل الصحف التى تكرر نقدها لنا . وسندس بين النشرات الجيومية نشرات من عملنا نحن ، ولكنها لن تهاجم إلا النقط التى نعترم تغييرها فى سياستنا ، ونسيطر على وكالات الأنباء بحيث لا يصل للمجتمع خبر دون أن يمر على إدارتنا .

— سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والالعب للمء الفراغ ، وسندعو الناس للدخول فى مباريات شتى فى كل أنواع المشروعات كاللفن والرياضة وما إليها .

وحينما نُمكّن لأنفسنا ونكون سادة الأرض بن سسمح بقيام أى دين غير ديننا ، وسنكون قد حططنا كل عقائد الأديان الأخرى ، وسيفضح فلا سفتنا كل مساوىء الديانات الأممية .

من البروتوكول السابع عشر :

سنغير الجامعات ونعيد إنشائها حسب خططنا الخاصة ، وسيكون مديروها وأساتذتها قد أعدتوا إعداداً خاصاً ، وسيلته برنامج سرى متقن ، سيهدَّبون ويشكِّلون بحسبه . ولن يستطيعوا الانحراف عنه بغير عقاب . وسيرشِّحون بعناية بالغة ، وسيكونون معتمدين كل الاعتماد على الحكومة . ولن يسمح للجامعات أن تخرج للعالم فتياناً خسر الشباب ذوى أفكار عن الإصلاحات الدستورية الجديدة ، أو ذوى اهتمام بالمسائل السياسية على الإطلاق ، كما سنمحو كل أنواع التعليم الخاص .

من البروتوكول الثامن عشر :

— سنحدِّد نطاق عمل مهنة المحاماة ، ومنضع المحامين على قدم المساواة مع الموظفين المنفَّذين ، والمحامون — كالقضاة — لن يكون لهم الحق في أن يقابلوا عملاءهم وستعيّنهم المحكمة ، وسيكون أجرهم محدوداً سواء كان الدفاع ناجحاً أو غير ناجح .

— وسنحط من كرامة رجال الدين الأُمميين لننجح في الإضرار برسالتهم ، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهبارة تاماً . وستتبعها في الانهيار باقى الأديان ، ويصير ملك إسرائيل (باباً) للعالم :

من البروتوكول التاسع عشر :

— إن أية ثورة ضدنا ينبغي أن تصير كتاب كلب على فيله ، فليس على الفيل إلا أن يقوم بمَثَل واحد متقن من التدمير حتى تكف الكلاب عن النباح ، وتشرع في البصيص بأذنانها عندما ترى الفيل ، ولكي نترزع

عن المجرم المياسى تاج شجاعته سنضعه في مراتب المجرمين الآخرين
بحيث يستوى مع اللصوص والقنلة والانواع الأخرى من الأشرار المنبوذين
المكروهين .

مباحث البروتوكولات الباقية :

تهتم البروتوكولات الباقية بشرح البرنامج المالى للدولة اليهودية
العالمية ، ونظام الضرائب الذى ستتبعه ، والعملة والقروض والبورصة
والسندات ، ومعالجة البطالة والأسلوب الذى يربى عليه الملوك من أحفاد
داود ليبقى ملكهم ما بقى الزمن .

هذه صورة سريعة لهذه البروتوكولات . ومنها يبدو ما بنا
من خطر على الأفراد وعلى الشعوب والمدنيات .

والذى يقرأ هذه البروتوكولات بدقة يدرك أن كثيرا من الحكومات
الديكتاتورية بالشرق تتبنى مبادئها ، وتنفذ توجيهاتها .

الباب الخامس
من صور التشريع في اليهودية

موسى والتشريع :

ينسب إلى موسى عليه السلام أنه أول من رسم شيوع السلطة التشريعية - ويذكر Hosmer أن موسى وضع أسس التشريع في التوراة . فأصبحت المرجع القانوني . كما أصبحت حجر الأساس لبناء الدولة اليهودية . ويذكر Wecchi أن موسى كان قائداً لبني إسرائيل . وكان بجانب ذلك مرشداً ومشرعاً لهم . وقد سبق أن اقتبسنا ذلك . كما تحدثنا عن التوراة التي تنسب إلى موسى وقررنا أن الأسفار الخمسة المسماة بالتوراة والموجودة الآن ليست مما أوحى إلى موسى . وليست من كتابته أو إملائه . بل هي من تأليف كتّاب متأخرين . وأن الوصايا العشر أو بعضها هي ما تبقى لنا من توراة موسى . وما عدا هذه الوصايا من تشريعات فهو من صنع الكهنة والرهبان من اللاويين أبناء ليفى الذين كان لهم الحق في وضع الأحكام للأمة العبرية ^(١) ، ولم يكن أحد غير هؤلاء يستطيع أن يقرب القرابين بالطريقة الصحيحة أو يفسر الطقوس أو الأسرار الدينية تفسيراً آمناً من الخطأ ^(٢) . وهكذا وضع الكهنة والرهبان هذه التشريعات يقربون بها حقوقاً لأنفسهم وتقاليد لقومهم ، وقد آن لنا أن نقبس الوصايا العشر ثم نتبعها بحديث عن التشريع الذي وضعه الكهنة والرهبان :

الوصايا العشر :

من مطالعة أسفار موسى الخمسة يتضح لنا أن الوصايا العشر وردت في صيغتين ، إحداهما أكثر اتصالاً بالدين والعقيدة ، وقد جاءت في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج ، والأخرى أكثر اتصالاً بالعادات والتشريع ، وقد وردت في الإصحاح العشرين من سفر الخروج وفي الإصحاح الخامس من سفر التثنية ، وهناك في الصيغتين توافق في

(١) محمد صبرى : المقارنات والمقابلات ص ٣٢ .

(٢) هل ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٤٦ .

بعض الوصايا ثم اختلاف في البعض الآخر • ففتحه الصيغة الأولى للعقيدة . والثانية للتقاليد والآداب كما مر •

ونص الصيغة الأولى كالآتي :

اصنع ما أنا موصيك اليوم :

— لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور ، إله غيور هو •••••

— لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة •

— تحفظ عيد الفطير : سبعة أيام تأكل فطيراً كما أمرتك في شهر

أبيب . لأنك في شهر أبيب خرجت من مصر •

— لى كل فاتح رحم (أى أن البكرى يقدم قرباناً) وكل بكر من

بنيك تقدريه ، وكذلك تقدري بكر الحمار •

— أول أبقار الأرض تحضره إلى بيت الرب إلهك •

— ستة أيام تعمل ، أما اليوم السابع فتسريح فيه •

— اصنع لنفسك عيد الحصاد ، عند حصاد الحنطة وعند الجمع في

آخر السنة •

— لاتذبح على خمير دم ذبيحتي •

— لا تبت إلى الغد ذبيحة عيد الفصح •

— لا تطبخ جدياً بلبن أمه •

— هذه هي كلمات العهد ، الكلمات العشر (١)

ونحس الصيغة الثانية كآلاتي (١) :

— أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر . من بيت العبودية .
لا يكن لك آلهة أخرى أمامي . لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة
ما مما في الأرض . لا تسجد لهم ولا تعبدهم ، لأنى أنا الرب إلهك
إله غيور .

— أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من
سُبغِضِي ، وأصنع إحساناً إلى ألوف من مُحَبِّبِي وحافظي وصاياي .

— لا تَنطُق باسم الرب إلهك باطلا . لأن الرب لا يَبْرِي، مَنْ
نطق باسمه باطلا .

— أذكرُ يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك .
وأما اليوم السابع ففيه سَبَّتٌ للرب إلهك . لا تصنع عملاً ما . أنت
وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزيلك الذي دخل أبوابك ، لأن في
سنة أيام صَنَعَ الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، واستراح
في اليوم السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقَدَّسه .

— أكرِّم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك
الرب إلهك .

— لا تقتل .

— لا تزن .

— لا تسرق .

— لا تشهد على قريبك شهادة زور .

(١) الإصحاح العشرين من سفر الخروج ٢ — ١٧ والإصحاح الخامس من
سفر التثنية ٦ — ٢٢ .

— لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ، ولا عبده ولا أمتك
ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك .

تشريعات أخرى من التوراة :

وفي أسفار التوراة الموجودة بين أيدينا . تردحم التشريعات في سفر
الخروج واللاويين والعدد والتثنية . وفيما يلي نماذج من تشريعات
سفر الخروج :

— من ضرب إنساناً فمات يقتل قتلاً ، ولكن الذي لم يعتمد فليكن
له مكان يهرب إليه . ومن سرق إنساناً وباعه . أو وجد في يده . يقتل
قتلاً . ومن شتم أباه وأمه يقتل قتلاً . وإذا ضرب إنسان عبده أو أمته
بالعصا فمات تحت يده يُنتقم منه . لكن إن بقى يوماً أو يومين
لا ينتقم منه لأنه ماله ، وإذا نطح ثور رجلاً أو امرأة ، فمات . يرجم
الثور ولا يؤكل لحمه ، وأما صاحب الثور فيكون بريئاً . ولكن إن كان
ثوراً نطاحاً من قبل ، وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً
أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه أيضاً يقتل (١) .

— إذا سرق إنسان ثوراً أو شاة فذبحه أو باعه يعوّض عن الثور
بخمسة ثيران ، وعن الشاة بأربعة من الغنم ، إن وجد السارق وهو
ينقب فضرب ومات فليس له دم ، ولكن إن أشرقت عليه الشمس
فلكه دم (٢) .

وفي سفر اللاويين أحكام تتصل بالقرايين والطقوس والأعياد والنفوس
والمحرقات وكفارات الذنوب ، وفيه كذلك شروح ضافية لمكانة اللاويين
وخيمة الاجتماع . والمحرمات في الزواج ، والطعام الذي يحل والذي
يحرم ، ومن هذا السفر يمكن أن نقبس بعض التشريعات :

(١) من الإصحاح الحادى والعشرين .

(٢) من الإصحاح الثانى والعشرين .

— إذا كان في رجل أو امرأة جاناً أو تابعة فإنه يقتل ، بالحجارة
يرجمونه ، دمه عليه (١) .

— متى ولد بقر أو غنم يكون سبعة أيام تحت أمه ثم من اليوم
الفاصل فصاعداً يرضى به قرباناً وقوداً للرب (٢) .

— الأرض لا تباع التبتة ، لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء
عندي (٣) .

وفي سفر العدد — بالإضافة إلى العدد والإحصاء — توجد تشريعات
حول نقاط كثيرة ، منها ما سمي بشريعة الغيرة واللّعان والاعتراف .
وقد ورد ذلك مفصلاً في الإصحاح الخامس ، وسنتحدث عن موضوع
الاعتراف فيما بعد ، وهناك تشريعات أخرى بهذا السفر نقتبس منها
ما يلي :

— من مسّ ميتاً ، ميتة إنسان ما ، يكون نجساً سبعة أيام ، يتطهر
في اليوم الثالث وفي اليوم السابع يكون طاهراً ، وإن لم يتطهر في اليوم
الثالث ففي اليوم السابع لا يكون طاهراً ، هذه هي الشريعة ، إذا
مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون
نجساً سبعة أيام ، وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس (٤) .

— وكلام موسى رعوس أسباط بني إسرائيل قائلاً : هذا ما أمر
به الرب ، إذا نذر رجل نذراً للرب ، أو أقسم قسماً أن يلزم نفسه
بلازم فلا ينقض كلامه ، حسب كل ما خرج من فمه يفعل ، وأما المرأة
إذا نذرت نذراً للرب ، والقرمت بلازم في بيت أميها في صباها وسمع أبوها

(١) الإصحاح العشرين .

(٢) من الإصحاح الثاني والعشرين .

(٣) من الإصحاح الخامس والعشرين .

(٤) من الإصحاح التاسع عشر .

نذرها . فإن سكت ثبت نذرها ، وإن نهاها أبوها يوم سمعه لا تثبت .
وإن كانت متروجة فالزوج كالأب (١) .

وفي سفر التثنية تكرر للتشريعات والتعاليم التي وردت في الأسفار
السابقة بالإضافة إلى تشريعات أخرى استحدثت فيه . وفيما يلي
نماذج من تشريعات هذا السفر .

— احفظ شهر أبيب واعمل فصْحاً للرب إلهك لأنه في شهر أبيب
أخرجك الرب إلهك من مصر ليلاً ، فتذبح الفصح للرب إلهك نمنماً وبقراً
في المكان الذي يختاره الرب ، ليحل اسمه فيه ، لا تأكل عليه خميراً سبعة
أيام . تأكل عليه غطيراً خبز المسقة . لأنك بعجلة خرجت من أرض
مصر (٢) .

— لا يقوم شاهد واحداً على الإنسان في ذنب ما أو خطية ما
من جميع الخطايا التي يخطئ بها . على فم شاهدين أو على فم ثلاثة
تهود يقوم الأمر (٣) .

نماذج لموضوعات عالجهما التشريع اليهودي :

هذا لون من ألوان التشريعات التي وردت في أسفار موسى ، وهناك
تشريعات اجتماعية بالغة الخطورة وردت في التلمود ، وتشريعات سياسية
مهمة وردت في بروتوكولات حكماء صهيون ؛ وقد أوردنا عن هذا وذاك
دراسة ضافية في الباب السابق ، ونريد الآن أن نورد نماذج لبعض
التشريعات المتصلة بمسائل مهمة كموقف اليهودية من المرأة ، ومن الرق ،
والاعتراف ، ورأيها في الميراث ، والربا ، والمحرمات في الزواج ، وغيرها .
وقد اعتمدنا في تحقيق هذه المسائل على المراجع اليهودية الدقيقة .

(١) من الإصحاح الثلاثين .

(٢) من الإصحاح السادس عشر .

(٣) الإصحاح التاسع عشر .

وسيمكننا بعرض هذه المسائل أن نبرز المقارنة بين التشريعات في اليهودية والتشريعات في الإسلام .

الاعتراف والتطهر :

في الفكر اليهودي تكثر الخطايا ، ففي كل شهوة من الشهوات تكمن الخطيئة ، فالخطيئة تدنس المخطيء ، والحيض والولادة كالخطيئة يندسسان المرأة ، ويتطلبان تطهيرا ذا مراسم وتقانيد وتضحية وصلاة على يد الكهنة ، والهبات والقرايين هي الوسيلة للتكفير عن الخطايا ، على أن تقدم للكهنة بعد الاعتراف الكامل بما ارتكب الإنسان من إثم ، وعلى هذا كان المجتمع اليهودي مجتمع خطايا ، ومجتمع تكفير وغفران في نفس الوقت ، حتى أن التاجر كان ولا يزال يطفف الكيل ويغش في الميزان . ثم يحاول التكفير عن ذنبه بالتضحية والصلاة ^(١) . وقد أورد سفر العدد صورة مفصلة للمرأة التي تريد أن يُعْفَرَ لها وضرورة أن تذهب للكاهن لتعترف عنده بخطيئتها ، وذكر السفر أن الكاهن يوقفها أمام الرب ويأخذ ماء مقدساً في إناء خزف ، ويتلو عليه ترانيم وأدعية ، ويطلب الكاهن من المرأة الاعتراف ، فإن رفضت سقاها من هذا الماء الذي يسمى ماء اللعنة ، وهددها بأن هذا الماء إذا دخل أحشاءها وهي مذنبه لم تعترف ، ورم بطنها وسقط فخذها ... ^(٢) وإذا اعترفت استطاع الكاهن أن يطهرها بالقرايين والهبات والأدعية ^(٣) .

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٣ ص ٣٥٤ .

(٢) الاصحاح الخامس : الفقرة ١١ وما بعدها .

(٣) روى لي أحد العلماء الأفاضل حادثة وثيقة الصلة بموضوعنا ، فقد ذكر له أحد اليهود الذين أسلموا حديثاً أنه رأى امرأة يهودية يخلو بها الكاهن للاعتراف والتطهير وخرجت المرأة من الخلوة مغفورا لها ؛! وثارت نفس اليهودي على هذا الوضع وبخاصة أن الشك لعب به لما لاحظته من اضطراب على المرأة حين خروجها ، وصادف أن ذهب اليهودي في نفس اليوم للعزاء في أحد المسلمين . فسمع القارئ، يتلو قوله تعالى « ومن يغفر الذنوب الا الله ؟ » وقد دفعت هذه المقارنة هذا اليهودي الى أن يدخل في دين الاسلام .

السرقة :

أباحَت التوراة الاسترقاق بطريق الشراء أو سبياً في الحرب . فجعلت للعبري أن يستعبد العبري إذا انتقر . فبييع الفقير نفسه للغنى . أو يقدم المدين نفسه للدائن حتى يوفى له الثمن . ويبقى عبداً له ست سنين ثم يتحرر . ففي سفر الخروج : إذا اشتريت عبداً عبرياً فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حراً مجاناً . وإذا سرق العبري ماشية وذبحها . أو أى شيء استهلكه ، ولم يكن في يده ما يعوّض به صاحبه يباع السارق بسرقة كما نصت التوراة على ذلك في سفر الخروج . وأباحَت التوراة للعبري أن يبيع بنته فتكون أمة للعبري الذي يشتريها (١) .

أما الاسترقاق سبياً في الحرب فهو أيسر ما ينزله اليهود بأعدائهم وقد نصَّ العهد القديم على ما يلي :

« حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح . فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك التسخير ويُسْتَعْبَد لك ، وإن لم تسالك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إليك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدِّ السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك (٢) . »

الختان :

قلنا - عند الحديث عن الكهنة والقرايين - إن الختان ارتبط عند اليهود بالقربان ، فقد كان الإنسان نفسه يقدم قرباناً من قبل . ثم اكتفت الآلهة بجزء من الإنسان ، وذلك الجزء هو ما يققطع في عملية الختان .

(١) سفر الخروج - ٢١ : ٢ وما بعدها .

(٢) سفر التثنية الامحاح العشرون وانظر كتاب الاسلام للؤلف ص

وقد كان الختان سنة شائعة عند المصريين ، ووَجِدَ عِنْدِهِمْ
لِلوَقَايَةِ الصَّحِيَّةِ مِنَ الْأَقْدَارِ الَّتِي تَتَعَرَّضُ لَهَا الْأَعْضَاءُ التَّنَاسَلِيَّةِ . وَقَدْ
اقتبس اليهود من المصريين وجعلوه مرتبطا بالقرايين والضحايا التي تقدم
للعثران وإرضاء الآلهة .

وبمرور الزمن أصبح الختان لدى اليهودى فريضة يحتمها الولاء
للجنس . فعلى اليهودى أن يقوم بعملية الختان ليبرهن على أنه يهودى .
وقبيل عهد المكابيين كان الختان يُجْرَى للذكر والأنثى بصورة بسيطة
تمكّن الشخص من الادعاء بأنه غير مختون لينتقى عدوان غير اليهود عليه .
فلمّا جاء المكابيون أمر الكهنة أن ترال العلفّة عن آخرها حتى لا يحاول
اليهودى الاندماج في غير اليهود من الشعوب (١) .

الميراث (*) :

أول من يرث الميتَ ولَدَهُ الذَّكَرَ ، وإذا تعدد الذكور من الأولاد
فللبكرى حظ اثنين من إخوته ، ولا فرق بين المولود بنكاح صحيح أو غير
صحيح من الأولاد في المواريث ، فيعطى لكل منهم نصيبه بقطع النظر عن
النكاح الذى ولد منه ، ولا يحرم البكرى من امتيازها بسبب كونه من
نكاح غير شرعى ، أما البنات فمن لم تبلغ منهن الثانية عشرة فلها النفقة

(١) انظر قصة الحضارة ج ٢ ص ٢٤٥ و ٢٧١ وانظر الهامش بهذه
الصفحة .

(*) من بين مراجعنا في الابحاث التالية ثلاثة مراجع في منقضى الاهميه من
الاحكام العبرية « الذى لفته العالم الفريسي « دى بفلى » وترجمه الى العربية
القاضى المصرى الاستاذ محمد صبرى واضاف له مقارنات بالشريعة الاسلاميه
وجعل عنوانه « المقارنات والمقالات » وقد اعتمد المؤلف على كبار العلماء
والمشرعين اليهود . وذكر عقب كل اقتباس مرجعه ، ونقل المترجم ذلك بكل
دقة في الترجمة العربية . اما المرجع الثانى فهو « شعار الخضر في الاحكام
الشرعية الاسرائيلية للقرايين » ومؤلفه اسمه « الياهو بشياصى » وقد ترجمه
الى العربية من العبرية الاستاذ مراد فراج . والمرجع الثالث مجموعة من الابحاث
عن اليهودية نشرها بالانجليزية (Arther Hertzberg) بعنوان (Judaism)

والتربية حتى تبلغ هذه السن تماماً ، وليس لها شيء بعد ذلك (١) .

وإذا لم يكن للميت ولد " ذَكَرَ " فميراثه لابن ابنه . وإذا لم يكن له ابن انتقل الميراث إلى البنت فأولادها وهكذا (٢) . ويرى القراءون أن يكون للبنت نصيب مع الولد . سهمان للولد وسهم للبنت (٣) . وإذا لم تكن له ذرية فميراثه لأصوله . وأحق الأصول بميراث الميت أبوه . وله كل التركة فإن لم يكن له أب " فجدّه " ، وإذا لم يكن له أصول انتقل الميراث إلى درجات الأقارب الفرعية من الذكور (٤) . وإذا لم يكن للميت وارث من فروع أو أصول أو حواشي كانت أمواله مباحة يملكها أسبق الناس إلى حيازتها . وتظل وديعة في يد حائزها مدة ثلاث سنوات . فإذا لم يظهر للميت وارث خلالها صارت ملكاً تاماً لحائزها (٥) .

وعند اختلاف الدين يرث اليهودي أقاربه من غير اليهود ، ولا يرث الأقارب غير اليهود اليهودي (٦) .

النكاح وتعدد الزوجات :

السن المفروضة لصحة التزوج هي الثالثة عشرة للرجل والثانية عشرة للمرأة ، ولكن يجوز نكاح من بدت عليه علامات بلوغ الحطم قبل هذه السن ، ومن بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة ، وتعدد الزوجات جائزة شرعاً بدون حد ، ولم يرد بالتوراة ولا أحكام الأنبياء قبل الإسلام نهى عن تعدد الزوجات ولا عن تحديد عددهن ، وعلى العكس من ذلك فقد ورد في التوراة ما يفيد تعدد الزوجات للأنبياء ولغير الأنبياء (٧) .

- (١) المقارنات والمقابلات ص ٣٢٤ .
- (٢) المقارنات والمقابلات ص ٢٥٠ .
- (٣) شعائر الخضر ص ٢٥٤ .
- (٤) المقارنات والمقابلات ص ٢٥١ .
- (٥) المقارنات والمقابلات ص ٢٥٢ .
- (٦) انظر المرجع السابق ص ٢٦١ .
- (٧) المقارنات والمقابلات ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

وحدد الربانيون الزوجات بأربع وأطلقه القراءون (١) ، ويقول غوستاف لوبون : وكان مبدأ تعدد الزوجات شائعاً كثيراً لدى بني اسرائيل على الدوام ، وما كان القانون المدني أو الشرعى ليعارضه (٢) .

وغير اليهود يُعتبرون وثنيين في نظر اليهود ، ومن أجل هذا لا يجيزون زواج اليهودى أو اليهودية من غير اليهود (٣) .

وعن المحرمات للزواج تَمَنَع الديانة اليهودية أن يتزوج الرجل من كانت زوجة لعمه ، ومن كانت زوجة لأخيه إذا أنجبت منه (٤) . ولا تجعل اليهودية الرضاعة سبباً للتحريم (٥) ، وفيما يتعلق بزوجة الأخ المتوفى فقد نصت التوراة على أنه إذا لم يكن للمتوفى ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبى ، بل يدخل عليها أخو زوجها ويتخذها لنفسه زوجة ، والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت ، لئلا يمحي اسمه من اسرائيل (٦) . ولا يزال الربانيون يعملون بهذا التشريع ، أما القراءون فيرون أن هذا التشريع قد نسخ من زمن ولا يزال منسوخاً (٧) .

وبعض القرائين يحرمون امرأة زوج الأخت ، فإذا تزوج زوج الأخت زوجة أخرى ثم طلقها أو مات عنها فإنها تكون محرمة على إخوة ضررتها ، وبعضهم يجعل الزوج والزوجة كشخص واحد ويحجرون التحريم على هذا الأساس ، ومعنى هذا أنه يحرم على الزوجة ما يحرم على زوجها لو قدر زوجها امرأة ، أى أنها يحرم عليها أخوه وعمه وخاله وابنه (٨) .

(١) شعار الخضر ص ٨٢ .

(٢) اليهود في الحضارات الاولى ص ٥٠ .

(٣) المقارنات والمقابلات ص ٣٧٢ .

(٤) المقارنات والمقابلات ص ٣٧٤ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٧٦ .

(٦) التثنية ٢٥ : ٥ - ٦ .

(٧) شعار الخضر ص ١٨٠ .

(٨) شعار الخضر ص ٢٨ و ٣٢ .

المرأة :

يقول بابا بقره : ما أسعد من رزقه الله ذكوراً . وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الإناث ، نعم لا يتكر لزوم الإناث للتناسل إلا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء ، فالجلد والعطر كلاهما لازم للناسي إلا أن النفس تميل إلى رائحة العطر الزكية ، وتكره رائحة الجلد الخبيثة . فهل يقاس الجلد بالعطر (١) ؟

وقد ورد بالمهد القديم عن المرأة ما يلي :

« درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلا ، ولأعرف الشر أنه جهالة ، والحماقة أنها جنون ، فوجدت امرءً من الموت المرأة التي هي شباك وقلبها أشراك ، ويدها قيود (٢) . »

والزواج في اليهودية صفقة شراء تُعدُّ المرأة به مملوكة ، تشتري من أبيها فيكون زوجها سيدها المطلق (٣) ، ويتم الزواج إذا باركه أحد الكهنة « ربّي » [أى أستاذ] ، وقدم الرجل للمرأة خاتماً أو هدية أخرى لها قيمة في حضور شاهدين على الأقل ، ويعتبر ذلك عقداً ، وإذا حضر العقد عشرة رجال فأكثر ، أتبع العقد بصلوات وأدعية يشترك فيها الجميع (٤) ، ومن تقاليد الفكر اليهودي أن الرجل إذا تزوج لا يلتحق بالجيش ، ولا يرتبط بأعمال تبعده عن زوجته مدة عام ، فشهد العسل في الفكر اليهودي عام كامل (٥) .

والمرأة المتروجة كالقاصر والصبي والمجنون ، لا يجوز لها البيع

(١) المقارنات والمقابلات ص ٢٨٧ .

(٢) سفر الجامعة : الإصحاح السابع : الفقرتان ٢٥ — ٦٢ .

(٣) غوستاف لويون : اليهود في الحضارات الأولى ص ٥٢ .

(٤) Judaism p. 84 .

(٥) Ibid p. 76 .

ولا الشراء^(١) وينص الفكر اليهودي على أن جميع مال المرأة ملك لزوجها ، وليس لها سوى ما فُرض لها من مؤخر الصداق في عقد الزواج ، تطالب به بعد موته ، أو عند الطلاق منه ، وعلى هذا فكل مادخلت به من مال ، وكل ما تلتقطه وتكسبه من سعى وعمل ، وكل ما يهدى إليها في عرسها . ملك حلال لزوجها ، يتصرف فيه كيف شاء بدون معارض ولا منازع .

وبالنسبة لكثرة ما شوهد من وقوع الشقاق والفرقة بين الأزواج ، فقد استقر رأي السادة (الأرباب) على وجوب الأخذ بمشروع « وقف الزوجية » ومعنى وقف الزوجية أن توقف أموال الزوجة ، ويصير الزوج قيمياً عليها ، يستغلها ، دون أن يبيعهما أو يرهنها ، فتصبح الزوجة بذلك مالكة لرقبة الأموال ، والزوج مالكا للمنفعة ، فإذا حصلت الفرقة عادت الثروة للزوجة^(٢) .

وعلى الزوجة مهما بلغت ثروتها ومكانتها أن تقوم بالأعمال اللازمة لبيتها ، صغيرة كانت الأعمال أو كبيرة^(٣) ، ويحدد Arthur Hertzberg دور المرأة في أعمال المنزل فيقول : إن على المرأة أن تطحن الحبوب ، وتخبز ، وتغسل الملابس ، وتطبخ ، وترضع ولدها ، وتنظف البيت وتنظمه ، وتغزل وتخيظ الثياب ، ولكنها إن أحضرت معها خادما تابعا لها من بيت أبيها فإنها تعفى من الطحن والخبز والغسيل ، وإن أحضرت خادمين معها أعفيت من المطبخ والرضاعة ، وإذا أحضرت ثلاثة فإنها تعفى من تنظيف البيت وتنظيمه ، وإذا أحضرت أربعة فإنها تعفى من كل الأعمال لكن ربي Eliezer يقول : إن الزوجة إذا أحضرت معها مائة خادم ، فإنها لا تعفى من الغزل ، ولزوجها أن يرغبها عليه ، لأن البطالة تقود للفساد^(٤) .

(١) المرجع السابق ص ٢١٤ .

(٢) المقارنات ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢١٤ .

(٤) Judaism p. 77

ولا تترك المرأة زوجها . وكل ما لها بعد موته هو مؤخر الصداق .
أما باقى ثروتها فقد آل كما قلنا آنفاً إلى زوجها ومنه إلى وريثته .
وإذا أخذت مؤخر صداقها مضت إلى حال سبيلها . أما إذا لم تطالب به
فإنها أن تعيش مع الورثة من مال التركة (١) .

بعض الواجبات الدينية

يقدر Hosmer أن الواجبات الدينية عند اليهود كانت تشغل نفوساً
كثيراً من وقتهم ونشاطهم (٢) . وسنقتبس هنا بعض صورٍ من هذه
الواجبات الدينية .

زيارة بيت المقدس :

كان يتحتم على كل يهودى ذكرٍ رشيد أن يزور بيت المقدس مرتين
فى العام ، وأن يبقى به أسبوعاً كل مرة . ويبدأ الأسبوع يوم الجمعة .
وتقام خلاله احتفالات يحضرها الواقفون . ويقودها الكهنة واللاويون .
وقد قُصد بهذه الزيارة أن تتيح فرصة لليهود أياً كانت مناطقهم أن
يتعارفوا ويتحدوا (٣) .

الاعياد :

تكثر الأعياد عند اليهود كثرة بالغة ، ومنها ما يتصل بالأحداث
التاريخية . ومنها ما يتصل بمواسم الزراعة والحصاد ، ومنها ما
يتصل بالهلال أو التوبة والتكفير عن الذنوب ، وقد وردت أكثر هذه الأعياد
فى الإصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين ، وسنذكر هنا بعضاً
من أهم هذه الأعياد :

(١) شعار الخضر ص ١٦٣ .

(٢) The Jews p. 83.

(٣) Ibid pp. 83-84 and Judaism p. 112.

عيد الفصح Passover :

هذا العيد هو يوم الذكرى لخروج اسرائيل من مصر ومن العبودية التي كانوا يخضعون لها ، ويقول علماء اليهود إن هذه الذكرى لا يمكن أن تنسى فقد جاء الرب بنفسه - دون أن يكتفى بملائكته - وقاد شعبه وأخرجهم من إطار العبودية ، وكان خروجهم سريعاً فلم يعدوا خبزهم كالعادة ، وإنما أعدوه فطيراً دون أن يختمر ، وعلى هذا ففي خلال عيد الفصح الذي يستغرق الأسبوع الثالث من شهر أبيب (نيسان = إبريل) من اليوم الرابع عشر مساءً إلى اليوم الحادي والعشرين مساءً يكون طعام اليهود خبزاً غير مختمر ويبدأ اليوم الأول من هذا الأسبوع بحفل مقدس ويختتم الأسبوع بحفل مقدس أيضاً ، وفي هذين الحفلين تتلى أدعية وتقام صلاة وتحرق القرابين (١) .

الهلال الجديد :

يلقى الاحتفال بالهالك الجديد عناية كبيرة في الفكر اليهودي ، وكان يسمى عيد النفير لأن الأبواق كانت تستعمل في الإعلام بظهوره ، وكان الناس يتبارون في مراقبة الهلال ومحاولة السبق في رؤياه ، وكان الذي يراه أولاً يسارع إلى بيت المقدس ليخبر بذلك الكهنة والرؤساء ، وأحياناً كان يقام سباق بين الذين شاهدوا الهلال وكل منهم يحاول أن يكون له قصب السبق ، وينفخ في الأبواق إعلاناً بالشهر الجديد وتشعل النيران على جبال الزيتون ، وعندما يراها سكان التلال البعيدة يشعلون هم أيضاً النيران على تلالهم (٢) .

(١) Judaism pp. 113-114. وسفر الخروج ١٢ : ١٥ - ٢٠ ولأويون

٢٣ : ٤ - ٨ .

(٢) Hosmer : The Jews p. 8 .

السبت :

يوم السبت من الأيام المقدسة عند اليهود ، التي تجب مراعاة حرمتها
مراعاتها ، فلا يجوز لليهودي الاشتغال فيه . ومن خالف حرمة هذا
اليوم ودنّسه بالاشتغال فيه يكون قد ارتكب جرماً عظيماً .

ولم يكن عند اليهود خطيئة أعظم من عدم حفظ يوم السبت إلا عبادة
الأوثان ^(١) . والسبت هو « شبات » *Shabbath* في العبرانية بمعنى راحة .
لأنه يوم الرب . فيه استراح . وأمر عباده بالاستراحة فيه وبارئها . وقد
أمرت الوصية الرابعة بمراعاة حفظ يوم السبت وقد سبق أن أشرنا إلى
ذلك ^(٢) . ويضع المفكرون اليهود هذا الموضوع في صورة يرغبها الفكر
الإسلامي . فيقول *Arthur Hertzberg* : إن الإنسان نعمة لله ونزيه
له في خلق الكون ، فإله عمل ثم استراح والإنسان يعمل دوره في الخلق تم
عليه أن يستريح . وقد أوصت أسفار موسى بذلك ، وحتمت التفرغ
تماماً عن العمل يوم السبت . وأبرز الأنبياء أهمية الراحة يوم السبت
وجعلوه مصدراً للروحانيات وللتشبه بالله الذي هو غاية ما يتمنى ^(٣) ،
ولعل تسمية هذا اليوم بل لعل المادة نفسها قد جاءت من البابليين ، فقد
كان هؤلاء يطلقون على أيام الصوم وأيام الدعاء « شَبَتو » ^(٤) . ومما
ورد عن يوم السبت في الكتاب المقدس النص التالي : تحفظون السبت
لأنه مقدس لكم ، مَنْ دَنَسَهُ يَقْتَلُ قَتْلًا ، إن كل من صنع فيه عملاً
تقطع تلك النفس من بين شعبها ، ستة أيام يُصْنَعُ عمل أما اليوم السابع
مخفيه سبت عطلة مقدس للرب لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض
وفي اليوم السابع استراح وتنفس ^(٥) .

(١) تلموس الكتاب المقدس ج ١ ص ٥٢٧ .

(٢) أنظر تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ج ٦ ص ١١٩ .

(٣) *Judaism* p. 101 .

(٤) ول ديورانت قصة الحضارة ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٥) خروج ٣١ : ١٤ - ١٧ .

يوم التكفير :

هو يوم في العام يحاول فيه اليهودى ان يعبد الله ، لا كإنسان بل كملك ، والملاك لا يأكل ولا يشرب ويمضى وتنه كله في العبادة وتعظيم الله ، فعلى اليهودى أن يعيش هذا اليوم كما تعيش الملائكة في صوم جادّ وعبادة دائمة ، وهذا اليوم يُسبَق بتسعة أيام تسمى أيام التوبة ، حيث يطّهر اليهودى خلالها تطهيراً يكفل له النقاء خلال العام القادم ، وفي اليوم العاشر يوم الصوم والعبادة تكمل طهارة اليهود وتغفر لهم سيئاتهم عن الماضى ويُعدّثون لاستقبال عام جديد ، وتقع هذه الأيام في الشهر السابع من شهور السنة اليهودية (١) .

عيد المظلات :

في شهر أكتوبر (تشرين الأول) يحتفل اليهود فى العالم بعيد المظلات أو عيد الخيام ، وفي هذا العيد يذهبون إلى المعبد حاملين السعف وأغصان الأشجار ، وفي الطريق إلى المعبد يقيمون الخيام ؛ أو أكواخا من القش يمشون بها عدة أيام رمزاً للتاريخ الطويل الذى مر بهم وهم ضياع ؛ ليس لهم بيوت ثابتة حيث كانت مساكنهم من الأغصان وسعف النخيل ، وهم يذهبون إلى المعبد لشكر الرب أن أنهى عنهم حياة المكابدة والتطواف ، ومنحهم الاستقرار ، ويمتد هذا العيد مدة عشرة أيام ، ويكون اليومان الأخيران حافلين بالبهجة والرقص والشراب والبخور .

الباب الثامن
اليهود في النظر لآلام

لعب اليهود في الخفاء دوراً ضخماً لتحقيق أهدافهم لا يقل عن الدور الذي لعبوه في العلانية ، وقد اتسع نطاق هذا الدور فشمط التآمر والاعتتيال ، وشمط التجسس وإشعال الثورات وغيرها من ضروب الغدر ، وفي هذا الباب سنذكر الخطوط العريضة لهذه الأحداث الجسام :

الإثارة وبث الفتنة :

يقرر الباحثون أن الدور الذي قام به اليهود في بث روح الثورة وإنشاء الجمعيات السرية وإثارة الحركات الهدامة عظيم جداً ومؤكّد جداً ، فهم دعاة الثورة وقادة التقويض ، وعنهم يقول الكاتب العظيم برنارد لازار : « اليهودي يضطرم بروح ثوري ، وهو داعية للثورة سواء شعر بذلك أو لم يشعر » ومما يؤكد نسبة أكثر الحركات الهدامة السرية لليهود ، أنه تظهر دائماً في هذه الحركات آثار التعاليم اليهودية الفلسفية (١) .

وبعترف اليهود بذلك ، فقد ورد في مجلة الجامعة الإسرائيلية نص خطر بهذا الشأن ، اقتطفه Louis Daste ووضعته على غلاف كتاب عن « اليهود والجمعيات السرية » وفيما يلي هذا النص :

نصادف في كل التغييرات الفكرية الكبرى تقريباً عملاً

يهودياً ، سواء كان ظاهراً واضحاً أو خفياً سرياً ، وعلى

هذا فإن التاريخ اليهودي يمتد بامتداد التاريخ العالمي

بجميع مجالاته ، حيث تظفل فيه بالآلاف الدساتين (٢) .

وقد رأينا من قبل أن كثيرين من اليهود لم يرحبوا بالفرصة التي أتاحتها لهم قورش للعودة لفلسطين ، وآثروا البقاء في فارس وفي أرض

(١) محمد عبد الله عنان : تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ص ١١٦ - ١١٧ بتقديم وتأخير .

(٢) الجامعة الإسرائيلية ٢٦ يوليو سنة ١٩٠٧ ص ٥٨٥ و « اليهود والجمعيات السرية » تأليف Louis Daste (صفحة الغلاف الامامية) .

بابل لينعموا هناك بالغنى والجاه ، وفي تلك المنطقة نفث اليهود سمومهم ، ولما جاء الإسلام عاداه اليهود . ووقف كذلك في وجهه قادة الفرس وأمرائهم . فكان ذلك فرصة لهؤلاء وأولئك ليتعاونوا للوقوف في وجه الإسلام وإثارة الشعب والفتن في الربوع الإسلامية . ومن هنا كانت غارس مركزاً متسعاً لكثير من الحركات الهدامة التي عبت في الماضي في وجه الإسلام . كالقرامطة والبايية والبهائية والشيعة الغلاة أو الذين أسميناهم « مدعى التشيع »

وفي حالات كثيرة هاجر اليهود من فلسطين إلى أوروبا . وحملوا معهم بذور الدناء للعمل في الخفاء ، ويقرر علماء الغرب أن حركات الهدم التي اجتاحت أوروبا واشتعلت بها مدى قرون ثلاثة لم تكن سوى أثر لنجود السرية التي يقال إن اليهود يبذلونها منذ ظهور النصرانية والإسلام في سبيل عدمها انتقاماً لدينهم (١) . ويرى بعض المفكرين المسلمين هذا الرأي فيما يتعلق بدعوات الهدم ضد الإسلام ، ولا سيما دعوة عبد الله ابن ميمون التي أسفرت عن انفجار أعظم حركات هادمة عرفها الإسلام ، فيقولون إن اليهود هم الذين نظموا مقاومة الإسلام منذ خيوره وحشدوا الدعاة لإفساد تعاليمه ، وإن ميمون بن ديسان وولده عبد الله كانا يعملان على بث مبادئ السرية في الإلحاد والهدم بتحريضٍ وتعزيدٍ من الدعاة اليهود (٢) .

ومما يذكره التاريخ من محاولات الإثارة والهدم ما قام به اليهود في المدينة إذ عمدوا إلى محاولة إحياء الأحقاد والضغائن الكامنة في نفوس الأوس والخزرج وقد ظهرت لهم بوادر النجاح لولا أن تداركت عين الله مجتمع المسلمين ، فتدخل الرسول وأعاد للقوم رشدهم ونزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » (٣) .

(١) المرجع السابق ص ٧١ .
(٢) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٩ .
٤٠- سورة آل عمران آية ١٠٠ .

وعند اليهود كذلك إلى التشكيك وإثارة الشبهات ليضعفوا الإيمان في نفوس المسلمين وليزعزعوا ثقتهم في الإسلام ، وقد نزل فيهم قوله تعالى : « ودء كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفساراً حسداً من عند أنفسهم » : (١) وقوله : « ودء طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ، يا أهل الكتاب لما تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ؟ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (٢) » .

ويسير يهود اليوم على نهج أسلافهم في التشكيك ، ومن أشجع ما عمدوا إليه في ذلك تحريف المصحف ومحاولة نشره محرفاً ، وكذلك تحريف السنة المحمدية ، ولولا أن فطن المسلمون لذلك لأمكن أن يكون لهذا الفعل نتائج بالغة الغاية في السوء .

ويربط بعض الباحثين معظم الثورات الكبرى في العالم باليهود ، فأنىء عاش اليهود وجدت الإثارة فالثورة ، حصل ذلك في الشرق والغرب على السواء ، ورأيناه أحياناً يتم باسم الرأسمالية لتضرب الحركات الشيوعية ، وباسم الشيوعية لتضرب الاتجاهات الرأسمالية ، فهذه اليهود الثورة والتدمير على كل حال ، تدمير هذا الاتجاه وذاك الاتجاه .

تلك لحظة سريعة عن دؤر اليهود في الإثارة وبت الفتنة وتسميم الأثكار ، ونضيف إلى ذلك أن اليهود لم يكتفوا بالأفكار يستمونها ، بل عمدوا إلى تسميم الأجسام ما وسعتهم الحيلة ، وقد عرف تاريخهم تسميم الآبار ، ولا يستبعد المفكرون أن يضع اليهود مقادير ضئيلة من المواد التي تضر بالصحة في الأدوية والمشروبات الروحية ، بل في الدقيق ومنتجاته وغيرها من المواد التي يصدرونها بطريق مباشر أو غير مباشر للشعوب غير الصديقة إن لم يكن للشعوب جميعاً .

(١) سورة البقرة ١٠٩ .

(٢) سورة آل عمران الآيات ٦٩ - ٧١ .

خلف وسائل الإعلام :

قلنا عند الحديث عن « بروتوكولات حكماء صهيون » إن اليهود يهتمون بالسيطرة على الصحافة ودور النشر وجميع وسائل الإعلام ، حتى لا يتسرب إلى الرأي العام العالمي إلا ما يريده اليهود ، وقد استطاع اليهود أن يحققوا هذا الهدف إلى حد كبير ، فقد ثبت في الإحصاء الذي أجرى سنة ١٩٥٦ الخاص بالصحافة ، أن اليهود يصدرون ٨١٩ صحيفة ومجلة بمختلف اللغات وفي مختلف الأقطار . وهو عدد يمثل الأغلبية العظمى من صحف العالم ومجلاته . ولليهود مثل هذا التفوق في وسائل الإعلام الأخرى كدور النشر . ووكالات الأنباء . بل في السينما والإذاعة والتلفزيون في معظم بلاد العالم ، وسيطر اليهود على الصحافة والنشر بطريق آخر هو طريق احتكار تجارة الورق ، فهم يتبعون أيديهم ويسيطرونها حسب استحابة الصحافة لأغراضهم ، ويتسرب بعض الكتاب من أتباعهم إلى الصحف التي لا تخضع لهم تمام الخضوع ، وإذا حدث أن صحفياً عُرف بمعارضة اتجاعاتهم وضعوا العراقل أمامه حتى يفقد وظيفته أو يخضع لاجتهاتهم .

فاحتكار اليهود متكامل الحلقات ، فهم يسعون إلى احتكار ما يسيطر على معدة الإنسان ، ويسعون كذلك إلى احتكار ما يسيطر على عقله وعواطفه ، لذلك كان احتكار الصحافة وشركات الأنباء ودور النشر من الخطوات الأساسية في هذا السبيل ، فمن طريق هذه الرسائل ينشر اليهود ما يناسب صالحهم ويمنعون من النشر كل ما يعارض ذلك الصالح (١) .

وقد حدث أمامي حادث وثيق الصلة بهذا الموضوع ، فمنذ بضع سنوات تقابلت مع أحد الأساتذة في إحدى دور النشر ، وكان الأستاذ ينشر كتاباً بالإنجليزية عن المسيح ، وسألني الأستاذ رأياً في نقاط الكتاب ، فأبديت

(١) الدكتور محمد عبد العزيز نصر : الصهيونية في المجال الدولي ص ٨٤ .

رأى ، فارتضاه الأستاذ وطلب منى أن أكتبه ، ففعلت ، ودفع الأستاذ برأى إلى المطبعة ، وبعد فترة تقابلت مع المؤلف فاعتذر لى بأنه لا يستطيع نشر رأى ، وعل ذلك بأن هذا الرأى ضد اليهود ، وهم الذين سيتولون نشر الكتاب حيث القراء الإنجليز ، ومثل هذا الرأى يجعلهم يقضون على الكتاب بالكساد . وهكذا يحقق اليهود أكبر نصر فى هذا الميدان ، وهم يقولون بصلف وكبرياء .

— إن الصحافة قد انتهت إلى الوقوع تحت سيطرتنا عدا شواذ قليلة منها يمكن تجاهلها بارتياح .

— اكتسبنا عن طريق الصحافة قوى ذات نفوذ فى الوقت الذى احتجينا فيه وراء الظلال .

— لقد سيطرنا على وكالات الأنباء المهمة فى العالم ، فلن يصل إعلان واحد للجمهور دون رقابتنا وسننشر ما نريد نشره لصالحنا ، ولن ننشر ما يتعارض مع اتجاهنا وآمالنا (١) .

ومن الوسائل التى يختفى خلفها اليهود هجوم السينما والمسرح والفنانين بوجه عام ، ويستطيع اليهود عن طريقهم ، أن يقدموا للعالم أفلاماً وروايات بها بذور صهيونية وحقائق مسمومة يتلقاها المشاهدون وهم فى غمرة البهجة ، فتصل إلى عقول الكثيرين منهم دون مقاومة تذكر .

التجسس :

كان التجسس ولا يزال وسيلة مهمة لليهود . يحصلون عن طريقه على أسرار الدول والجماعات ليستغلوا هذه الأسرار فى خدمة مصالحهم ، وفى إيقاف تطور أعدائهم أو تدمير هذا التطور ، فقد عرقت المسيحية منذ عهدا المبكر ، تجسس اليهود على قادتها وعلى أفكارها ، وكان من بين

(١) جون سكوت : الحكومة السرية فى بريطانيا ص ٨٠ .

الحواريين من عمل جاسوساً لحساب اليهود . فقد ذكرت الأناجيل الأربعة أن يهوذا الإسخريوطى عمل جاسوساً لليهود وسأوهمهم على تسليم عيسى نظير ثلاثين من الفضة ، ولما قبضها قاد جماعة من اليهود للقبض على عيسى حيث كان مختفياً ، وقد جاء في إنجيل متى عن ذلك ما يلي : حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يدعى يهوذا الإسخريوطى إلى رؤساء الكهنة . وقال : ماذا تريدون أن تعضوني وأنا أسلمه إليكم ، فاجعلوا له ثلاثين من الفضة . ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه (١) وبعد مدة اصطحب جمعاً معهم سيوف وعصى من قبل رؤساء الكهنة . وسار إلى حيث كان يختبئ عيسى واتفق مع هؤلاء على علامة يعرفون بها عيسى قائلاً الذى أقبله هو هو أمسكوه ، وتقدم يهوذا نحو يسوع وقال السلام يا سيد وقبّله . حينئذ تقدم اليهود وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه (٢) .

وفي مطلع الإسلام اتخذ اليهود التجسس وسيلتهم لينالوا من الإسلام ، فقد ادعى بعض اليهود دخول الإسلام واكتنم كانوا في حقيقة الأمر منافقين ، ومن هؤلاء داعس وسعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ورافع بن حريملة وغيرهم . وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام عن رافع يوم مات « اليوم مات منافق عظيم » وكان هؤلاء يتخذون المسجد وحلقات العلم مجلساً لهم ليتسقطوا أخبار المسلمين وليطَّلَعُوا على تنظيماهم . لينقلوا ذلك إلى اليهود وإلى حلفائهم المشركين ، ولكن المسلمين شكوا في تهجدهم وفي افتعالهم التقوى ، فراقبهم حتى ظهر منهم ما ينقل هذا الشك إلى اليقين ، فانقضَّ المسلمون عليهم وأخرجوهم من المساجد معلنين للملائمة نفاقهم (٣) .

(١) الاصحاح ٢٦ : ١٤ - ١٦ .

(٢) نفس الاصحاح : ٤٨ - ٢٠ .

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ١٦ وما بعدها ، وانظر تاريخ العرب قبل

الاسلام ، للدكتور جواد على ج ٦ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

وظل التجسس دأبهم في كل قطر أقاموا به ، كانوا جواسيس الحلفاء في ألمانيا . وكانوا جواسيس الغرب في روسيا . وهم لا يزالون حتى الآن يزالون حرفة التجسس في كل مكان نزلوا فيه . ففى كندا اكتشفت حلقة تجسس خطيرة سنة ١٩٤٥ كان اليهود يتزعمونها ، وكان من بين الجواسيس عضو في البرلمان الكندي وأستاذ في جامعة ماك دل (١) .

أما تجسس اليهود في البلاد العربية ، فلا تنتقطع خيوطه ، وهو يسير على أشده وتتوالى حلقاته ، ويشترك فيها الرجال ، والنساء الحسان ، ويدرب الجواسيس تدريباً كاملاً على استعمال الأجهزة والآلات الخاصة بالاستقبال والإرسال ، وكذلك على فنون التصوير والكتابة غير المرئية ، وإعادة الكتابة إلى الرؤية ، واستعمال المتفجرات وإرسالها داخل مظاريف ، وغير ذلك من الفنون . والجواسيس على صلة وثيقة بمراكز التجسس بإيطاليا وغيرها من دول أوروبا ، وقد استطاع الجواسيس أحياناً أن يضلوا بعض مرضى النفوس من الشعب العربي ليعاونوهم وليمدوهم بما تحت أيديهم من أسرار ليبعث بها الجواسيس إلى إسرائيل ، وهذه الكلمات تكتب بخاحية المعادى ودماء الأبرياء تسيل بهذه الخاحية نتيجة لظروف انفجر في وجه عامل في مكتب البريد ، فشوه وجهه وأفقده البصر إلى الأبد . وقد انكشف أمر الجاسوس الألماني اليهودى الذى ارتكب هذه الفعلة النكراء ، وقد اعترف الجاسوس الأثيم كما اعترف سواه قبله بما ارتكبوا من آثام .

التستر خلف أديان أخرى :

قلنا في السطور السابقة إن بعض اليهود تظاهروا بالدخول في بعض الأديان ليتمكنوا من التقاط أخبار أتباعها ، والتعرف على خططهم لينقلوها إلى اليهود ، ونحن الآن نتكلم عن طريق آخر من طرق استغلال اليهود للأديان ذلك هو التظاهر بالدخول في دين — لا لينقلوا الأخبار — بل ليعملوا وهم في ظل الدين الجديد ما يخدم أغراض دينهم الأصيل وهو اليهودية

وتبعاً لهذا المبدأ دخل اليهود أكثر الديانات المعروفة . دخلوا البوذية
والمسيحية والإسلام ، وهي الأديان الثلاثة الغالبة في العالم من حيث
العدد ومن حيث المكانة ، وأخذوا يعملون لصالح اليهود . ففي نطاق البوذية
أبرزت لى تجاربي الخاصة أن عدداً ممن يعتقدونها من رجال الشرق ارتضى
يعملون لصالح « إسرائيل » بنفس الإخلاص والحماسة التي يعمل بها
أى يهودى . وقد راعنى في مبدأ حياتى بالشرق الأقصى أن وجدت بعض
سفارات هذه البلاد باندونيسيا تخدم قضية إسرائيل بنشاط بالغ الحد ،
حتى لقد كنا نقول إنه ليس لهذه البلاد في هذا المبنى سوى اللوحة المثبتة
على الباب . أما أكث النشاط المنبعث من داخل المبنى فيخدم قضية
إسرائيل . وقد خف عجبنا عندما عرفنا أنه من كبار موظفى هذه السفارة .
بل من كبار حكومة هذه البلاد بوذيون من أصل يهودى . أو بوذيون اتخذوا
زوجات يهوديات أو زوجات بوذيات تحرى في غرقهن الدماء اليهودية .

وعد استطاع كثير من هؤلاء البوذيين ذوى الدم اليهودى أن يصلوا
إلى أرقى المناصب الدينية والدنية . حتى ارتسكت الكهانة أن تكون وقفاً
عليهم .

وإذا ذهبنا إلى المسيحية وقفنا أما شاءول « بولس » اليهودى
الفرس الذى دخل المسيحية وأحدث بها أحداثاً خطيرة . فنقلها من
ديانة خاصة ببنى إسرائيل إلى ديانة عالمية . ونقلها من التوحيد إلى
التثليث ، وقال بالوهية المسيح ، والوهية روح القدس ، واخترع قصة
الفداء للتكفير عن خطيئة البشر . . . بولس الذى طمس الديانة ، لماذا ؟
ليثار لدينه ، فهو قد تظاهر بالدخول في المسيحية ليحاربها من الداخل
بسلاح الهدم والتدمير ، متعاوناً في ذلك مع أبناء دينه اليهود في القضاء
عليها (١) والعجيب أن اليهود فيما بعد استطاعوا أن يخدعوا المسيحيين
حتى ثبتوا لهم أن أفكار بولس تمثل المسيحية ، وهى في الحق بعدة كل
البعد عن المسيحية الحقة وعن الأناجيل .

(١) انظر كتاب المسيحية للمؤلف من ٨٨ - ٨٩ .

أما في الإسلام فيصادفنا عدد من اليهود دخلوه ليدمروه . وفي القمة من هؤلاء عبد الله بن سبأ وهو الشخص الذي نقل الثورة ضد عثمان من الكلام إلى العمل ^(١) ، وقد قلت عنه في مكان آخر إنه لم يكن مخلصاً في حركته ، وكان يهودياً ادعى أنه دخل الإسلام ، ولم يكن يضر للإسلام ولا للمسلمين خيراً ، فانتهز فرصة صور من النقد ووجهت لسياسة عثمان ، وأسطل الفتنة وأنزل بالعالم الإسلامي ناراً ظلت متأججة عشرات السنين ، أو مئات السنين ، وبالإضافة إلى موقفه ضد عثمان ، ذلك الموقف الذي انتهى بقتل الخليفة ، تجده يدفع بنظريات فارسية يحشرها حشراً في الفكر الإسلامي ، فهو الذي نشر مذهب الوصاية ووضع الأحاديث ليدعم بها رأيه ، كما أشاع نظرية الحق الإلهي . وغير ذلك مما يجعله بحق زعيم الفتن السياسية والدينية في الإسلام ^(٢) .

ولا تزال هذه حال اليهود حتى العهد الحاضر . يدفعون ببعض أسرهم أو ببعض أفرادهم ليدخلوا هذا الدين أو ذاك . ويغيّر هؤلاء أسماءهم وينتقلون من بلد إلى بلد ويتعمقون في دراسة الدين الجديد ، ويأتي وقت عليهم لا يعرف الناس حولهم عن ماضيهم شيئاً ، وحينئذ يحاول هؤلاء أن يخدموا اليهودية دون أن يكونوا موضع اتهام ^(٣) ، ويعتقد بعض الباحثين أن عدداً من الكرادلة في الفاتيكان ينحدر من أصل يهودي ، وقد دفعتهم الأغراض اليهودية لاتخاذ بعض قراراتهم ، كقرار تبرئة اليهود من دم المسيح .

ومن أبرز اليهود الذين اعتنقوا المسيحية في العصر الحديث ذررائيلى الذى ولد في مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠٤ - ١٨٨١) ، من أب يهودي وأم يهودية ، وقد بدت عليه علامات النجابة والنبوغ منذ صباه ، فلما

Browne : A Literary History of Persia p. 220

(١)

(٢) انظر ما كتبه عنه في الجزء الأول من موسوعة التاريخ الاسلامي والحصارة الاسلامية . ص ٣٢٦ وما بعدها من الطبعة السادسة .

(٣) انظر البروتوكول التاسع من بروتوكولات حكماء صهيون انظر هامشي

الترجم . ص ١٦١ و ١٦٦ .

مات أبوه سنة ١٨١٦ رثى أن يدخل الصبي المسيحية فعمد في كنيسته في إنجلترا سنة ١٨١٧ ، وأتاح له هذا أن يتفعل في المجتمع الإنجليزي ويصبح نجما لامعا في الصالونات الاجتماعية ، ثم دخل ميدان السياسة فبرز فيه ، وفي سنة ١٨٢٧ دخل البرلمان الانجليزي ، وفي سنة ١٨٤٧ أصبح زعيما لحزب المحافظين ، وفي سنة ١٨٧٤ أصبح رئيسا لمجلس الوزراء البريطاني ؛ وبهذا وصل قمة السياسة العالمية ، واستمر في هذا المنصب ست سنوات ، وينسب له أنه أقدم من عمل لإقامة إسرائيل في العصر الحديث ، فقد اشترى لانجلترا نصيب مصر من أسهم قناة السويس ، فثبت بذلك أقدام بلاده لتحرس الوطن الذي كان قد فكّر في إقامته لبنى دينه ، ثم خطا خطوة أخرى لخدمة اليهود ، فساعد بعض المسيحيين أو اليهود الذين دخلوا المسيحية على شراء بعض الأضلاع في فلسطين ، فخط بذلك الخط الأول لإقامة وطن قومي لليهود بهذه البقعة المقدسة .

التآمر والاعتقال :

التآمر والاعتقال طبيعة في اليهود لم تتخلف في كل عصورهم . وقد شهدناها ضد يوسف من إخوته ، وتحدث القرآن الكريم عن هذه الطبيعة في اليهود فذكر أنهم « كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ^(١) » .

وعندما جاءت المسيحية اتجه التآمر والاعتقال تجاه الجماعة الجديدة ، وكان المسيح نفسه — في رأيهم — ضحية من ضحايا اليهود ، وقد نزل بكثيرين من أتباعه في عهده وبعده مثل ما نزل به ، فقد جاء في كتاب « سحر حادوروث » ما يلي :

الحاخام الرياني يهوذا كان محبوباً لدى الإمبراطور الروماني ، فذكر له عن الناصريين أنهم سبب وجود الأمراض المعدية ، وبناء على

(١) سورة المائدة : الآية ٧ .

ذلك تحصل على الأمر بقتل كل هؤلاء الناصريين ، الذين كانوا يسكنون روما في فترة تعادل تقريبا سنة ١٥٥م ، وجاء في الكتاب نفسه بعد هذه العبارة أن الإمبراطور « مارك أوريل » قتل جميع الناصريين بناء على إيماء اليهود . وفي كتاب سفر يوكاسين أنه في زمن البابا « أكليمان » قتل اليهود في روما وخارجها جملة من النصارى كرمال البحر ، وكان اليهود محبوبين عند الامبراطور نيرون ^(١) ، ويبدو أنه بإيعازهم ألقى نيرون المسيحيين للوحوش الضارية ، تنهش أجسامهم . وأمر فطليبت أجسام بعضهم بالقار . وأشعلت لتكون مصاييح بعض الاحتفالات التي كان يقيمها في حدائق قصره ^(٢) .

وجاء الإسلام فبدأ قَامر اليهود مبكراً ضد هذا الدين ، فلقد حاولوا اغتيال محمد بـ دة طريق . كان منها أن وضعت امرأة يهودية له السم في طعام دعته إليه ، وذهب مرة إلى مساكن بنى النضير يطلب منهم — بناء على المعاهدة التي كانت بينه وبينهم — أن يسلموا مع المسلمين في دفع دية الترموا بها فتظاهر اليهود بحسن استقباله ، وقالوا له : نعم يا أبا القاسم نعيذك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، وطلبوا منه الجلوس . ثمما يعبرون المال الذي طلبه ، وذهب اليهود لا ليجمعوا المال من بينهم بل ليعبروا حيلة للقضاء على محمد ، ولكن الله أوحى له بأن اليهود ياتمرون به ليقتلوه ، فانسحب في صمت ، وكان عقاب بنى النضير أن أخرجوا من المدينة .

ولم يكف اليهود عن تدبير المؤامرات ، فراحوا يدبرون مؤامرة أوسع وأقسى ، يريدون بها القضاء على الإسلام والمسلمين وكان ذلك في غزوة الأحزاب ، عندما تجمعت قوى الشر وحاصرت المدينة ، فاتصل يهود بنى النضير الذين هاجموا المدينة مع المهاجرين ، بيهود بنى قريظة الذين كانوا

(١) نقلا عن الكنز المرصود ص ٧٠ .

(٢) انظر : زكي شنودة : تاريخ الاقباط ص ١٠١ .

لم يزالوا بالمدينة . ودُبرت مؤامرة من أعنف المؤامرات ، ليضرب بنو قريظة المسالمين من الخلف اية مبرم بين شقي النحل ، واستحاب يهود المدينة لهذا الغدر الذي أوقع المسلمين في حالة من الذعر والقلق يصورها القرآن الكريم أدق تصوير حين يقول : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً (١) » ولكن الله نجى المسلمين من هذا الطغيان ورد الذين كفروا على أعقابهم (٢) .

واشترك اليهود في قتل عمر وعثمان ، وفي كل حركات الاغتيال التي حدثت في العالم الإسلامي أو أكثرها (٣) .

وظلت هذه خطة اليهود في جميع مراحل التاريخ ، حتى في أزهي عصور المدنية التي حرمت دم الإنسان وحثت رأيه واتجاهه ، ولكن الغدر والاغتيال كانا دستور اليهود فلم يحدوا عنه ، قاموا به في روسيا ، وبنفوذهم ضد الانجليز في فلسطين ، وقاموا به في ألمانيا وأمريكا ، وكان نصيب العرب منه نصيباً واسعاً .

ففي روسيا ظهر في بداية القرن العشرين منظمة من أبرز منظمات الإرهاب التي سجلها التاريخ أطلقت على نفسها « الحزب الاشتراكي الثوري » وكان اليهود يسيطرون على هذه المنظمة ، وكان بالمنظمة قسم للإرهاب يرأسه يهودى اسمه « غرشونى » وهذا القسم هو الذى اغتال ستة من كبار الزعماء بروسيا ، وقد حوكم أعضاء هذا القسم وثبت عليهم الاغتيال فأعدم بعضهم . وحكّم على آخرين بالسجن المؤبد (٤) .

ونال الألمان نصيباً وافياً من اغتيال المنظمات الإرهابية اليهودية ،

(١) سورة الاحزاب الايتان ١٠ - ١١ .

(٢) انظر ما كتبه عن « اليهود والمسلمون » في موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ج١ ص ١٦١ - ١٧٦ من الطبعة السادسة .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٦ - ٢٧٩ .

(٤) Franit Briton : Behind Communism p. 44 .

فاليهود تارة يهاجمونهم في الطرقات فيقتلونهم أو يخطفونهم ، وتارة يرسلون لهم المواد المتفجرة ، وبخاصة لأولئك الذين عملوا و تعاقدوا على العمل مع البلدان العربية .

وقد قامت « جماعة ستين » باغتيال اللورد موين « Moyne » ، الذي كان وزيراً بريطانياً مقيماً بالقاهرة ، لاعتقادهم أنه — إبان كان وزيراً للمستعمرات — قام بتخصيب أبواب الهجرة إلى فلسطين في وجه اليهود (١) .

وفي سنة ١٩٤٨ أطلق اليهود على الكونت برنادوت وسيط هيئة الأمم اثنتي عشرة رصاصة في أثناء وجوده بالسيارة التي كان يستقلها بالقدس ثمات على الفور مع أحد مساعديه الفرنسيين ، وكان كل ذلك لأنه أعرب عن رأيه بأن العدالة تقضي بإعادة النقب للعرب (٢) .

وليس الرئيس الأمريكي الراحل كيندي إلا ضحية من ضحاياهم ، ومن العجيب أن التحقيق كان يسير في هذا الاتجاه وذلك ، حتى إذا أوْشك أن يلتفّ حول اليهود عواد أدراجه فانفض عنهم ، لا لشيء إلا لأن الاغتيال كان جزءاً محددًا لكل من يثبت هذه الجريمة على اليهود . ولم يكن ذنب كيندي لدى اليهود إلا أنه أيّد العدالة في قضية اليهود والعرب ، وقضية التفرقة العنصرية في أمريكا .

ومن الاغتيالات التي حدثت بمصر ، ذلك الطرد المملوء بالمتفجرات الذي أرسله اليهود في مارس سنة ١٩٦٣ ففضى على ستة من العلماء المصريين في أحد مراكز البحوث العربية .

وفي العراق ضبط البوليس سنة ١٩٥١ كميات كبيرة من الأسلحة والمواد المتفجرة ، مخبأة في كنيس يهودي يدعى كنيس عزرا ، وكانت هذا الكميات

Kirk. A Short History of the Middle East p. 323.

(١)

John Scott : The Secret Government in Britain p. 56.

(٢)

كافية لنسف بغداد كليهما ، كما أن البوليس اكتشف في منزل أحد الأثرياء اليهود مخبأ متمسقا يضيق بما فيه من مدافع رشاشة (١) .

هذه صورة سريعة لمظهر التآمر والاغتيال عند اليهود لم نقتد بها إلا الإشارة الخفيفة ، فإن إحصاء هذه الأحداث يفوق العد .

جمعيات سرية

الجمعيات السرية الخطرة كانت ولا تزال من أهم المؤسسات التي اعتمد عليها اليهود لتنفيذ أغراضهم والوصول إلى هدفهم ، وقد ينشئ اليهود جمعيات لهذا الغرض . أو يُوعِزُونَ بإنشائها ، وقد يجد اليهود جمعيات قامت لغرض أو لآخر فيندسون فيها ، وينفتنون فيها سمومهم ، ويوجّهون أتباعها ووجهتهم التي يريدونها . ولا تكاد توجد جمعية ذات أسرار وأخطار إلا كان اليهود يعيشون فيها خلف الستار . والمراجع العديدة التي اعتمدنا عليها في هذا الباب توحى بأن اليهود كانوا خلف الحركات التي هبت في وجه المسيحية والإسلام . فقد كانوا خلف جمعية فرسان المعبد ، وجمعية الصليب الوردى وغيرهما من الجمعيات التي وجهت نشاطها للنيل من المسيحية ، وكانوا خلف القرامطة ، وغلاء الشيعة . وغيرهما من الجمعيات التي ناصبت المسلمين العداء رغبة النكيل من الإسلام ، وفي مكان آخر لم أقبل تعبير « غلاة الشيعة » وقلت إن هؤلاء ليسوا شيعة وليسوا مسلمين ، وإنما هم جماعة من أعداء الإسلام تظاهروا بالدخول فيه وتظاهروا بالتشيع ، فجعلوا من اسم الشيعة ستارا لهم ، ونسجوا خلفه ألوانا من الترهات والأباطيل بقصد الكيد للإسلام والمسلمين (٢) .

(١) جون بتي : الستار الصهيوني حول أمريكا ص ١٤٦ (الترجمة العربية) .

(٢) موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية للؤلف ج ٢ ص ١٥١ من الطبعة السابعة .

وينبغي لى أن أوضح شيئاً خطيراً يصطنعه أعداء الإسلام للنيل منه ، ذلك أنهم على اختلاف مشاربهم أدركوا أن من العسير جداً أن يرتد المسلم عن الإسلام إلى سواء من الأديان ، وأن محاولة ذلك تكلفهم جهداً كبيراً ومالا ضخماً دون أمل ، ومن هنا اكتفى هؤلاء من المسلم بتضليله ، ودفعه إلى الانحراف والبعد عن الإسلام الصحيح وإن لم يعتقد ديناً سواه ، ومن وسائلهم لذلك أن يكلموه عن الإنسانية والعمل لخيرها ، مع الإيمان بالله وتوحيده ، ويجعل هؤلاء شعارهم « الله » أو « الإنسانية » ومن وسائلهم أن يصوروا له أن الأديان « أفيون » الرعاع فينحدروا به إلى اللادينية ، ومنها أن يمجسوا به إلى مذهب منحرف من المذاهب التي تربط نفسها بالإسلام كالأحمدية والإسماعيلية ، واليهود خلف هذه الطرق جميعاً بطريق مباشر . كأن يؤسسوا هذه الجمعيات أو ينضموا إليها ، وبطريق غير مباشر كأن يدفعوا الاستعمار إلى تأييد مثل هذه الجمعيات . والهدف واحد هنا وهناك .

وإذا تركنا الماضي وعشينا بالحاضر وجدنا اليهود خلف كثير من الجمعيات السرية الخطرة التي تبذل غاية الجهد للنيل من الأديان والأوطان

إننا ندعو الناس مهما كانت أديانهم أو أوطانهم أن
يقرءوا ما سندونه هنا عن :

• لاسونية - والروتارى - والليوتز - والبوجا •

• فهى أعاصير سامّة تدفعها الصهيونية ليستتشقها المخدوعون •

هذه الجمعيات أو الأندية :

الجمعيات السرية التي تحارب الأديان والأوطان بدوافع صهيونية ،
جمعيات كثيرة ، وهى مختلفة الأسماء ، ولكنها متحدة الأغراض ، وقد

قفت السياسة الصهيونية أن تحمل هذه الجمعيات أسماء مختلفة بحيث لو كشفت أسرار جمعية منها وقدّر عليها أن تخلق أبوابها ، فإن الجمعيات الأخرى تستمر في مزاوله نفس النشاط وأداء نفس المهمة ، وأسهر هذه الجمعيات على :

المسوية - الروتاري - الليونز - البوجا

وجميعها توهم بالنشاط الاجتماعي ، وتقوم ببعضه فعلا بشرط أن يكون هذا النشاط ناعبا قليل الجدوى أو عديم الجدوى ، كما لا تناف حول ملئدة لتناول طعام ، أو الاستماع لخطاب يلقيه واحد منهم ، أو تقديم هدايا ضئيلة في بعض المناسبات ، أما العمل الحقيقي لهذه الجمعيات فهو السم الذي ينشر بودوء ، هو التجسس ، والإغراء ، وهداية الوطنية ، ومعارضة الارتباط بأتنين .

وهذه الجمعيات - كما سنرى - تضم مجموعة من الأبرياء الذين خدمتهم المظاهر في هذه المؤسسات ، أو تان عندهم فراغ من الوقت يستعملون لشغله ، وهؤلاء يعيشون في هذه الجمعيات كواجبة لينجذب لها آثرون ممن تلعب بهم أغراض الصهيينة .

إننا نزيب بكل مسلم ، وكل مسيحي ^(١) أن يبتعد عن هذه المزالق وأن يتعرف على حقيقة هذه المؤسسات مما مقتبسه من أدق المصادر حتى يحمي نفسه ودينه ووطنه من هذا الفساد .

وننبه إلى أن الأندية المصرية والعربية كثيرة ، والجمعيات الاجتماعية متعددة ، وكلها تتبع الفرصة لزاوله النشاط البريء وشغل أوقات الفراغ ، بعيدا عن مؤسسات تتخذ مركزها الرئيسي في شيكاغو أو نيويورك وتقوم أيدي الصهيينة بتحريك خيوط نشاطها . وقد بلغت فاللهم أشهد .

وسنمطى بعض التفاصيل عن هذه الجمعيات فيما يلي :

(١) سنرى أنه صدر مرسوم بلوى يحظر المسيحيين من الاشتراك في

الماسونية

لمحة تاريخية :

نشأة الماسونية ليست محددة التاريخ . ويربطها بعض الباحثين بالكهانة في عهد الفراعنة ، ويقرر آخرون أنها أنشئت في هيكل سليمان ، ومنهم من ربطها بالحروب الصليبية ، أو بجمعية الصليب الوردي « سنة ١٦١٦ » ، ويراهم آخرون أحدث نشأة ، فيحددون لقيامها القرن الثامن عشر ، واعتقادي أن هناك ارتباطاً بين هذه الآراء جميعاً . فالماسونية كما سنرى منظمة يهودية ، تظهر لخدمة اليهود من حين إلى حين ، وليس بعيداً أن يكون اليهود قد اقتبسوا بعض أنظمتها وأسرارها من الفكر المصري ، ثم تجددت مع هيكل سليمان ومع الحروب الصليبية وغيرها من الأحداث الكبرى .

ويكاد الباحثون يجمعون على أنها هي جمعية البنائين الأحرار ، التي وُجدت منذ أقدم العصور في مصر واليونان وفلسطين ، ومصدر إجماعهم هو التشابه العظيم بين الجماعتين في النظم والتقاليد ، واعتقادي أن الماسونية منظمة سرية يهودية ، وأن هناك رباطاً يربط بينها وبين البنائين الأحرار ؛ ذلك أنه كان من بين البنائين من ارتقت مكانته ، فأصبح ذا صلة بأسرار الأهرام والهيكل والمقابر ، فإذا كان البنائون العاديون يبنون الأهرام ، فإن الخاصة منهم يوكل لهم بناء ما بداخل الأهرام من أسرار ، كالتمن الذي مستودع فيه جثة الملك وما معها من حلى وثراء . وكالطريق الموصل لهذا المكان وكان هؤلاء الخاصة من البنائين على صلة بالكهنة وبالأسرار الكونوتية ، فلما أنشئت الماسونية بتعاليمها السرية ، كان من ضمن الأسرار أن تتخذ لها اسماً فيه خفاء من جهة ، وفيه دلالة على احتضانها للأسرار من جهة أخرى ، فاتخذت لها اسم « البنائين » وهذا هو الذي ربطها بالبنائين الأحرار .

الظاهر والباطن في أهداف الماسونية :

وأهداف الماسونية في الظاهر تختلف اختلافاً كبيراً عن أهدافها في الباطن . فهي في الباطن وفي حقيقة الأمر - كما يقول الحاخام الدكتور اسحق وايز - مؤسسة يهودية وليس تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السرّ فيها وشروطها إلا أفكاراً يهودية من البداية إلى النهاية (١) ،

أما في الظاهر فهي تظهر للسذّج كأنها - كما يقول مكاريوس شاهين - جمعية أدبية تخدم الإنسانية ، وتنتور الأذهان وتنتشر الإخاء . وتوطد الحب بين الأعضاء . تحثهم على فعل الخير والإحسان لإخوتهم المحتاجين (٢) . وهي في الحق بعيدة كل البعد عن هذه الصفات .

وشعار الماسونية الظاهري : الحرية والإخاء والمساواة ، وقد حاول اليهود الانتفاع بهذا الشعار وبخاصة في أوروبا خلال العهد التي عانى اليهود فيها مرارة الاضطهاد ، فكانوا يقصدون حث الناس على أن يمنحهم الحرية ، وأن يعاملوهم بودٍّ وبدون تفرقة .

ولا تفتح الماسونية أبوابها لكل الناس ، إنما تختار صفوتهم فتشترط لمن يريد الدخول فيها ، أن يكون رشيداً ، له مهنة شريفة ، وثقافة لا بأس بها ، حر النسب مستقيم الخلق ، لم يعرف بالطيش أو الخلاعة .

وتضع الماسونية لها دستوراً علنياً يبدو جذاباً خداعاً ، توصي فيه بالعمل الصالح ، وحب الناس ، وتطهير النفس ، والتعاون مع الزملاء من الأعضاء تعاوناً كاملاً ، وإكرام الغريب ، واحترام المرأة ، وتجنب المشاجرات .

وعند ما يُقرَّر قبول عضو جديد ، يتقدم ليقسم قسم الجمعية الذي يصبح بمقتضاه عضواً كاملاً يؤدي واجبه ويتحمل مسؤولياته . ونص القسم كالآتي :

The Israelite of America, August 3rd 1866.

(١)

(٢) عبد الحليم الخوري : الماسونية : ذلك العالم المجهول ص ٢٢ - ٢٣ .

أقسم بمهندس الكون الأعظم أنني لا أفشى أسرار
الماسونية ولا علاماتها وأقوالها ، ولا تعاليمها وعاداتها ،
وأن أصونها مكتومة في صدري إلى الأبد .

أقسم بمهندس الكون الأعظم ألا أخون عهد الجمعية
وأسرارها ، لا بالإشارة ولا بالكلام ولا بالحروف ، وألا
أكتب شيئاً منها ولا أنشره بالطبع أو بالحفر أو بالتصوير ،
وأرضى - إن حنثت في قسمي - أن تحرق شفتاي بحديد
ملتهب ، وأن تقطع يداي ويحزّ عنقي ، وتعلق جنتي في
محفل ماسوني ليراه طالب آخر ليعتظ بها ، ثم تحرق
جنتي ويذّر رمادها في الهواء ، لتلا يبقى أثر من
جنايتي (١) .

وهذا القسم يمدّنا بمعلومات خطيرة عن الماسونية نوضحها
فيما يلي :

أولاً - هو قسم منقطع عن دستورها العلني الذي ذكرناه آنفاً
فليس به حث على العمل الصالح ، وحب الناس ، وتطهير النفس أو غيرها
من الأهداف الظاهرة التي تكلمنا عنها .

ثانياً - هو قسم واضح الدلالة على أنه إقدام على شيء حافل
بالأسرار ، فأول شيء يندب عليه القسم ، عدم إفشاء هذه الأسرار بأية
حورة من الصور .

ثالثاً - هو وعيد صارم للطلاب بالقتل والتمثيل بجنته إن أفشى هذه
الأسرار ، ويرى بعض الدراسين أن هذا الوعيد نكفد أحياناً بان قتل
من أفشى السر بصورة تجعله يبدو كأنه مات منتحراً أو مات موتاً طبيعياً .

(١) محمد علي الزغبى : الماسونية منشئة ملك اسرائيل .

ومراتب الماسونية ثلاثة هي :

١ — الماسونية الرمزية : ويدخل بها أتباع الديانات المختلفة ، ويياثر هؤلاء طقوساً وحركات لا يفهم مغزاها ، ويظل فيها الشخص قائماً بألفاظ الحرية والإخاء والمساواة ، سعيداً بما يناله من عون من الأعضاء الآخرين ، ذلك العون الذي كثيراً ما يدفع العضو إلى مكان الصدارة في عمله ، أو يكسب له وظيفة ممتازة أو ثراء عريضاً ، مما يجعله يزيد ارتباطاً بالماسونية وحباً لأنظمتها ، وفي داخل هذا القسّم توجد ثلاث وثلاثون درجة ، يترقى فيها العضو درجة بعد درجة بمتدار إخلاصه وكفاءته وإقباله على الماسونية وتعاليمها ، وينال العضو أسمى الدرجات إذا تم انحرافه عن دينه وعن وطنه ، وأصبحت الماسونية كل عقيدته . واحتوت كل تقديره .

٢ — الماسونية اللوكنية أو العقْد اللوكني : وأكثر أعضائها من اليهود ويطلق عليهم الرفقاء : ولا يسمح لغير اليهود بالدخول فيها إلا لمن رجا لأرقى درجات الماسونية الرمزية أي لم يعد يكثر بدين ولا وطن ، وليس له مثل أعلى سوى الماسونية .

٣ — الماسونية الكونية : وهي أرقاها ، وأعضائها من اليهود الخالص ، ويطلق عليهم الحكماء ، ورئيس هذا الفريق يلقب بالحكيم الأعظم ، وهو مصدر السلطات لجميع المحافل الماسونية ، ولا يعرف أحد أعضاء هذه المرتبة ، ولا مركز نشاطها .

وللماسونية ألوان وصور تتبع الدرجات والراتب ، وهي سر من الأسرار لا يعرفه غير أعضاء كل درجة .

وقد أدرك زعماء المسيحيين خطر الماسونية بوجهه خاص وخطر الجمعيات السرية بوجه عام على الدين المسيحي ، فصدر مرسوم بابوي رقم

٨٦٤ يحذّر الكاثوليك من الاشتراك في الهيئات السرية والمشتبه فيها على الإطلاق .

الماسونية في مصر والبلاد العربية :

لم تفتح العيون بمصر على خطر الماسونية إلا متأخرة ، فقد اتضح لولاة الأمر ما تقوم به الماسونية من اخطار في مطلع سنة ١٩٦٤ فصدر قرار في ابريل من ذلك العام بإلغاء المحافل الماسونية بمصر ، فأغلقَ هذا البواب أبوابه .

وانتهت الماسونية بمصر ولكن مهامها ألقيت على الروتارى والليونز واليوجا كما سنرى بعد قليل .

وانتهت الماسونية بمصر بعد التأكد من أضرارها ، ولكن للأسف لا تزال المحافل الماسونية تباشر نشاطها في كثير من البلدان العربية والإسلامية جنبا إلى جنب مع الجمعيات الصهيونية الأخرى .

صورة جديدة من أخطار الماسونية :

نشرت صحيفة الأخبار القاهرية صفحة في العدد الصادر يوم ١٩٨١/٦/٣ عن فضيحة كبرى من فضائح الماسونية ، ونقتبس من هذه الصفحة بضعة سطور لنرى صورة من أعمال الماسونية :

والعنوان الرئيسى (المانشيت) لهذه الصفحة هو :

الشبح الذى يحكم إيطاليا

المحفل الماسونى بإيطاليا دولة داخل الدولة

وفى داخل إطار أعلى الصفحة جاءت العبارات الآتية :

محفل ماسونى هو الذى اطاح هذه المرة بالحكومة فى إيطاليا . والفضيحة الجديدة ، التى يمكن أن يطلق عليها « مؤامرة الماسونيين » جعلت جميع الفضائح التى شهدتها إيطاليا طوال الثلاثين سنة الماضية

تبدو مجرد فقاعات صغيرة ، وقد تمّ العثور على قائمة تضم ٩٦٢ اسما من الشخصيات الكبيرة التي تشغل أخطر المراكز في إيطاليا تنتمي إلى المحفل الماسوني وعن طريق هذه الشخصيات تمّ إخضاع كل الأجهزة والمؤسسات في إيطاليا لسلطة خفية سرية .

ونقتبس من هذه الصفحة بعد ذلك بضعة سطور :

— كانت الصهيونية العالمية تنتظر من الصفوة الماسونية بإيطاليا أن يقدّموا معلومات عن عملهم وعن خصومهم .

— هناك وثائق ضبطت كانت معدّة ليعتقد الماسونيين ضد الأعضاء في عمليات ابتزاز وتهديد اذا دعت الحاجة . أى اذا كشف أى منهن أسرار الماسونية ، فحينئذ يعرض نفسه لإذاعة هذه الوثائق التي تدبّنه في عمليات خطيرة اعترف في الوثائق بالقيام بها ، ومنها جرائم قتل ، وتهريب رؤوس أموال ، وتجارة غير مشروعة ، واختلاسات ، وإرهاب أسود .

— امتد خطر الماسونية بإيطاليا إلى الجيش والبوليس ، فقد شملت القائمة بعض جنرالات الجيش والبوليس وحرس الحدود وهذا هدف الأمن الداخلى والأمن الخارجى للدولة .

— استعملت الماسونية الابتزاز والرشاوى والوعود لتحقيق الأغراض الصهيونية .

ذلك موجز سريع لهذه الصفحة السوداء التي تحكى أخطار الماسونية .
لعل الدول العربية والاسلامية توقف هذا الخطر قبل أن يستفحل .

الروتارى

لم يكتف اليهود بالمسونية السرية رغم أنها تنتسك في البلدان بأشكال مختلفة تبعاً لطبائع كل بلد ونظمه . بل أقاموا هيئة أخرى علنية منفصلة عنها ، تؤدي بعض مهامها تحت ستار الإخاء الإنسانى أيضاً ، وسموها « أندية الروتارى » وتوجد هذه الأندية في العواصم والمدن الكبرى . والغرض الظاهرى منها هو النظر في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية بإلقاء المحاضرات والخطب ، والعمل على التقارب بين أتباع الأديان المختلفة والبلدان المتعددة . أما الغرض الحقيقى فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الإخاء والود ، ثم يحاول اليهود عن هذا الطريق أن يصلوا إلى جمع المعلومات التى تساعدهم في تحقيق أغراضهم ، اقتصادية كانت أو صناعية أو سياسية .

ولقد فطن الفاتيكان أيضاً إلى خطر هذه الأندية كما فطن من قبل إلى خطر الماسونية ، فصدر مرسوم من المجلس الأعلى المقدس في ٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٥٠ قرر فيها الكرادلة ما يلى :

« دفاعاً عن العقيدة وعن الفضيلة تقرر عدم السماح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بنادى الروتارى وعدم الاشتراك في اجتماعها ، وإن غير رجال الدين يطالبون بمراعاة المرسوم رقم ٨٦٤ الخاص بالجمعات السرية والشتبه فيها » .

وتتفق الماسونية وأندية الروتارى في أن أبوابها ليست مفتوحة لكل الناس ، وإنما يختار لهما أحد نوعين ، يتحتم أن نتحدث عن كل منهما على حدة .

النوع الأول : جماعة المشاهير الذين لا تحوم حولهم شبكات ، والذين لهم مراكز عظيمة في المجتمع ، ويوضع هؤلاء في الدرجة الأولى أى الدرجة التى لا ترى إلا الحفلات والرحلات ومظاهر الإخاء الإنسانى ، ومهمة

هؤلاء أن يضمنوا السلامة وإبعاد الشبهات عن الجمعية من جانب . وأن
يُخدعَ بهم آخرون فيتقدموا للانضمام لهذه المؤسسات من جانب آخر .
ويقال إن السيد جمال الدين الأفغاني كان عضواً في الاسونية . وكان
الإمام محمد عبده كثير الجلوس في بيروت مع عباس افندي الذي آلت له
رياسة البعثية التي سنتكلم عنها فيما بعد ، وكان عباس شديد الولاء
للانجليز . ويسير ركبته بحماسة في خدمة الحلفاء في خلال الحرب العالمية
الأولى . وكان شديد الانحراف عن الدين . ولكنه كان يخفى عذا الاتجاه
في جلساته مع الأستاذ الإمام ، حتى كان الإمام يبدي إعجاباً به ، وقد
دهش السيد رشيد رضا من عذا الموقف للأستاذ الإمام ، ولكننا نلتبس
العذر له ، فأمثاله في التاريخ كثيرون ممن انجذبوا لهذه المؤسسات وأخفيت
عندهم تماماً الاتجاهات المنحرفة لها .

شاهد عيان يتحدث عن الروتاري :

وممن انضم لأندية الروتاري من المفكرين المصريين المعاصرين الأستاذ
أنيس منصور . وقد ظل عشر سنوات يدور في هذه الدائرة الخيقة :
حفلات وطعام دون جدوى ، ثم صرخ بعد هذه السنوات صرخة مدوية .
صرخة شاهد عيان تتناول فيها عن جدوى هذه الأندية ونشر مبرهنته في
« مواقف » بالأخبار يوم ١٩٧٣/٥/٢٠ وفيها يقول :

« اشتركتُ على سبيل العلم بالشيء ، في إحدى

جماعات الروتاري منذ أكثر من عشر سنوات ، وكان

اشترائي نتيجة لضغط شديد من الأصدقاء قالوا لي :

تعال ، تفرج ، لكي ترداد معلوماتك ومعارفك .. بدلا من

أن تدفن رأسك وحياتك كلها في الكتب .. يا أخي أنت

درت حول الأرض شرقاً وغرباً وسوف يأتي العالم كله

إليك .. تعال ، اشترك .

وذهبت واشتركت ، وفي اليوم الأول كان حفل غداء ،
والغداء أحم حدث أسبوعي في كل جمعيات الروتاري . .

« وفي أثناء الغداء أو بعده كان يتسال لنا : جاعنا
اليوم مستر كوكو ما كوكو من اليابان وهو عضو الروتاري
المركزي في طوكيو ، ويحفل إليكم تحيات السيد أكوماكو
الرئيس الفخري .

« ويتعالى التصفيق ، ثم يتبادل الزائر أليسا داني
ورئيس الروتاري المصري الأعلام . . ومع التصفيق يجلس
الزائر لتسمع عن زائر آخر جاء من الهند ويحذل تحيات
الهنود . . وزائر ثالث من أمريكا . . . وهكذا . . غداء
وتصفيق وأعلام ولا شيء بعد هذا

« وأذلك يمكن القول انه لا معنى لعضوية الروتاري
إلا إذا كان الإنسان خالسا لا عمل له ولا دور له في أي
مجال ، وإن كنت اعترف بأن كل إنسان حر في تبديد وقته
وطاقته وماله .

« ومن الأخبار المضحكة التي تنشرها الصحف
والمجلات ظهور عدد كبير من الجمعيات الروتارية النسائية ،
تجتمع وتنقض . لماذا ؟ لا أحد يعرف الإجابة ، وأهم
نواحي نشاطها هو الغداء أو العشاء ، وأن تتخذ قرارها
في كل اجتماع ، بأن يكون الغداء القادم في المكان الفلاني ،
ووكذات الجمعيات النسائية الروتارية جمعيات صغيرة
لأطفال الروتاري ، وهم أيضاً يجتمعون ويصدرون قرارات
أخرى مماثلة وتنتشر لها الصور في الصحف مجاملة
وشجياً ، لأن بعض أعضائها من أقارب الزملاء الصحفيين
أو أصدقائهم .

« والناس يتساءلون : مَنْ هؤلاء الروتاريون ؟ ما دورهم ؟
ما رسالتهم ؟ ما سرُّ حرصهم على إضاعة الوقت وإيهام
الناس بأنهم يستثمرون الوقت لصالح الآخرين ؟ »

« أنا حقيقة لا أدرى لها فائدة ، ولم أسمع من أحد
أن لها فائدة » .

وما أن نشر الأستاذ أنيس منصور هذه الكلمة حتى ثارت تائراً الذين
يهمهم أن تبقى حياة هذه المؤسسات سرّاً مكتوماً ، وهاجم أحدهم الأستاذ
أنيس هجوماً وصفه سيادته في كلمته في ٣٠/٥/٧٣ بأنه تفوّه بثنائم
لا تصدر إلا من رجل مصاب بثشنج أو جنون ، وأنها نوبة روتارية .
النوع الثاني ممن يختارون للماسونية والروتاري : جماعات تجي ،
منجذبة بالأسماء الالامعة السابقة ، وتختار هذه الجماعات بدقة عائلته
بحيث يكون هناك أمل في أن تعمل لتحقيق الأغراض الرئيسية لهذه المؤسسات
بكشف بعض الأسرار أو ترويع الاضاعات الضارة .

والبحث التاريخي يثبت علاقة بين القرامطة الذين حاربوا العالم
الإسلامي وكانوا من أسباب ضعفه وبين هذه المؤسسات ، من ناحيتين :

أولاً : صفات من يقبل للالتحاق بهذه وتلك ، فلم يكن يقبل أحد
للانضمام للقرامطة إلا بعد اختبارات طويلة ومراسم خاصة (١) ، وكذلك
لا يسمح للانضمام للروتاري إلا لجماعات خاصة تدخل تحت النوع الأول
أو النوع الثاني . ؟

ثانياً : الاتجاهات السرية في القرامطة وفي هذه المؤسسات ؟ فكلمة
« قرمط » معناها « المعلم السري » كما يقول الدكتور فيليب حتى (٢) .

(١) انظر الجزء السابع من موسوعة التاريخ الإسلامي للمؤلف عند الحديث
عن القرامطة .

(٢) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج ٢ ص ١٨٩ .

ويقابل ذلك القسم الذي ينضم به العضو الجديد لهذه المؤسسات فهو حافظ بالأسرار والغموض ، وقد سبق أن أوردنا نص القسم الذي يقسم به العضو الذي يدخل الماسونية ، ولا يستعمل هذا القسم مع النوع الأول ممن يختارون للماسونية والروتاري حتى لا يثير هذا القسم شكوك هذا النوع من الأعضاء .

وجماعات النوع الثاني التي تدخل هذه المؤسسات منجذبة بالأسماء اللامعة السابقة توضع عقب دخولها تحت الاختبار ، وتدرج في الدرجة الأولى من الدرجات المتعددة لهذه المؤسسات ، وفي هذه الدرجة تباشر هذه الجماعات ألواناً من الحفلات التي تحدث عنها الأستاذ أنيس منصور ، وقد تمارس بعض الرحلات ، أو ترى ما يمكن أن يسمى التعاون والمساعدة ، وفي خلال هذه المرحلة هناك عين يهودية تفحص وتختبر تلتقط من بين هذه الجماعات من تتوافر فيه الصفات الثلاثة التالية :

١ — التسامح الديني أو قل عدم الحماسة للدين ولشعائره ولطقوسه ، أياً كان هذا الدين .

٢ — عدم الحماسة الوطنية ، وضعف الارتباط بالوطن .

٣ — النفوذ الذي يستمتع به ذلك العضو ، وقد يكون هذا النفوذ عن طريق أسرار تحت يده أو عن طريق كلمة مكتوبة أو مقولة يمكن أن يؤثر بها على الآخرين . أو عن طريق المقدرة على نشر الشائعات .

والذي تتوافر فيه هذه الشروط تلتقطه العين اليهودية الفاحصة لتضعه في مرحلة أعلى ، وتقدم له مزيداً من العون ، ويشجع على عدم الحماسة للدين أو للوطن ، وذلك باستعمال تعبيرات خداعة مثل : الإنسانية — والدين لله ، وهكذا ..

وإذا استجاب هذا العضو لهذه الاتجاهات نقل إلى درجة أعلى . وهو في كل خطوة ينال مزيداً من العون في النواحي التي ترضى رغبانه

مادية كانت أو معنوية ، ويصل أخيراً إلى المرحلة التي يُصبح فيها أداةً طيعة في أيدي قادة هذه المؤسسات وباعثي النشاط فيها ، وهي أيدي يهودية صرفة تعمل لصالح القضية اليهودية من جوانبها المختلفة .

وهكذا يتضح لنا أن هناك أفراداً ينتسبون إلى هذه المؤسسات ولا يعرفون أسرارها ، بل يدافعون عنها ، لأن هذه المؤسسات لا تستلهم . ولا تكشف أسرارها لهم ، ولكنها تنتفع بهم من حيث لا يشعرون ، فيم قمع فكرية أو شخصيات معروفة غير متهمة ، وعن طريقها يدخل الأغرار من الناس هذه المؤسسات ويثاء استعمالهم ، وقد ألغت مصر المحافل الماسونية في أبريل سنة ١٩٦٤ بعد تحريم البابا لها بأكثر من عشر سنوات ، ولكن لا تزال هذه المحافل تباشر نشاطها في بعض البلدان العربية كما قلنا ، ولا تزال الروتاري والليونز يزاولان نشاطهما في مصر ، وليس في الحقيقة إلا صورة دقيقة للماسونية ولكنها تحمل أسماء أخرى .

وقد حدث أن تعرقت بعض هذه المؤسسات على كتابي هذا « اليهودية » فأزعجهم ما جاء به عنهم ، وراحوا يتصلون بي بين وعد ووعيد لتخفيف اتجاهي نحوهم أو إيقافه ، ولكنهم بطبيعة الحال لم ينالوا شيئاً من أمانيتهم ، وكان هذا بالإضافة لما كتبه الأستاذ أنيس منصور ضربة قاسية عليهم تكشف اتجاهاتهم ، فراحوا يدافعون عن هذه الاتجاهات بأن أوغزوا إلى كاتب لعله من صفوف النوع الأول أن يكتب عنهم فيضاً من المدح والثناء ، وفتحت مجلة الإذاعة أبوابها لذلك في عددها الصادر في ١٨/٨/٧٣ ، بل استطاعوا أن يصلوا إلى التلفزيون العربي وأن يعرضوا به ما أسموه نشاطاً اجتماعياً لهم ، ولكن ذلك لم يخف الحقائق عنهم ، ولذلك نقتبس مما جاء في مقال مجلة الإذاعة بعض العبارات التي تشير بطريق غير مقصود إلى حال أندية الروتاري ، فقد كانت العناوين التي اختارها كاتب المقال تكتم عن الأسرار والانحراف .

وهذه العناوين هي :

* هؤلاء الروتاريون وعالمهم العجيب !

* في مصر ١٠٠٠ روتارى وثلاثون نادياً !!

* عضو واحد من مهنة واحدة في النادي الواحد !!

والعنوان الأول لا يحتاج إلى تطبيق ، والعنوان الثانى يفضح التكاليف الباعظة ، ويتساءل الإنسان كيف يكون هناك ثلاثون نادياً لآلف فقط من المشتركين ؟ وكيف يستطيع حوالى ثلاثين أن يتحملوا تكاليف النادي ؟
والعنوان الثالث يوضع تحنه عدد من الشرط وتوضع أمامه علامات استفهام كثيرة لنسال : لماذا لا يقبل أكثر من واحد من مهنة واحدة في النادي ؟
والإجابة نقول إن ذلك ضرورى حتى تظل الأسرار مكتومة ، وحتى لا يحدث التنافس بين الاثنين كتحققا لهذه الأسرار .

وفي هذا المقال حديث عجيب عن طعام الصباح الحافل الذى قدّم لرواد مؤتمر الروتاريين في لوزان بسويسرا سنة ١٩٧٢ وأطباق القشدة الشهية التى تتوج بها اعمال الأيام الحافلة بالمناقشات ، والاستعراضات الترويحية التى تقدّم بسخاء وذوق رفيع للضيوف الروتاريين .

وفي هذا المقال يذكر الكاتب ما يلى بالحرف الواحد مما يوضح الصلة بين الروتارى وبين هيئة القرامطة التى أشرنا إليها من قبل ، يقول الكاتب :

« والحوال على عضوية نادى الروتارى أشد صعوبة من دخول كلية الطب ، ومن الوصول من خلال الكمبيوتر إلى سيارة نصر ١٢٥ ، أو شقة من شقق الأوقاف ، فهذه هى العضوية الوحيدة التى لا يسمح للإنسان بأن يتقدم إليها ، بل الشرط الأساسى فيها أن يفاجأ العضو بأنه مرشح لها ، وفى هذه النقطة بالذات تقضى طقوس الروتارى بأن يتم وضع العين على العضو المرشح ، دون أن يشعر ، وتبدأ التحريات عنه دون

إخطار ، حتى إذا تمت الموافقة عليه من الجهاز الإداري
بدأ التحدث معه بشأن العضوية . فإذا علمت أنه لا يقبل
في أى ناد من نوادي الروتارى أكثر من عضو واحد من
مهنة واحدة ، أدركت ضيق فرصة العضوية في هذا النادي .

« وإذا فقد عضو عضويته في نادى الروتارى كان
ذلك أشد خطراً من فقدان إنسان لشهادته الدراسية أو
رخصة سيارته ، فهذه أو تلك يمكن التغلب عليها باستخراج
بدل فاقد ، أما عضوية الروتارى المفقودة فالطريق إلى
استعادتها ، أصعب من استعادة الزوج لزوجته بعد طلاق
ثالث « يا لله !!

ويورد الكاتب صوراً من الخدمات التي يقدمها الروتارى في بلاد العلم
المختلفة ، وهي صور تدعو في الحقيقة للسخرية البالغة ، وهي أمامى وأنا
أكتب هذه السطور ، وليت كل قارىء يراجعها ليسخر منها كما سخرت .
وأنا أكتفى بنموذجين منها : أحدهما يرتبط بضاحية المعادى التي أعيش
بها ، والآخر يرتبط بقطر إسلامى عدت منه حديثاً هو « ماليزيا » .

وعن المعادى يقول هذا الكاتب : إذا كانت ضاحية مثل المعادى
تشكو من معاناة ألفين وخمسمائة من شبابها يومياً في ذهابهم إلى الجامعة ،
فإن الروتارى يفكر في حلّ هذه المشكلة بطريقة مهمة هي كيف يتعاون
سكان المعادى من أصحاب السيارات كل صباح على نقل عدد من الطلبة في
سياراتهم وهم في طريقهم للعمل . وهو حل كما ترى يدعو للسخرية ،
ولا وجود له ، فلا تكاد ترى طالباً يعتمد على هذا الحل ، ولا صاحب
سيارة يقف إلا لمعارفه أو رفاقه . مما يجعل الحل خيالا في ذهن
الكاتب فقط أو في ذهن أتباع الروتارى على العموم ، وأنا أقول هذا وأنا
من سكان المعادى ، ومعنى سبارة لا أذكر أن أحدا استوقفنى إلا قليلا

جدا ، فاطلاب يحافظون على أوقاسيم وكرامتهم ، ويتجهون من بيوتهم الى
المواصلات العامة والكثيرون منهم يملكون سيارات خاصة .

وعن ماليزيا يذكر الكاتب أن نادى الروتارى تقدم مجموعة من الأجهزة
لبعض الأطفال من الصم في إحدى القرى لتعينهم على السمع . ومن
الواضح أن هذا الكاتب لم ير ماليزيا ، ولو رأى ما تنعم به من ثراء
فيماض لتردد كثيراً قبل أن يكتب هذا الخبر الذى يظنه مفخرة للروتارى ،
وهو عن الفاخر بعيد وبعيد .

لست مفكريتا يتدارسون هذه الأنشطة التى ليس لها هم إلا أن
تتوقع الأضرار بمقدساتنا وقيمنا الرفيعة .

معلومات جديدة عن أندية الروتارى

١ - وزير داخلية مصرى يفضح الروتارى :

في ضاحية المعادى يوجد فرع من فروع أندية الروتارى ، وفي هذا
الفرع مجموعة من الأعضاء أعرف بعضهم ولا أعرف الآخرين ، وقد ذكرت
نشرة أبناء المعادى الصادرة في ٢٢/٥/١٩٧٥ أن حديثاً دار في أروقة ناديبهم
عن موقفى من الروتارى ٥٥٠ ، والذى لاحظته من هذا المقال وسواء
مما دار في الاجتماع ووصلتني أخباره ، أن الروتاريين يضيعون بالنقد ،
وهى صفة أشار لها الأستاذ أنيس منصور في كلمته بالأخبار بتاريخ
٣٠/٥/١٩٧٣ حيث تحدث عن النوبة الروتارية التى تصيب بعض الروتاريين
عندما يعرض لهم أحد بنقد أو تأريخ ، كأنما يريدون أن تبقى حياة تلك
المؤسسات سرا مكتوما .

وفي أحد لقاءات جماعة الروتاريين بالمعادى كان الاجتماع لتناول
العشاء وكان ضمن الحاضرين الأستاذ ضياء الدين بيبرس ، وعلى فكرة
أقرر أن أعضاء الروتارى لا يهتمون بالألقاب التى يتعامل بها الناس ،

فألصحفى والأستاذ والدكتور لا أهمية لها عندهم . وإنما اللقب الحبيب إليهم هو « الزميل الروترى » (أنظر فى ذلك نشرة « أبناء المعادى » بتاريخ ٢٣/٥/١٩٧٥) .

وفى لقاء العشاء ذاك دعا الأستاذ ضياء الدين ببيرس المذيعه اللامعه الأستاذة كريمان حمزة أو الحاجة كريمان حمزة كما تحب أن تتنادى . وكانت الحاجة كريمان قد استضافتتى مرة للبرنامج الذى تقدمه بالتليفزيون العربى ، حيث تكلمت كلمة عن أندية الروتارى ، ومن أجل هذا دعاها الأستاذ ضياء الدين لاجتماع نادى الروتارى بالمعادى ، وفى أروقة النادى قدمها الأستاذ ضياء الدين إلى الأستاذ عبد العظيم فهمى وزير الداخلية السابق ، قائلاً :

— السيدة كريمان حمزة التى هوجمت أندية الروتارى فى برنامجها « هدى الله » فقال الأستاذ عبد العظيم فهمى وزير الداخلية السابق :

مهما حق ، لقد كان اليهود أول جماعة أنشأت نادياً للروتارى بمصر ، وكانت تحوم حوله الشبهات ، ولهذا نقلت أندية الروتارى بمصر مرتين وأنا وزير الداخلية .

قال الأستاذ ضياء الدين :

ولكنك عضو فيه .

فأجاب الأستاذ عبد العظيم فهمى وزير الداخلية السابق قائلاً :

أنا الآن بالمعاش ، وأضيع الوقت فى بعض النشاط ، ثم إننى أتمنى أن أعرف « بتعملوا إيه » .

ولو كنت مكان الأستاذ ضياء الدين لتخلت عن الروتارى بعد ذلك الحديث ، ولأذعت ما قاله وزير الداخلية بين الأعضاء ليكونوا على علم بشئ من تاريخ هذه المؤسسة التى ينتسبون إليها .

(ب) نشاط نادي الروتاري بالمعادي :

في نشرة « أبناء المعادي » التي يصدرها الأستاذ حسن صبحي الذي يوجّه أكثر جهود قلمه وصحيفته لخدمة الروتاري ، كتب الأستاذ حسن صبحي مقالا طويلا في ٢٢/٥/١٩٧٥ عنوانه « إلى الدكتور أحمد شلبي » وفي هذا المقال أو الخطاب المفتوح دراسة مفصلة عن جهود نادي الروتاري بالمعادي ، وهي تقديم عون مالي لإحدى الجمعيات الخيرية ، وإصلاح ملجأ متهدم للكفيفات ، ومساعدة منكوبي كوارث السيول ، ومواساة جرحى الحرب ، ورفع مستوى بعض الحرفيين بتدريبهم في مصانع المنطقة ، ومساعدة بعض التلاميذ بشراء الكتب التي يحتاجونها ولا يملكون ثمنها .

وقد كتبتُ رداً على هذا الخطاب المفتوح لينشر في نفس المكان الذي نشر به الخطاب المفتوح ، ولم أعنَ بنشره ، ولم أناقش في الرد مدى عذره الجهود وجدواها ، بل كان أبرز ما ذكرته في الرد هو إظهار الدهشة أن نكون بالمعادي فرعا للروتاري من أجل هذه الأهداف التي يمكن أن تقوم بها أية جمعية وطنية أو اجتماعية بالمعادي دون حاجة لأن يقوم بذلك فرع للروتاري يرتبط بمركز الروتاري العام بالولايات المتحدة .

وذكرت في الرد أن « مسجد الفتح » بالمعادي يقوم بأضعاف أضعاف هذا النشاط ، وهو يُعدُّ في الحق منارة عالية لخدمة البيئة ، وأن به قاعة محاضرات لكل نواحي المعرفة ، ودروساً لتقوية التلاميذ ، وأضواؤه ساطعة تستقبل التلاميذ والطلاب أكثر الليل وطول النهار في فترات الاستذكار ، وبه عيادات طبية ومستشفى لمختلف الأمراض .

وختمت خطابي بالأمل أن نربط نشاطنا الاجتماعي بمؤسسات وطنية اجتماعية بعيدة عن الشبهات .

(ج) رأى المؤتمر الإسلامي العالمي في الماسونية والروتاري .

عُقد في مكة المكرمة وتحت رعاية المغفور له الملك فيصل مؤتمر عالمي

للمنظمات الإسلامية في المدة من ١٤ إلى ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٩٤ هـ (مارس ١٩٧٤) وقد اشترك في هذا المؤتمر ١٤٠ وفداً تمثل جميع الدول الإسلامية والأقليات الإسلامية بالدول غير الإسلامية ، وكان لمصر وفد كبير بين هذه الوفود ، وقد تدارس المؤتمر مجموعة من القضايا الإسلامية والعالمية ، واتخذ فيها قرارات صارمة ، وكان قراره الحادى عشر خاصاً بالماسونية وأندية الروتارى وأندية الليونز وحركات التسلح الخلقى وإخوان الحرية ، ونصه :

« الماسونية جمعية سرية هدامة لها صلة وثيقة بالصهيونية العالمية التي تحركها وتدفعها لخدمة أغراضها ، وتتستر تحت سفارات خداعة كالحرية والإخاء والمساواة ، وما إلى ذلك مما أوقع في شباكيها كثيراً من المسلمين ، وقادة البلاد وأهل الفكر ، وعلى الهيئات الإسلامية أن يكون موقفها من هذه الجمعيات السرية على النحو التالى :

- ١ — على كل مسلم أن يخرج منها فوراً .
 - ٢ — تحريم انتخاب أى مسلم ينتسب لها لآى عمل إسلامى .
 - ٣ — على الدول الإسلامية أن تمنع نشاطها داخل بلادها وأن تنطق بحافظها وأوكارها .
 - ٤ — عدم توظيف أى شخص ينتسب لها ومقاطعته مقاطعة كلية .
 - ٥ — فضحها بكتيبات ونشرات تباع بسعر التكلفة .
- وتعامل كل من النوادى التالية معاملة الماسونية : نادى الروتارى — نادى الليونز — حركات التسلح الخلقى — إخوان الحرية » .
- وبعد هذا الإيضاح من الدراسات العلمية ، ومن وزير الدأخلية بمصر ، ومن المؤتمر العالمى الإسلامى لم تبقى حجة أمام أى مسلم وأى مصرى للانضمام لهذه الجمعيات المشبوهة .

(د) الغفلة التي ضاعفت أعداد الروتاريين

لابد أن نبدي دهشتنا مما يحصل حولنا ، فنحن الكتاب نؤدى واجبنا في شرح المشكلات للناس ، ونتخذ الوسائل المتعددة لتوضيح هذه الأمور وإزالة هذا الظلام ، ولكن يبدو أن القراء قليلون ، وأن الكثيرين لا يزالون يعيشون في الظلام وينتسبون لهذه المؤسسات الموبوءة وكلما زاد عدد أعضاء هذه المؤسسات كلما تضاعف الخطر ، على الدين والوطن ، وفي العدد الصادر في ١٩ يونيو سنة ١٩٨٠ من « أبناء المعادى » إحصائية توضح الزيادة الخطيرة للمنتسبين لهذه الأندية ، وتوضح كذلك أن الرأسمالية الصهيونية تحتضن أفكار هذا المؤسسات وتتفق عليها بسخاء ليظل السذج منجذبين إليها وسنقتبس فيما يلي سطورا من هذه الإحصائية :

١٨٧٤٠ روتريا من جميع أنحاء العالم يجتمعون بشيكاغو لتبادل المعلومات

حفلت مدينة شيكاغو الكبيرة بالولايات المتحدة منذ يوم ٣٠ مايو الماضى وحتى العاشر من يونية الحالى بعدد كبير من الروتريين وأعضاء اسرعم بلغ عددهم من واقع سجلات مؤتمر الروتري الدولى ١٨٧٤٠ قدموا من ١١٢ دولة في القارات الست . فملأوا رحاب فنادق المدينة رغم كثرتها ورغم ضخامة بعضها الذى يتسع لثلاثة آلاف ضيف . وازدحمت بهم المتاجر والشوارع والمطاعم والمسارح على كثرتها . كما ازدانت شوارعها بالأتوبيسات الخاصة التى تحمل على مقدمتها شارة الروتري ورقما خاصا بكل أتوبيس

وقد أصبح عدد أندية الروتارى ١٨٦١٩ ناديا تضم ٨٦٠٤١٢ عضوا في ١٥٣ دولة ، وأصبحت حضارة كل بلد تقاس بعدد أندية الروتارى فيها .
يا لله ، كبرت كلمة أن تقاس حضارة البلاد بعدد أندية الروتارى ،
والذى نراه أن غفلة الناس وسذاجتهم هي التى تقاسر بعدد هذه الأندية .

ومرة أخرى نسأل : من الذى أنفق على هذه التجمعات البائسة .
دءاً من تذاكر السفر إلى الاقامة أكثر من عشرة أيام ؟

إن المال اليهودى وحده هو الذى يستطيع أن يتحمل هذه النفقات
ويحجز الأماكن لهؤلاء الآلاف بأضخم الفنادق ، وهو الذى يعد الأوتوبيسات
ويحجز للروتارين بالمسارح ، وينظم لهم الرحلات والحفلات •

لقد باع هؤلاء بلادهم ومبادئهم وأديانهم بثمن رخيص هو متعة
رخيصة مدة عشرة أيام •

إننا نرجو لهم التوبة والعودة السريعة لخدمة الدين والوطن •

الليونز - إخوان الحرية ...

ان القرار الذي أصدره المؤتمر الاسلامى والذي نقلناه من قبل يوضح ان هناك هيئات أخرى أقامت الصهيونية لتبأسر نفس النشاط الذي تقوم به الماسونية والروتارى ، وقد ذكرت من قبل أن الصهاينة حرصوا على الإكثار من هذه الهيئات حتى إذا أغلِقَ واحدها بقيت الأندية الأخرى تَدِدَى نفس العمل .

ومن الهيئات المنتشرة الآن في كثير من دول العالم مؤسسات الليونز وإخوان الحرية ، ومما يذكر عن الليونز في القاهرة أن أعضاءه يتناولون الغداء مرتين في الأسبوع إحداهما في فندق شيراتون القاهرة ، والأخرى في « جولى فيل » بمنطقة الهرم ، وقد دعيت حديثا لإلقاء محاضرة لأعضاء الليونز عقب تناولهم طعام الغداء ، وكان ذلك بمناسبة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستجبت ، ولكن صاحب السلطة هناك اقترح على أن أتكلم فيما قدّمته الأديان للبشرية من أفضال ، وأحسست أنه يريد أن يصرفنى عن الحديث الطبيعى وهو لمحات من صفات الرسول محمد صلوات الله عليه .

وبدأت أتكلم حيث تناولت بعض التشريعات الاجتماعية التى وردت في التوراة وذكرت أن الانجيل لم يصف إلا الشيء القليل لهذه التشريعات ثم ذهبت الى الإسلام لأتحدث عن حضارته المتشعبة التى أنقذت البشرية من الظلام ونقلت الناس إلى النور ، كما ذكرت أن القرآن الكريم ينص على أن الإسلام شمل أهم ما في الأديان السماوية من تشريعات وأضاف إليها ما تحتاجه البشرية الى يوم الدين ... فالذى يدخل الإسلام يحيط بكل الأديان ، ويحترم كل الأنبياء .

وقد أعجِبَ كثير من الحاضرين بحديثى وطالبوا أن أحضر مرات أخرى لتقديم مزيد من هذه الدراسة ، ولكن أصحاب السلطات الذين يعرفون أسرار هذه الأندية لم يكرروا الدعوة لى حتى لا يتيحوا الفرصة لتقديم مثل هذه الدراسات .

اليوجا

ومن الجمعيات ذات الصلة بالصهيونية منظمة اليوجا وهي منظمة تدعى أنها تباشر ألواناً من الرياضة البدنية ، والتدريبات الجسدية . وكذلك بعض التدريبات الروحية أو ما يسمى « باليوجا الروحية » وهذه المنظمة فروع في أكثر بلاد العالم ، وهي تبدأ باسم اليوجا ثم تتجه لنشر سمومها بين الأعضاء الذين يُخدعون بها وأهم ما تُعنى به محاربة الأديان ، وتوجيه الشباب للتحلل من التزاماتها ، والعمل على ما يسمونه بالرباط الإنساني . ويحطون بذلك إلى الدفاع عن الوجود باسم الإنسانية . وباسم مساعلي هؤلاء من اضطهاد في التاريخ ، كأنهم وجددهم الذين عانوا الاضطهاد بين البشر .

وقد افتتحت منظمة اليوجا فرعاً لها في القاهرة سنة ١٩٧٥ وكان يقوم بالتدريب به شباب من الفلبين وقتاة أمريكية ، وقد استطاع الاثنان أن يجذبا إلى مقر هذه المنظمة عدداً من شباب الجامعات للتدريب على اليوجا ، والاعداد للقيام بنشاط اجتماعي لتوعية أهالي القرى والمدن .

وذكرت صحيفة الأخبار المصرية الصادرة في ١٦/٧/١٩٧٥ أن رجال الأمن لاحظوا أن الفتى والفتاة يتستران وراء هذه العملية ، ويقومان بنشاط سياسي وديني ، ويهتمان بالدعوة لتجميع الأديان ، والانتقاص من القيم الروحية التي تتضمنها .

وبعد التحقيق في هذه المسألة اتضح أن هذه المنظمة تمول من جهات صهيونية ، وأنها فرع لمنظمة تتخذ مركزها في إسرائيل ، ومن أجل هذا صدرت الأوامر بإيقاف هذا النشاط ، وترحيل الفتى والفتاة إلى خارج البلاد .

تنبيه وتحذير

أيها القارئ الكريم ..

هل اقتنعتَ بخطر هذه المؤسسات والأندية على الدين والوطن
إنني أعيد وضع الحقائق الآتية أمامك بإيجاز لأساعدك على الوصول
إلى اليقين :

١ - أدركت° الحكومة المصرية سنة ١٩٦٤ خطر الماسونية على الدين
والوطن ، وأنها تعمل لحساب الصهيونية ، فصدر قرار في أبريل سنة
١٩٦٤ بإلغاء المحافل الماسونية .

٢ - قرر السيد عبد العظيم فهمي وزير الداخلية الأسبق بمصر
أنه ثبت له أن اليهود كانوا أول من أنشأ ناديا للروتاري بمصر ، وكانت
تحوم حوله الشبهات ، ولذلك أصدر قراراته بإقفال أندية الرتاري . ولست
أدرى كيف يُسمح لها بالنشاط بعد ذلك .

٣ - ثبت لرجال الأمن بمصر أن القائمين بنشاط « اليوجا » يقومون
بنشاط سياسي وديني ، ويهتمون بالدعوة لتميع الأديان والانتقاص من القيم
الروحية التي تتضمنها ، وثبت لهم كذلك أن هذه المنظمة تموّل من جهات
صهيونية ، وأنها فرع لمنظمة تتخذ مركزها في إسرائيل ، ولهذا صدر
قرار بإيقاف نشاطها وإغلاق أبوابها .

٤ - قرر الأستاذ أنيس منصور أنه التحق بالبروتاري عشر سنوات
فلم يجد لهذه الأندية أية فائدة .

٥ - درس المؤتمر الاسلامي العالمي أحوال هذه المؤسسات فتبين
له أنها هدّامة ، وأنها وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية .

٦ - لا تنس أيها القارئ « مؤامرة الماسونيين » بإيطاليا حيث
اتخذت° هذه المؤسسة كبار القادة وسائل لها للسيطرة على الدولة

واستعملت الابتزاز وجرائم القتل ، والتهريب ، والاختلاسات ... للوصول
إلى أهدافها .

وأخيرا ، إذا لم يكن قد استقر يقينك - أيها القارئ الكريم -
بضخ هذه المؤسسات ، فيكفي أن الشبهات القوية قائمة لتتبعد عن هذه
الأندية ، ولتواصل نشاطك في الأندية المصرية والدينية لخيرك وخير الدين
والوطن .

واللهم قد بلغت ، فاشهد .

البابية والبهائية

إذا كانت مؤسسات الماسونية والروتارى وغيرها تبأشر نشاطها المسموم فى خفاء ، واذا كانت هذه الأندية تدعى أنها تقوم بنشاط اجتماعى . . . فإن البابية والبهائية أعلنتا - بعد فترة من الغموض - أنهما ينتميان للفكر الصهيونى ويصدران عن هواه ، ويدافعان عن شعاراته . . . فلندرس هذين المذهبين لنتبين هذه المسيرة .

فى بلاد فارس قام المذهبان أو الدينان الخطيران : البابية والبهائية ، والبهائية امتداد للبابية كما سنرى ، وكلاهما تعبير عن الفكر الذى تكلمنا عنه من قبل ، والذى نشأ منذ عهد بعيد بسبب التعاون الذى قام بين اليهود الذين بقوا بفارس بعد أذن قورش لأسرى بابل بالعودة إلى فلسطين ، وبين الجماعات الفارسية الساخطة على الإسلام لأنه وضع حداً لما كان لها من أمجاد زائفة .

وقد سبق أن قلنا إن بلاد فارس - لهذا - ظلت فى فترات كثيرة مصدرأ خطراً تتبع منه الحركات المعادية للإسلام ، والجاهدة لتقويض أركانها بطريق أو بآخر .

فالبابية والبهائية لهما جذور يهودية ، ولكن اليهود المعاصرين للحركتين لم يكتفوا بالجذور اليهودية القديمة ، بل راحوا يمدون الحركتين بعناصر يهودية أخرى توارت حيناً ، وبرزت حيناً ، ثم أعلنت عن نفسها تماماً فى العهد الحاضر ، إذ أصبح زعيم البهائية أحد حاخامات اليهود كما سنرى .

ولنعد إلى القصة من أولها :

فى بلاد فارس ولد الميرزا على الشيرازى حوالى سنة ١٨٢٤ من أسرة مسلمة ، وشب الميرزا ونال ألواناً من الدراسات الإسلامية ، وكان يمتاز

بالجمال والذكاء والطموح والفصاحة ، وحج الميرزا وزار اضرحة العراق التي يقدها الشيعة ، ولما عاد لوحظ عليه أنه أصبح يغالى في تدينه وتعصبه ، وراه رجلا ن أغلب الظن أنهما من دم يهودى أو يعنلان لحساب الفكر اليهودى ، فأوهماه أنه سيكون له شأن ، وأدخلا في روعه أنه سيصبح منقذ الإنسانية من الضلال وقائد ركب المتدينين . فاستعوت هذه العبارات الميرزا ، فُسرَّ الرجلان بهذه الخطوة من النجاح . وراحا يقدمان له بطريق مباشر أو غير مباشر أفكاراً جديدة سرعان ما اعتنقها وراح يدعو لها . وأبرز ما في هذه الأفكار كان القول بوحدة الوجود ، فأصبح الميرزا يعتقد « أن الله واحد أى ليس له شريك فى القوة والقدرة ، وقد خلق الكون ، ولكن هذا الكون ليس شيئاً آخر غير الله . بل هو مظهر ذاته . والأنبياء فى الكون مظهر " أكمل لله ، دائم الاتصال بالأصل الذى نشأ منه » . ويروى البابية عن الله قوله « الحق يا مخلوقاتى أنك أنا » فإذا قامت القيامة رجع الخلق إلى الله وفنوا فى وحدته التى صدرت عنها ، فيتلاشى إذ ذاك كل شىء إلا الطبيعة الإلهية ، وتبعاً لذلك أنكر الميرزا البعث والجنة والنار مما يؤكد ارتباط أفكاره بالفكر اليهودى ، وحشد أفكاره هذه فى كتاب أسماه « البيان » وادعى أنه المتحدود بقوله تعالى « خلق الإنسان علمه البيان » (١) .

ولم يكن هذا الاتجاه من الميرزا غريباً على الفرس . فقد قال الهنود جيران الفرس بوحدة الوجود ، وقال به كثير من اليهود ، وأنكرت بعض الفرق اليهودية اليوم الآخر ٠٠٠ ثم إن للفرس هوئى فى الثورات التى تهب معارضة للإسلام ، فانضم للميرزا منهم عدد كبير واعتنقوا مبادئه ، ولما حصل الميرزا على هذا التأييد خطا خطوة جديدة فى إبراز قيمة نفسه فسمى نفسه « الباب » أى أنه الطريق الوحيد الذى يتصل الإنسان بواسطة بالخالق عز وجل . وسميت هذه الفرقة بالبابية تبعاً لذلك ، ثم لم يكتف

الميرزا بأن يكون « باباً » بل نقل نفسه إلى غاية جديدة ، فأعلن أنه « النقطة »
أى مُسَبِّقُ الحق وروح الله ومظهر قدرته وجلاله ، وجعل « الباب »
إليه أحدَ مرئيه الخالصين له واسمه « حسين بسرويه » من أهل الخراسان .

وفي مؤتمر برشت سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧ م) أعلن البايون انسلاخهم
عن الإسلام ، واشتد بهم الحرص على محاربته من كل ناحية ، ومحاربة
اللغة العربية ، وكانوا يقصدون بمحاربة اللغة العربية قطع أتباعهم
عن قراءة القرآن وعن أحاديث الرسول ، وعن التعرف على التراث
الإسلامي ، وهكذا بَعَدَتِ البابية بعداً تاماً عن الإسلام .

وتحركت حكومة فارس لجاهدة هذا الباطل ، وقاد حسين بسرويه
جحافل المدائعين عن البابية يؤازره مجموعة من القادة هم الميرزا يحيى
محمد علي بلفروسي وامرأة اسمها رزين تاج لُقِّبَت « قرة العين » ، وهذا
يؤكد لنا أن التمرد على الإسلام في فارس كان يقوم به جماعات متمردة
كذلك على الحكم هناك .

ودارت معارك صاخبة قاسية بين الفريقين ، وطالما حقق البايون
الانتصار على جيوش الحكومة ، فعمدت الحكومة إلى الثأر لقاتلتها
وجيوشها ، وفي النهاية سقط قادة البابية في الميدان ، أو قتلوا بأحكام
إعدام أصدرتها الحكومة ، وكان الميرزا علي « النقطة » من هذا النوع
الأخير ، فقد أعدم في تبريز سنة ١٨٥٠ م وخَفَّتْ صوت البابية بعد نضال
مرير وتضحيات من الجانبين كثيرة ، ولجأت البابية إلى طريق جديد ، هو
العمل كحركة سرية بعد أن أعيته العلانية ، وفتحت البابية بذلك الباب
للبيود على مصراعيه ، فالحركات السرية يهواها اليهود ويتخذون منها
وسيلتهم لدس أفكارهم وتنفيذ أغراضهم ، ومن أجل هذا يعمد الباحثون
هذه المرحلة مرحلة خطيرة أعدت فيها البابية لتصبح أقرب إلى الاتجاهات
اليهودية أو معبرة عنها .

وبعد فترة الستر خرجت البابية من عكا سنة ١٨٦٨ م بفلسطين باسم البهائية نسبة إلى زعيمها الجديد ميرزا حسين علي المازندراني (١٢٣٣ - ١٣٠٩ هـ) الذي كان يلقب « بهاء الله » والذي كان أتباعه ينادونه « ربنا الأسمى » وكان هذا الزعيم قد هرب إلى عكا من قبل . وأصبح من قواعد البهائية توحيد الأديان السماوية في دين واحد ، والقول بأن سلسلة الأديان السماوية لم تتم إلا بظهور البهاء فهو يوحد الأديان ويتمها ، وهو الذي يفسر منها ما استعلق ، فهو وحده الذي يعن ما كتبه عيسى حين قال : « إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوها الآن ، وأما متى جاء روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية (١) » . وهو وحده الذي يعلم ما احتجز الله لنفسه في مطلع الإسلام حين قال « وما يعلم تأويله إلا الله » (٢) .

ويورد البهائيون أدلة من القرآن والحديث يستدلون بها على أن خروج النبي الجديد يكون من سهول سوريا ، من عكا ، ومن ذلك قوله تعالى « واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (٣) » فسهول سوريا أقرب الأراضي إلى الجزيرة العربية ، ويروون أن الرسول قد حدد ذلك المكان بحديث رووه هو : طوبى لمن رأى عكا وحديث آخر هو : طوبى لمن يشهد اللحمة العظمى ، مأدبة الله بمرج عكا .

ومن الواضح أن حياة البهائية في عكا بين جماعات اليهود أثرت فيها تأثيراً واسعاً ، وقطعت ما كان باقياً بينها وبين الإسلام من صلات طفيفة إن وجدت ، فأصبحت البهائية وجهاً آخر لليهودية وللصهيونية ، فقد أعلن البهاء أن لجميع البشر ديناً واحداً ووطناً واحداً : وهو يدعو

(١) انجيل يوحنا ١٦ : ١٢ - ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية السابعة .

(٣) سورة في الأبتان ٤١ - ٤٢ .

لدين واحد يجمع كل الأديان وكل الأجناس ، ويحارب ما سواه من أديان ، وهو يرى العالم وطناً واحداً لكل الناس . ويحارب نزعات القومية والإقليمية .

ومات البهاء في عكا فأصبح مدفنه مزاراً ضخماً لأتباعه ، وخلفه ابنه ، « عباس أفندي » الذي كان في خدمة الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى فأنعمت عليه بريطانيا برتبة فلورس مع لقب سير ، وتوفي سنة ١٩٣١ فخلفه ابن بنته شوقي رباني ، الذي مات بعد ذلك دون أن ينجب ولداً .

وفي ظل الفكر الجديد للبهائية دفعها اليهود إلى أقطار الأرض ورعوها بالمال ومنحوها الرعاية التامة ، فأصبحت البهائية « صهيونية أمريكية » كما يسميها الكتاب المحدثون ، وأسفرت البهائية عن وجهها الصهيوني ، إذ — بعد وفاة ميرزا شوقي رباني — اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية في إسرائيل وانتخب صهيونيا أمريكياً اسمه « ميسون » ليكون رئيساً روحياً لجميع أفراد الطائفة البهائية في العالم .

وهكذا اختفت البابية وقامت البهائية على أثرها ، ومع البهائية اتضحت معالم هذه العقيدة الزائفة وظهرت لها مراجع منحرفة ، وفيما يلي مزيد من التفاصيل عن البهائية .

عقيدة البهائين :

تلخص عقيدة البهائين كما قررها البهاء في كتبه وألواحه ، وكما فسرها دعائه في كتبهم ونشراتهم فيما يلي :

١ — الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال ، وأن كل ما يضاف إليه من أسماء وصفات وأفعال هي رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديماً (م ٢٣ — اليهودية)

وحديثاً ، وهم مظاهر أمر الله ومهابط وحيه في زعمهم وآخرهم وأكملهم هو
ميزا حسين المازندراني الذي لقب نفسه (بهاء الله) .

٢ - بناء على ذلك يعدّ (بهاء الله) مظهر الله فهو عند نفسه
وعند أتباعه مظهر الله الأكمل ، وهو الموعود ، ومجيئه الساعة الكبرى ،
وقيامه القيامة ، ورسالته البعث ، والانتماء إليه الجنة ، ومخالفته هي
النار ، وعندهم أن الديانات السابقة والأنبياء كانت مهمتهم التبشير به ،
وأن ظهوره هو ظهور جمال الله الأبهي ، ومن أجل هذا كان أتباعه كلهم
يدعونه « ربنا » وهم بذلك يعترفون بالرسالات السابقة في حدود التبشير
برسالة البهاء .

وفي ذلك يقول أبو الفضل الجرفادقاني (١) : نحن معشر الأمة البهائية
نعتقد بأن مظاهر أمر الله ومهابط وحيه هم بالحقيقة مظاهر جميع أسمائه
وصفاته ، ومطلع شمس آياته وبياناته ، لا تظهر صفة من صفات الله
تعالى في الرتبة الأثرية إلا منهم ، ولا يمكن إثبات نعت الجلالة والجمالية
إلا إليهم لأن الذات الإلهية والحقيقة الربانية غيب في ذاتها ، متعالٍ
عن الأوصاف بحقيقتها ، منزّه عن النعوت بكيئونها ، لا تدركها العقول ،
ولا تبلغ إليها الأفهام ، ولا تحويها الضمائر ، ولا تحيط بها المدارك ،
فلا توصف ، ولا تسمى باسم ، ولا تشارك بإثارة ، ولا تتمين بإرجاع
ضمير ، لكن منزوع كل هذه هي المدارك الحسية ، وهي فوق الإدراك ،
لأن كل مدرك محاط ، وكل محاط محدود ذو وضع ، وهذا من صفات
الجسم والجسمانيات ، تعالت عنه المجرّدات ، فكيف الذات الإلهية والحقيقية
النورانية . فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويسند - إلى الله - من
العزة ، والعظمة ، والقدرة ، والقوة ، والعلم والحكمة ، والإرادة ، والمشيئة
وغيرها من الأوصاف والنعوت ، يرجع بالحقيقة إلى مظاهر أمره (٢) ،

(١) الدرر البهائية ص ٥٤ - ٥٦ (مطبعة الموسوعات ١٩٠٠) .

(٢) مظاهر أمر الله عند البهائيين هم برهما وبوذا وكونفوشيوس وابراهيم
وموسى والمسيح ومحمد والباب ، فكانت مهمتهم في رسالاتهم التبشير بحسين على
المازندراني الذي هو عندهم مظهر صفات الله كلها .

ومطالع نوره ، ومهابط وحيه ، ومواقع ظهوره ، وقد رقت هذه المسألة من القلم الأعلى ، مبيّنة مفصلة في ألواح ربنا الأبهي . فأظهر الله تعالى جواهر أسرارها في الصحف المطهرة ببيانه الأجلى (يقصد الكتب التي تنسب للبهاء وتنشئ إليها فيما بعد) .

٣ - يَعتبرُ البهائية أن عقيدتهم أسمى من جميع العقائد والمراجع والأديان التي سبقتها لأن ظهور مظاهر الله في البهاء ، أسمى وأعظم من ظهور هذه المظاهر فيمن سبقه من الأنبياء ، وفيما يلي كلمات داعيتهم أو داهيتهم (١) .

« اعلّموا أضاء الله وجوهكم البهية بنوره الواضح ، وأيد كلمتكم العالية بآيات اليسر والنجاح ، أن هذه الأدلة والبراهين تثبت حقيقة مظهر أمر الله في زماننا هذا في شكل أوضح ، وأجلى مما كانت عليه حقيقة مظاهر أمر الله (أي الأنبياء) في الأزمنة السابقة .

« إن هذه البراهين قائمة ومتوفرة في هذا الظهور الأعظم الأسنى ، والظهور الأقمخ الأبهي ، ونعني به ظهور سيدنا (البهاء) جل اسمه وعز ذكره ، أكثر مما توفر في ظهور من سبقه من الأنبياء ، بحيث لو أنكر أحد هذا الظهور الأعظم ، وأنكر أدلته وبراهينه الواضحة الجليلة فإنه لا يستطيع إثبات حقيقة دين من الأديان الماضية .

٤ - يفكر البهائية إعجاز القرآن الكريم ، وفي ذلك يقول أبو الفضل الجرفادقاني (٢) عدّ أكثر علماء الإسلام فصاحة القرآن حجة بالغة ، وبلاغة كلامه معجزة دامت ، ولكننا فنحن هذا الرأي في كتب عديدة ، بما لم يبق شك فيه لأرباب البصائر والنظر .

(١) أبو الفضائل الجرفادقاني : الحجج البهية ص (مطبعة السعادة

١٩٢٥) .

(٢) الحجج البهية . ص ١٨٨ وما بعدها .

٥ — من أعظم أدلتهم على إعجاز البهاء أنه مع ما صادفه منذ أول ظهوره من البلايا والمصائب الجسيمة ، والدواهي العظيمة مما ليس هنا محل لذكره ، ومع أنه لم يكن من أهل العلم ، ولم يدخل المدارس العلمية . فقد ملأ الآفاق من ألواحه المقدسة الفارسية والعربية ، مما لا نبالغ إذا قلنا أنها تزيد على ما عند ملك الأرض جميعاً من كتبهم السماوية وصحفهم الإلهية .

كتب البهائية :

نسبت لبهاء عدة كتب يمكن أن نقول عنها إنها في الحق ليست من عمل البهاء ، وإنما وضعها أتباعه ونسبوا لها إليه : وهناك مراجع أخرى مقدسة عندهم ووضعها الأتباع شرحاً لما نسب لبهاء وتعليقاً عليه . وأهم كتب البهائية هي :

١ — « الإيقان » وقد طبع في القاهرة سنة ١٩٢٠ وعدد صفحاته ٢٠٠ صفحة ويعدّه البهائيون وحياً من ربهم البهاء ، وقد قال عنه أبو الفضل سالف الذكر : إن إرادة حضرة المحبوب — لا زالت أقطار الأرض منورة بأنوار وجهه ، ورياض العالم مزينة بأزهار أمره — قد تعلقت باتحاد كلمة أوليائه ، وأمره المبرم قد نفذ باتفاق قلوب أحبائه ، فعليك بالاغتراف من معين (الإيقان) الذي جرى من قلم الرحمن هذه الأزمان ، فإنه — مع وجازته — تبيان الزبور والأواح ، ومترجم كتب الله فائق الأصباح ، به فك ختم النبيين وحل عقّد إشارات السابقين ، فابذل غاية الجهد والتدبر في هذا الكتاب المستطاب ، ليلهمك الصواب في كل باب ، واحفظ قلوب الأحباب عن نطاق الشك والارتياب إن (ربنا) لبالمرصاد ، وهو ولينا في المبدأ والمعاد (١) .

(١) أبو الفضل الجرجاندي : مجموعة الرسائل ، الرسالة الثانية ص ٣٦ .

والعجيب إن هذا الكتاب يتنازعه البهاء وأخوه المخالف له يحيى المازندراني ، وكل منهما يدعيه لنفسه ، ويعلن أنه من وحيه •

مجموعة الألواح :

ومما يسميه البهائيون وحيأ من ربهم البهاء ، كتاب يسمونه (مجموعة الألواح المباركة) وهو مطبوع بأمر عبد البهاء في مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) وقد جاء في صفحة ١٦١ منه في لوح من ألواحه عنوانه (الناظر من أفقه الأعلى) مخاطباً شخصاً اسمه عبد الوهاب :

« يا وهاب إذا اجتذبتك ندائى الأهلئ ، وصرير قلمى الأعلى ، قل :
إلهى ، لك الحمد بما فتحت على وجوه أوليائك أبواب الحكمة والعرفان ••
أى رب • أسألك بالذين أسرعوا إلى مقر الفدا شوقاً للقائك ، وما منعتهم
سطوة الأمراء عن التوجه إليك بما أنزلته في كتابك ، ثم بالذين أقبلوا إلى
أفقك بإذنك ، وقاموا لدى باب عظمتك ، وسمعوا نداءك ، وشاهدوا أفق
ظهورك ، وطاقفوا حول إرادتك ، أن تقدرّ لأولياك ما يؤيدهم على ذكرك
وثنائك وتبليغ أمرك • إنك أنت المقتدر على ما تشاء ، لا إله إلا أنت
الغفور الرحيم • يا قلمى الأعلى ، بدل اللغة الفصحى باللغة النوراء » •

وهذا الخطاب — وكثير غيره من أمثاله — مبنى على أن البهاء حسين على المازندراني هو الله ، وأنه لا إله إلا هو الغفور الرحيم المقتدر على ما يشاء ، وأن أساس عقيدتهم أن الله ليس له وجود الآن إلا بظهوره في البهاء ، وكان يظهر قبلاً بمظاهر غامضة في الديانات السالفة ، ولكنه بظهوره في البهاء الأبهى ، بلغ الكمال الأعلى • ليس لله — عندهم كما ذكرنا من قبل — أسماء ولا صفات ولا أفعال ، إلا ما يتكسف به من صفات مظهره وهو البهاء ، وما يصدر عن البهاء من أفعال إلهية •

بخط عظيم من عظمائهم يسمونه « الزين » ولعله البهاء نفسه ، فيكون « الزين » هو حرف الزاي مقتطعاً من كلمة « مازندراني » .

٤ — وللبهاء أيضاً (الإثراقات) ، و (البشارات) ، و (الطرازات) وقد نشرت تماذج منها في كتاب (نبذة من تعاليم حضرت البهاء) المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥) .

٥ — كتب الداعية الذكي الذي يعد البهائية وواضع عقائدها ومفاسدها ، كاتب كتبها ومراجعتها وهو أبو الفضل (أو أبو الفضائل) الجرجاندقاني ، هي كتب عديدة ، كلها ضلالات وترهات ، ومن أهمها :
الدرر البهية ، والحجج البهية ، والفرائد ، وفصل الخطاب (١) .



ومن العجيب أن كثيرين من المشاهير في العالم العربي يعطفون على البهائية كما كانوا يعطفون على الماسونية والروتاري ، وهم مخدعون بكلمات الإخاء والمساواة التي تخفى العداوة للأديان والأوطان ، ولعل هذا الحديث يصل إلى أيديهم ليعود إلى الرشاد .

(١) اعتمدنا في التعريف بالبابية والبهائية على أكثر المراجع الرئيسية التي وردت في البحث واستعنا بالمراجع التالية التي كتبت عن البابية والبهائية .
١ — دائرة معارف القرن العشرين لفرید وحدي مادة بابية ومادة بهائية .
ب — أبحاث الأستاذ محي الدين الخطيب التي نشرها في مجلة الأزهر .
ج — قصة العقائد للاستاذ سليمان مطير .

كلمة ختام

لعل أحسن ما نختم به هذه الدراسة اقتباسات ننتقيها من كتاب « المسألة اليهودية » الذي وضعه كارل ماركس ، استمع إليه يقول :

— نحن نقر بأن ثمة في اليهودية عنصراً عاماً مناهضاً للمجتمع ، وهو عنصر دُفع بالتطور التاريخي إلى نقطة الأوج في الزمن الحاضر ، ولا بد أن يأتي بعده الانحلال .

— يسعى اليهود إلى ما يسمونه تحرير اليهود ، وما أحرى البشرية أن تتحرر من اليهود .

— لقد تحرر اليهود فعلاً ولكن على الطريقة اليهودية ، فاليهودي مثلا الذي لا يحسب له حساب في فينا هو الذي يقرر بقوته المالية ، مصير الدولة كلها ، واليهودي الذي قد يكون في أصغر المقاطعات الألمانية محروماً من الحقوق هو الذي يقرر مصير أوروبا .

— لقد تحرر اليهودي على الطريقة اليهودية ، وليس فقط بأن أصبح سيد السوق المالية ، وإنما لأن المال أصبح بواسطته قوة عالمية ، والروح العملية اليهودية أصبحت الروح العملية للشعوب الأخرى (١) .

— المال هو إله إسرائيل المطاع ، وأمامه لا ينبغي لأى إله أن يعيش ، إن المال يهزم جميع آلهة البشر ، ويحولها إلى سلعة ، إن المال هو الجوهر الذي يسيطر على الإنسان ويستعبده . لقد أصبح إله اليهود أيضاً إلهاً للناس جميعاً ، وهذا انتصار لليهود (٢) .

— لقد انبثقت المسيحية من اليهودية ، وقد انتهى بها الأمر إلى العودة إلى اليهودية .

(١) المسألة اليهودية لكارل ماركس ص ٥٦ — ٥٧ من الترجمة العربية .

(٢) المرجع السابق ص ٥٩ .

- مرة أخرى ليس اليهودى هو الذى يسعى إلى التحرر من غير اليهود ، وإنما المجتمع الإنسانى هو الذى ينبغى عليه أن يسعى ليتحرر من اليهود (١) .



وبعد ، لقد فرض اليهود أنفسهم أو فرضهم الاستعمار على أرضنا العربية ، وكان الدين وسيلتهم عند تنفيذ هذه المأساة ، وحولنا - فى إفريقيا وفى آسيا - يدور صراع طويل بين أديان الدعوة (وهى البوذية والمسيحية والإسلام) ولكن دعر الاستعمار من الإسلام وخوفه منه جعله يحشد الجهود ضده ، وقد استطاع الاستعمار أن يغطى نفسه بقناع مزيف أسماء المسيحية ، وهو فى الحقيقة بعيد عن مسيحية عيسى كل البعد ، وتلقى الاستعمار المسيحى مع اللادينية والإلحاد فى هذا المضمار ، ثم لحقت اليهودية بهذا الجمع لتتال ما اعتاده الفكر اليهودى من كسب رخيص على حساب العرب والمسلمين ، وعن طريق اليهودية اندفع لأرض المسلمين صور من الباطل والضلال باسم البابية والبهائية والروتارى والماسونية .

ولكن ركب الحق سيسير ، وسيتخطى العقبات ، وينتصر على الباطل . وكل ما أرجوه أن يتعرف المسلمون على أعدائهم ، وألا يخدعهم الطلاء الكاذب أو الاسم البراق على مسمى يحمل فى طياته السم ، ولعل فى هذا البيان الذى سقته فى هذا الكتاب وفى الكتب الأخرى من هذه السلسلة « سلسلة مقارنة الأديان » ما يدمغ هذا الباطل ويبعث شعاعاً من العلم والمعرفة لطلاب العلم والمعرفة

والله الموفق

مراجع الكتاب

ملحوظتان :

١ - المصادر المذكورة معنا هي التي اعتمد عليها هذا الكتاب ، ووردت في ذيل صفحاته ، أما المراجع الأخرى التي أسهمت بطريق غير مباشر ، فلم تذكر في هذه القائمة .

٢ - رتبنا هذه المصادر حسب الترتيب الأبجدي لأسماء مؤلفيها مع اعتبار الاسم المشهور للمؤلف (فمثلا ابن خلدون وليس عبد الرحمن بن محمد) ومع عدم اعتبار الملحقات (ابن ، ال) .

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - مجموعة من كتب التفسير
- ٣ - مجموعة من كتب الحديث
- ٤ - الكتاب المقدس .
- ٥ - قاموس الكتاب المقدس
- ٦ - التلمود
- ٧ - التلمود شريعة اسرائيل .
- ٨ - بروتوكولات حكماء صهيون
- ٩ - مجموعة من المجلات العلمية والصحف
- ١٠ - The Jewish Encyclopadia
- ١١ - Encyclopadia Britannica
- ١٢ - Encyclopadia of Religions and Ethics
- ١٣ - دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي
- ١٤ - Israelite of America
- ١٥ - مجلة الوثائق الكاثوليكية
- ١٦ - مجلة الجامعة الاسرائيلية
- ١٧ - من الفكر اليهودي (مجموعة اقتباسات في مجلد)
- ١٨ - تقرير اللجنة الملكية البريطانية
- ١٩ - تقارير من هيئة الأمم المتحدة
- ٢٠ - تشريع حمورابي
- ٢١ - أبو الفضل الجرمادقاني : الدرر البهية

- الحجج النبوية ٢٢- أبو الفضل الجرجاني
مجموعة رسائل ٢٣- » »
Judaism ٢٤- Arthur Hertzberg
الكامل في التاريخ ٢٥- ابن الأثير
في موكب الشمس ٢٦- دكتور أحمد بدوي
اسرائيليات ٢٧- أحمد بهاء الدين
موسوعة التاريخ الاسلامي ٢٨- دكتور أحمد شلبي
والحضارة الاسلامية (ا. أجزاء)
السياسة في الفكر الاسلامي ٢٩- دكتور أحمد شلبي
الاقتصاد في الفكر الاسلامي ٣٠- » » »
المسيحية ٣١- » » »
الاسلام ٣٢- » » »
اديان الهند الكبرى ٣٣- » » »
المجتمع الاسلامي ٣٤- » » »
العقد الثمين ٣٥- أحمد كمال
مصر في العصور القديمة ٣٦- أحمد نجيب عاشم وآخرون
Evolution of the idea of God ٣٧- Allen G.
Midieval Europ ٣٨- Efraim Emerton
هذه هي الصهيونية ٣٩- اسرائيل كوهين
تاريخ اللغات السامية ٤٠- اسرائيل ولفنسون
شعار الخضر ٤١- ايلياهو بشياصي
يقظة العالم اليهودي ٤٢- ايلي ليفي أبو عسل
Religions of the Wor ٤٣- Berry
A Literary History of Persia ٤٤- Browne
الايقان ٤٥- البهاء : ميرزا حسين
مجموعة الألواح ٤٦- » » »
كتاب الشيخ ٤٧- » » »
نيد من تعاليم البهاء (الاشراقات ٤٨- » » »
البشارات - الطرازات ٤٩- برستيد
تاريخ مصر من اقدم العصور ٥٠- بن جوربون
اسرائيل وسنوات التحدي ٥١- بن جوربون
مذكرات بن جوربون

- اسرائيل واليهود
The Jewish world in the
Time of Jesus
- تاريخ العرب قبل الاسلام
الاستقرار الصهيوني حول أمريكا
اديان العالم الكبرى (ملخص
عن الإنجليزية)
تاريخ سورية
اظهر الحق
الكز المرصود في قواعد التلمود
The old Testament in the
Light of Ancient East
- The Secret Government in
Britain
- The History of the World
History of Religion
- تاريخ الاقباط
تاريخ المصريين القدماء
قصة العقائد
- A History of the Hebrew
People
- The Religious Revolution of
today
- God and man in Early Israel
- نهاية اسرائيل
الله
ما يقال عن الاسلام
خطر اليهودية العالمية على
الاسلام والمسيحية
الماسونية ذلك العالم المجهول
الصهيونية والماسونية
الصهيونية في المجال الدولي
- ٥٢ - جولدا مائير
٥٣ - Guinebert
- ٥٤ - دكتور جواد على
٥٥ - جون بيبي
٥٦ - حبيب سعيد
- ٥٧ - الدبس (المطران)
٥٨ - رحمة الاله الهندي
٥٩ - روهنج
٦٠ - Jeremias
- ٦١ - John Scott
- ٦٢ - René Sediliot
٦٣ - Reinach
٦٤ - زكى شنوده
٦٥ - نكور سليم حسن
٦٦ - سليمان مظهر
٦٧ - Charles Foster Kent
- ٦٨ - Shotwell
- ٦٩ - Smith J. W. D.
- ٧٠ - صبرى أبو المجد
٧١ - عباس العقاد
٧٢ - عباس العقاد
٧٣ - عبد الله التل
- ٧٤ - عبد الحلیم الخورى
٧٥ - عبد الرحمن سامى
٧٦ - دكتور عبد العزيز نصر

- ٧٧- عبد الوهاب النجار
٧٨- عدلى حشاد
٧٩- عصام الدين حفنى
٨٠- على امام عطية
- ٨١- دكتور على عبد الواحد وافي
٨٢- غوستاف لوبون
٨٣- دكتور فؤاد حسنين
٨٤- Frank Briton
٨٥- القلعشندى
٨٦- كارل ماركس
٨٧- Carlyle
٨٨- Kirk
٨٩- Leius Dasté
٩٠- Laurance B.
٩١- Mex margolis &
Alexander marx
٩٢- Maspere
٩٣- محمد جاد المولى وآخرون
٩٤- محمد حماد (دكتور مهندس)
٩٥- محمد صبرى
٩٦- محمد صفوت
٩٧- محمد عبده
٩٨- محمد عبد الله عنان
٩٩- محمد عزة دروزة
١٠٠- محمد على الزغبى
١٠١- محمد على علوبة
١٠٢- دكتور محمد فوزى وعمر رشدى
- تصص الأنبياء
فلسطين في طريق العودة
محنة التوراة على أيدي اليهود
الصهيونية العالمية وأرض
البعاد
الاسفار المقدسة في الأديان
السابقة للإسلام
اليهود في تاريخ الحضارات
الأولى
التوراة : عرض وتحليل
Behind Communism
صبح الاعشى
المسألة اليهودية
Heroes and Hero-worship
A Short History of the
middle East
Le Societé Sécrete et Les Jenfs
From Babylon to Bethlehem
A History of the Jewish
people
Struggie of the Nations
قصص القرآن
بحث عن لوح كامس
المقارنات والمقالات
اسرائيل العدو المشترك
رسالة التوحيد
تاريخ الجمعيات السرية
والحركات الهدامة
تاريخ بني اسرائيل من اسفار دم
(ثلاثة اجزاء)
الماسونية منشئة ملك اسرائيل
فلسطين والضمير العالمى
الصهيونية ورببيتها اسرائيل

النظم الاجتماعية والسياسية	دكتور محمد محمود جمعه	— ١٠٣
عند قدماء العرب والامم السامية		
The Jewish State	Hertzl	— ١٠٤
my struggle	Hetler	— ١٠٥
The Jews	Hosmer J.	— ١٠٦
السيرة النبوية	ابن هشام	— ١٠٧
قصة الحضارة	ول ديورانت	— ١٠٨
منكرات وايزمان	وايزمان	— ١٠٩
Civilization of Near East	Weech	— ١١٠
A Hhort History of the World	Wells	— ١١١
The Outline of History	Wells	— ١١٢
طوبى للخائنين	ياتيل ديان	— ١١٣